٢١٦ع

النوادر السلطانية

بسبب ضيق الوقت وفراغ اليد عما يليق بامثاله فاخره الى العام المستقبل فقضاء
الله ما قضى وهذا شيء امر فيه العلم به الخاص والعام وكان رح يحب سماع
القران العظيم ويتخير امامه ويشترط ان يكون عالما بعلم القران العظيم متقنا
لحفظه وكان يستقرى من يحرسه في الليل فهو رحمه الحزبين والثلثة والاربعة
وهو يسمع وكان يستقرى وهو في مجلسه العام من حرمت عادته بذلك
الاية والعشرين والزائد على ذلك ولقد اجتاز على صغير بين يدي ابيه و
هو يقرا القران فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظا من خاص طعامه
ووقف عليه وعلى ابيه جزوا من مزرعة وكان رح خاشع القلب رقيق غزير
الدمعة اذا سمع القران يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم اوقاته وكان رح
شديد الرغبة في سماع الحديث ومتى سمع عن شيخ ذي رواية عالية
وسماع كثيرة فان كان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه فاسمع من
يحضره في ذلك المكان من اولاده ومماليكه المختصين به وكان يأمر الناس
بالجلوس عند سماع الحديث اجلالا له وان كان ذلك الشيخ من لا يطرق

ابواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى اليه وسمع اليه
تردد الى الحافظ الاصفهاني بالاسكندرية حرسها الله تعالى وروى عنه
احاديث كثيرة وكان ره يحب ان يقراء الحديث نفسه وكان يستحضرني
في خلوته ويحضر شيئا من كتب الحديث ويقراءها هو فاذا مر بحديث
فيه عبرة رق قلبه ودمعت عينه وكان ره كثير التعظيم لشعاير الدين
قايلا ببعث الاجسام ونشورها ومجازاة المحسن بالجنة والمسئ
بالنار مصدقا بجميع ما وردت به الشرايع منشرحا بذلك صدره
مبغضا للفلاسفة والمعطلة ومن يعاند الشريعة ولقد امر ولده صاحب
حلب الملك الظاهر اعز الله انصاره بقتل شاب يقال له السهروردي
قيل عنه انه كان معاند الشرايع مبطل وكان قد قبض عليه ولده المذكور
لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فامره بقتله وطلبه اياما فقتله
وكان قدس الله عنه حسن الظن بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الامانة
شاهدت من اثار ذلك ما احكيه وذلك ان الفرنج خذلهم الله تعالى

كانوا نازلين به بيت نوبة وهو موضع   القدس الشريف حرسها
الله يكون بينهما بعض مرحلة وكان السلطان بالقدس وقد اقام يزكا على
العدو محيطا به وقد سير اليهم الجواسيس والمخبرين فتواصلت الاخبار
بقوة عزمهم على الصعود الى القدس ومحاصرته وتركيب القتال عليه
واشتدت مخافة المسلمين بسبب ذلك فاحضر الامراء وعرفهم ما قد
دهم المسلمين من الشدة وشاورهم في الاقامة بالقدس فاتوا بمجاملة
باطنها غير ظاهرها واصر الجميع على انه لا مصلحة في اقامته بنفسه فانها
مخاطرة بالاسلام وذكروا انهم يقيمون هم ويخرج هو بطائفة من
العسكر يكون حول العدو كما كان الحال بعكا ويكون هو ومن معه بصدد
منع ميرتهم والتضييق عليهم ويكونون هم بصدد حفظ البلد والدفع عنه
وانفصل مجلس المشورة على ذلك وهو مصر على ان يقيم بنفسه علما منه
انه لم يقم ما يقيم احد فلما انصرفوا العلماء الى بيوتهم جاء من عندهم الامراء
من اخبره انهم لا يقيمون الا ان يقيم اخوه الملك العادل او احد اولاده

حتى يكون هو الحاكم عليهم والذي يأمرون بامره فعلم ان هذا اشارة منهم
الى عدم الاقامة وضاق صدره وتقسم فكره واشتدت فكرته ولقد
جلست في خدمته في تلك الليلة وكانت ليلة الجمعة من اول الليل
الى ان قارب الصبح وكان الزمان شتاء ليس معنا ثالث الا الله تعالى نحن
نقسم اقساما وترتب على كل قسم مقتضاه حتى اخذت بالاشفاق عليه
والخوف على مزاجه فانه كان يغلب عليه اليبس فشفقت عليه حتى ياخذ
مضجعه بعلة ينام ساعة فقال له لعلك جاءك النوم ثم نهض فما
وصلت الى بيتي واخذت لبعض شاني الا واذن المؤذن وطلع الصبح و
كنت اصلي معه الصبح في معظم الوقت فدخلت عليه وهو يمر الماء على اطرافه
فقال ما اخذني اليوم اصلا فقلت قد علمت فقال من اين فقلت لاني ما
نمت وما بقي وقت النوم ثم اشتغلنا بالصلاة وجلسنا على ما كنا عليه
فقلت له قد وقع لي واقعة واظنه ان شاء الله تعالى فقال ما هو فقلت له
الاخلاد الى الله تعالى والاستنابة اليه والاعتماد في كشف هذه النعمة عليه

فقال

فقال وكيف يصح فقلت اليوم الجمعة يغتسل المولى عند الرواح ويصلي
على العادة بالاقصى موضع سرى النبي صلعم ويتقدم المولى بالتصدق بشئ
خفية على يد من يثق به ويصلي المولى ركعتين بين الاذان والاقامة و
يدعوا اليه في سجوده فقد ورد فيه حديث ويقول في باطنه
الهي قد انقطعت اسبابي الارضية في نصرة دينك ولم يبق الا الاخلاد
اليك والا بحبلك والاعتماد على فضلك انت حسبي ونعم الوكيل
فان الله اكرم من ان يخيب قصدك وصليت الى جانبه على
جانبه على العادة وصلى الركعتين بين الاذان والاقامة ورايته ساجدا ودموعه
تتقاطر على شيبته ثم على سجادته ولا اسمع ما يقول فلم ينقضي ذلك
اليوم حتى وصلت رقعة من عز الدين جورديك وكان على اليزك يخبر
فيها ان الفرنج مختبطون وقد ركب اليوم عسكرهم باسره الى الصحراء ووقفوا
الى قايم الظهيرة ثم عادوا الى خيامهم وفي بكرة السبت جاءت رقعة تخبر
عنهم مثل ذلك ووصلت في اثناء النهار جاسوس اخبر انهم اختلفوا فذهبت

الفرنسيسيه الى انهم لابد لهم من محاصرة القدس وذهب الانكتار واتباعه
الى انه لا يخاطر بدين النصرانية ويرميهم في الجبل مع عدم المسئلة الميّاه
فان السلطان كان قد افسد جميع ما حول القدس من المياه وانهم اخرجوا
للمشورة من عادتهم المضر يتشاورون الحرب على ظهور الخيل وانهم قد نصوا
على عشرة انفس ومنهم حكموهم باى شئ اشاروا الايخالفونهم ولما كانت
بكرة الاثنين جاء المبشر يخبر انهم رحلوا عايدين الى جهة الرملة فهذا ما
شاهدته من اثار استنباطه واخلاوه الى الله تعالى ... رضه روى ابو بكر
ان النبي صلعم قال الوالى العادل ظل الله في ارضه من نصحه في نفسه او عباده
اظله الله تحت عرشه يوم لا ظل الا ظله ومن خانه في نفسه او في عباد
الله خذله الله يوم القيمة يرفع للوالى العادل في كل يوم عمل ستين صديقا
كلهم عابد مجتهد لنفسه ولقد كان رضه عادلا رؤفا رحيما ناصرا للضعيف
على القوى وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام و يحضره
الفقهاء والقضاة والعلماء و يفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل اليه كل احد

من

من كبير وكان يفعل ذلك سفرا وفي حضر على انه كان في جميع زمانه قابلا
لجميع ما يحضر عليه من القصص في كل يوم ويفتح باب العدل ولم يرد بيرض
قاصدا للحوادث والحكومات وكان يجلس مع الكاتب اما في
الليل او في النهار ويوقع على كل قصة بما يطلق عليه على قلبه واما استغاث
اليه احد الا وقف وسمع ظلامته وكشف قضيته واخذ قصته ولقد راينه
واستغاث اليه انسان من اهل دمشق يقال له ابن زبير على ابن اخيه
وانفذ اليه ليحضره الى مجلس الحكم وكان تقي الدين من اعز الناس عليه
واعظمهم عنده الحق واعظم من هذا الحكاية مما يدل على عدله
قضية جرت له مع انسان يدعا عمر الخلاطي تاجرا وذلك اني كنت يوما
في المجلس الحكم بالقدس الشريف ان دخل علي شيخ حسن تاجر معروف يسمى
عمر الخلاطي معه كتاب حكمي يسال فتحه فسالته عن خصمك فقال خصمي
السلطان وهذا بساط العدل وقد سمعنا انك لا تحابي قلت وفي اي
قضية هو في خصمك وقال ان سنقر الخلاطي كان مملوكي ولم يزل على ملكي

الى ان مات وكان في يده اموال عظيمة كلها لي ومات عنها واستولى عليها
السلطان وانا مطالبة بها فقلت له يا شيخ وما الذي اقعدك الى هذه
الغاية فقال الحقوق لا تبطل بالتاخر وهذا الكتاب الحكمي ينطق بانه لم يزل
في ملكي الى ان مات فاخذت الكتاب منه وتصفحت مضمونه فوجدته
يتضمن حلية سنقر الخلاطي وانه قد اشتراه من فلان التاجر بتاريخ
اليوم الفلاني من شهر كذا من سنة كذا وانه لم يزل في ملكه الى ان شهد
عليه في سنة كذا وما عرف شهود هذا الكتاب خروجه عن ملكه بوجه
ما وتم الشرط الى اخره فتعجبت من هذه القضية فقلت للرجل لا ينبغي
سماع هذا بلا وجود الخصم وانا اعرفه واعرفك ما عنده في ذلك
فمضى الرجل بذلك واندفع فلما اتفق في المواد بين يديه وفي
كفيه ذلك اليوم القضية وستبعد ذلك استبعادا عظيما فقال كنت عرفته
نظرت فيه ورايته متصل الورود والقبول الى دمشق وشهد به على قاضي
دمشق شهود معروفون فقال مبارك بحضر الرجل وتحاكمه وتعمل في

القضية

القضية ما تقتضيه الشرع ثم اتفق بعد ذلك جلوس حلوه فقلت له هذا
الخصم يتردد ولابد وان تسمع دعواه فقال اقم عني وكيلا يسمع الدعوى
ثم يقيم الشهود واشهادهم واخر فتح الكتاب الى حين الرجل ههنا ففعلت
ذلك ثم حضر الرجل عنده واستدناه حتى جلس بين يديه وكنا الى جانبه
ثم انزله من طرحه حتى ساواه وقال انك تدعي دعوى فاذكرها فحرر
الرجل الدعوى على معنى ما شرح اولا فاجابه السلطان ان هذا سنقر كان
مملوكي ولم يزل على ملكي حتى عتقته وتوفي وخلف ما خلفه لورثته فقال
الرجل بينة تشهد بما ادعيته ثم سال فتح كتابه ففتح شرحه فلما سمع
السلطان فقال من يشهد ان هذا سنقر في هذا التاريخ كان في ملكي وفي
يدي بمصر ومع ثمانية انفس في تاريخ متقدم على هذا
التاريخ الى ان اعتقه ثم احضر جماعة من اعيان ذلك فشهد وابدى
وذكر القضية كما ذكرها والتاريخ كما ادعاه فابلس الرجل فقلت يا مولاي
ذلك الا طلبا لمراحم السلطان وقد حضر ان يرجع خائبا للقصد

فقال هذا باب آخر وقد تقدم له بخلعة والنفقة بالغة وقد شد على مقدا
فانظر الى ما في طي هذه القضية من المعاني العربية العجيبة من التواضع
والانقياد الى الحق وارغام النفس والكرم في موضع المواخذة مع
القدرة التامة رحمه الله ذكر طرف من كرمه قال لي اذا عثر الكريم فان الله
اخذ بيده وفي الكرم احاديث وكرمه قدس الله روحه كان اظهر من ان
يسطر واشهر من ان يذكر لكن نبهت على جملة وذلك انه ملك ما ملك
ومات لم يوجد في خزانته من الفضة الا سبعون واربعون درهما ناصرية
ومن الذهب الا جرم واحد صوري ما علمت وزنه وكان رحمه الله يهب الاقاليم
فتح آمد وطلبها منه ابن قرا ارسلان فاعطاه اياها ورايته قد اجتمع عنده
جمع من الوفود بالقدس الشريف وكان قد عزم على التوجه الى دمشق
لم يكن في الخزانة ما يعطي الوفود فلم ازل اخاطبه في معناهم حتى باع من
بيت المال وفضضنا ثمنها عليهم ولم يفضل منه درهم واحد وكان رحمه الله
يعطي في وقت الضائقة كما يعطي في وقت السعة وكان نواب خزانته

يخفون

يخفون عنه شيئاً من المال حذراً ان يفاجيهم بهم لعلمهم انه متى علم به اخرجه

وسمعته يقول في معرض حديث جرى يمكن ان يكون في الناس من ينظر

الى المال كما ينظر الى التراب فكانه اراد بذلك نفسه وكان يعطي فوق

ما يومل الطالب فما سمعته قط يقول اعطينا لفلان وكان يعطي وجهه و

للعطا ينبسط من لم يعطه شيئاً وكان يعطي ويكرم اكثر ما يعطي وكان

قد عرفه الناس وكان يعطي الكثير ويبسط وجهه للعطا بسط من لم يعطه

فكانوا يستزيدونه في كل وقت وما سمعته قط يقول مرارا حكم

ازيد والكثر الرسائل كانت يكون على ذلك على لساني وبيدي وكنت اخجل .

من كثرة يطلبون منه من كثرة ما اطلبه لهم لعلمي بعدم مواخذته

في ذلك وما خدمه احدا الا واغناه عن سوال غيره واما تعداد

وتعداد صنوفها فلا يطمع فيها حقيقة اصلا وقد سمعت

من صاحب ديوانه يقول لي قد تجاوزنا عطاياه عدد ما وهب من

الخيل بسرج عكا فكان عشرة آلاف فرس ومن شاء مواهبه يستقل هذا

القدير اللهم وانت اكرم منه فتكرم عليه برحمتك ورضوانك
يا ارحم الراحمين ذكر شجاعته قدس الله روحه روي عن النبي صلعم انه قال
ان الله يحب الشجاعة ولو قتل حية ولقد كان رحمه من عظماء الشجعان
قوي النفس شديد الباس عظيم الثبات لا يهوله امر ولقد رايته بعكا وهي محصورة
ويبقى في نفر ذمة يسيرة في مقابلة عدوهم الكثرة وقد سالت بالبان
ما زال وهو من كبار ملوك الساحل وهو جالس بين يديه يوم انعقاد
الصلح عن عدتهم فقال الترجمان عنه انه يقول كنت انا وصاحب صيدا وكان
ايضا من ملوكهم عقلائهم قاصدين عسكرنا من صور فلما اشرفنا عليه حزرناه
فحزره وهو خمس مائة الف وهو حزرتهم انا بستمائة الف او قال عكس ذلك
قلت فكم هلك منهم فقال اما بالقتل فقريب من مائة الف واما بالموت
والغرق فلا نعلم وما رجع من هذا العالم الا الاقل وكان لا بد له من ان
يطوف حول العدو في كل يوم مرة او مرتين اذا كنا قريبا منهم ولقد وصلني
في ليلة واحدة منهم نيفا وسبعون مركبا على عكا وانا اعدها من بعد صلوة

العصر

العصر الى غروب الشمس وهو لا يزداد الا قوة نفس وكان رحمه الله اذا اشتهر

الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد على يده جنيب ويخرق

العسكر من الميمنة الى الميسرة ويرتب الاطلاب ويامرهم بالتقدم والوقوف

في مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاوره ولقد قرئ عليه

جزوين من الحديث بين الصفين وذلك اني قلت له قد سمع الحديث

في جميع المواطن الكثيرة ولم ينقل انه سمع بين الصفين فان راى الشريفه

المولى ان يوثر عنه ذلك كان حسنا فاذن في ذلك فاحضر جزءها

لمن له به سماع يقرئ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشي

تارة ونقف اخرى وما رايته استكثر العدو اصلا ولا استعظم امرهم

قط وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير تذكر بين يديه الاقسام

كلها ويرتب على كل قسم مقتضاه من غير حدة ولا غضب يعتريه ولقد

انهزم المسلمون في المصاف بمرج عكا حتى القلب ورجاله ووقع

الكوس والعلم وهو رحمه الله ثابت القدم في نفر يسير حتى انحاز الى الجبل

بجميع ويردهم ويحملهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك حتى نصر
عسكر المسلمين على العدو في ذلك اليوم وقتل منهم ما بين راجل
وفارس ولم يزل رحمه الله مصابراً لهم وهم في العدة الوافرة الى ان ظهر ضعف
المسلمين فصالحهم من فإن الضعف والهلاك كان فيهم اكثر
ولكنهم كانوا يتوقعون النجدة ونحن لا نتوقعها وكانت المصلحة في الصلح
وظهر ذلك لما ابدت الاقضية والاقدار ما في مكنونها وكان رحمه الله يمرض
ويصح ويعتريه احوال مهولة وهو مصابر مرابط ونرى الناران ونسمع
منهم صوت الناقوس ويسمعون منا صوت الاذان الى ان انقضت الوقعة
على احسن حال والسر قدس الله روحه ونور ضريحه ذكر اهتمامه بامر
الجهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
ونصوص الجهاد فيها كثيرة ولقد كان رحمه الله شديد المواظبة عليه عظيم
الاهتمام ولو حلف حالف انه ما انفق بعد خروجه الى الجهاد ديناراً ولا درهماً
الا في الجهاد او في الارفاد لصدق وبر في يمينه ولقد كان الجهاد وحبه والشغف

بر

به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيما بحيث ما كان حديث
الا فيه ولا نظر الا في آلته والاهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من يذكره
ويحث عليه ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله اهله واولاده
ووطنه وسكنه وسائر بلاده وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها
الرياح ميمنة وميسرة ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ريحة على مرج
عكا فلو لم يكن في البرج والا قتلته ولا يزيده ذلك الا رغبة ومصابرة
واهتماما وكان الرجل اذا اراد ان يتقرب اليه يحثه على الجهاد وانا ممن
جمع له فيه كتابا جمعت فيه آدابه وكل آية وردت فيه وكل حديث
روي فيه وشرحت غريبها وكان رحمه كثيرا ما يطالعه حتى اخذه منه
ولده الملك الافضل عز نصره ولاحكين عنه ما سمعته منه وذلك
انه كان قد اخذ كوكب في ذي القعدة سنة اربع وثمانين وخمسمائة
واعطى العسكر دستورا واخذ عسكر مصر في العود الى مصر وكان مقدمها
اخاه الملك العادل عز نصره فسار معه يودعه ويحظى بصلاة العيد

في القدس الشريف حرسها الله تع وسرنا في خدمته ولما صلى العيد في القدس
وقع له انه يمضي الى عسقلان ويودعهم لعسقلان ثم يعود الساحل
ليتفقد البلاد الساحلية الى عكا ويرتب احوالها واشاروا عليه ان لا يفعل
فان العساكر اذا فارقتنا ليس يبقى والفرنج كلهم بصور وهذه
مخاطرة عظيمة فلم يلتفت رح وودع اخاه والعسكر لعسقلان ثم
الساحل طالبا عكا وكان الزمان شتاء عظيما والبحر
شديدا وموجه كالجبال كما قال الله تع وكنت حديث عهد برؤية البحر
فعظم امر البحر عندي حتى خيل لي انني لو قال لي انسان جزت في البحر
ميلا واحدا الدنيا لما كنت افعل واستخففت راي من ركب
البحر رجاء دينارا او درهما واستحسنت راي من لا يقبل شهادة راكب البحر هذا كله
خطر لي لعظم الهول الذي شاهدته من حركة البحر فبينا انا في ذلك اذا التفت
الي رح وقال اما احكي لك شيئا الي في نفسي انه متى ما يسر الله تع فتح بقية
الساحل قسمت البلاد واوصيت وودعت وركبت هذا البحر الى جزائره

واتبعهم

واتيهم فيها حتى لا ابقي على وجه الارض من ما يكفر بالله او اموت فوقع
فعظم وقع هذا الكلام عندي حيث ما قص ما كان خطر لي وقلت له
ليس في الارض اشجع نفسا من المولى ولا اقوى نية منه ونصرة دين
الله تعالى فقال فكيف فقلت اما الشجاعة فلان مولانا ما يهوله امر هذا البحر
وهوله واما نصرة دين الله فنوى المولى ما يفنع بقلع اعداء الله
من موضع مخصوص في الارض حتى يطهر جميع الاجساد منهم واستاذنت الارض
ان احكي له ما كان خطر لي فحكيت له ثم قلت ما هذه الا نية جميلة
ولكن المولى يسير في البحر العساكر وهو سور الاسلام ومنعته لا ينبغي
له ان يخاطر بنفسه فقال لي استفتيك ما اشرف الميتات فقلت الموت
في سبيل الله فقال غاية ما في الباب ان اموت اشرف الميتات فانظر الى هذا
بطونه ما اظهرها والى هذه النفس ما اشجعها واجراها اللهم انك تعلم
انه بذل جهده في نصرة دينك وجاهد احيا رحمتك فارحمه صبره واحتسابه رح
قال سبحانه ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولقد رايته

برج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دماميل كانت ظهرت
عليه من وسطه الى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس وانما يكون متكيا
على جانبه اذا كان بالخيمة وامتنع من مد الطعام بين يديه بعجزه عن
الجلوس وكان يامران يفترق على الناس وكان مع ذلك قد نزل بخيمة
الحرب قريبا من العدو وقد رتب الناس ميمنة وميسرة وقلبا تعبية
القتال وكان مع ذلك كله يركب   بكرة النهار الى صلاة المغرب
يطوف على الاطلاب صابرا على شدة الالم وقوة ضربان الدمامل وانا
اتعجب من ذلك   اذا ركب يزول عنه الما حتى انزل وهذا
غاية ولقد مرض رح على الخروبة وكان قد تاخر عن
فبلغ الافرنج فخرجوا طمعا في ان ينالوا شيئا من المسلمين وهي نوبة النهر
فخرجوا في مرحلة الى   فامر رح بالثقل حتى يتجهز بالرحيل والتاخر
على جهة الناصرة وكان عماد الدين صاحب سنجار متمرضا ايضا فاذن
له حتى يتاخر مع الثقل فاقام هو ثم رحل العدو في اليوم الثاني يطلبنا
فركب

وركب على مضض ورتب العسكر للقاء القوم تعبية الحرب وجعل
طرف الميمنة الملك العادل وطرف الميسرة تقي الدين وجعل ولده
الملك الظاهر في القلب والملك الافضل عن نصرهما ونزل هو وراء
القوم يطلبهم واول ما نزل من التل احضر بين يديه افرنجي قد اسر
من القوم فامر بضرب عنقه بين يديه بعد عرض الاسلام عليه وابائه
عنه وكلما سار العدو يطلب راس النهر سار هو مستديرا الى ورائهم
حتى يقطع بينهم وبين خيامهم وهو يسير ساعة ثم ينزل يستريح ويظلل
بمنديل على راسه من شدة وقع الشمس عليه ولا ينصب له خيمة حتى
لا يرى العدو ضعفها ولم يزل كذلك حتى نزل العدو براس النهر
ونزل هو قبالتهم على تل مطل عليهم الى ان دخل الليل ثم امر العساكر المنصورة
ان عادت الى محل المصابرة وان يبيتوا تحت السلاح وتاخر هو ونحن
في خدمته الى قمة الجبل فضربت له خيمة لطيفة وبتنا تلك الليلة اجمع
انا والطبيب نمرضه ونشاغله وهو ينام تارة ويستيقظ اخرى حتى

حتى لاح الصباح ثم ضرب البوق وركب هو وركبت العساكر واحدقت به
بالعدو ورحل العدو عائدا الى خيامهم من الجانب الغربي في النهر وضايقهم
المسلمون في ذلك اليوم مضايقة شنيعة وفي ذلك اليوم قدموا له
بين يديه احتسابا وجميع من حضر منهم ولم يزل يبعث من عنده حتى
لم يبق عنده الا انا والطبيب وعارض الجيش والغلمان بايديهم الاعلام
والبيارق لا غير الرائي لها عن بعد ان تحتها خلق عظيم ولم يزل
العدو سائرا والقتل يعمل فيهم وكلما قتل منهم شخص دفنوه
وجرح منهم رجل حملوه حتى لا يبقى بعدهم من يعلم قتله وجرحه وهم
سايرون ونحن نشاهدهم حتى اشتد بهم الامر عند الجسر وكان
الفرنج متى نزلوا الى الارض ايس المسلمون من بلوغ غرض منهم لانهم
يجتمعون في حالة النزول وبقي رحمه الله في موضعه والعساكر على ظهر
الخيل قبالة العدو الى اخر النهار ثم امرهم ان يبيتوا على مثل ما باتوا
وعدنا الى منزلنا في الليلة الماضية دعاو العسكر في المصباح الى ما كان

عليه

عليه بالامس الى مضايقة العدو ورحل العدو وسار على ما مضى من القتل
والقتال حتى دنا الى خيامه وخرج اليه منها من الخدمة حتى وصلوا الى خيامهم
فانظر الى هذا الصبر والاحتساب الى اى غاية بلغ هذا الرجل اللهم انك
الهمته الصبر والاحتساب ووفقته له فلا تحرمه ثوابه يا ارحم الراحمين
ولقد رايته وقد جاء خبر وفاة ولد له بلغ مراهق يسمى اسمعيل فوقف على
الكتاب ولم يعرف احدا ولم نعرف حتى سمعناه من غيره فلم يظهر عليه شئ
من ذلك روى انه لما قراء الكتاب دمعت عينه ولقد رايته ليلة على صفد
وهو يحاصرها وقد قال لا ننام الليلة حتى تنصب لنا خمس مناجيق ورتب
لكل منجنيق قوما يتولون نصبه وكنا طول الليل في خدمته
في الذ مفاكهة وارغد عيش والرسل تتواصل تخبره بان قد نصب من
المنجنيق الفلانى كذا وكذا ومن المنجنيق الفلانى كذا حتى الى الصباح وقد فرغ
منها ولم يبق الا تركيب خنازيرها عليها وكان من اطول الليالى و
اشدها بردا ومطرا ورايته وقد وصله وفاة تقى الدين عن اخيه ونحن

في مقابلة الفرنج جريدة على الراحلة وبينهم وبينه شوط فرس لا غير وعنده
الملك العادل وعلم الدين سليمان وسابق الدين وعز الدين وامر بالناس فطردوا
من قريب من الخيمة بحيث لم يبق حولها اخذ غير علومهم ثم اظهر
الكتاب ووقف عليه وبكا بكاء شديدا حتى ابكانا من غير ان نعلم السبب
ثم قال رحمه الله والعبرة تخنقه توفي تقي الدين فاشتد بكاوه وبكاء الجماعة ثم
عدت الى نفسي وقلت استغفروا الله من هذه الحالة وانظروا اين وفيم
انتم اعرضوا عما سواه فقال رحمه الله نعم استغفر الله واخذ يكررها ثم قال
لا يعلم احد واستدعى بشيء من ماء ورد فغسل عينيه ثم استحضر الطعام
وحضر الناس ولم يعلم بذلك احد حتى عاد العدو الى يافا وعدنا نحن
الى النطرون وهو مثقلنا وكان رحمه الله شديد الشوق والشغف باولاده
الصغار وهو صابر على مفارقتهم راض ببعدهم عنه وكان صابرا على مر العيش
وخشونته مع القدرة التامة على غير ذلك احتسابا بالله تعالى اللهم انه
ترك ذلك كله ابتغاء لمرضاتك فارض عنه وارحمه [illegible]

١٢

وعفوه رحمه قال الله تعالى والعافين عن الناس والله يحب المحسنين

لقد كان التجاوز قليل الغضب لقد كنت في خدمته بمرج عيون قبل خروج

الفرنج الى عكا يسر الله فتحها وكان من عادته انه يركب في وقت الركوب

ثم ينزل ويمد الطعام ويأكل مع الناس ثم ينهض الى خيمة خاص له ينام فيها

ثم يستيقظ من منامه ويصلي   في خدمته اقرأ شيئا من

الحديث او شيئا من الفقه ولقد قرأ علي كتابا مختصرا تصنيف الرازي

يشتمل   من الفقه ونزل على عادته ومد الطعام على عادته

ثم عزم على النهوض فقيل له ان وقت الصلوة قد قرب فعاد الى الجلوس

وقال نصلي وننام ثم جلس يتحدث حديث متضجر وقد اخلاء المكان .

الا عن لزم فتقدم اليه مملوك كبير محترم عنده وعرض عليه قصة لبعض

المجاهدين فقال له انا الان ضجران اخرها ساعة فلم يفعل وقدم القصة

قريب من وجهه الكريم بيده وفتحها بحيث يقراءها فوقف على الاسم

المكتوب في رأسها فعرفه فقال رجل مستحق فقال يوقع له المولى فقال

الدواة حاضرة الامر وكان رح جالسا في باب الخركاة بحيث لا يستطيع احد
الدخول اليها والدواة في صدرها والخركاه كبيرة فقال له المخاطب هذه
الدواة في صدر الخركاه وليس لهذا معنى الا امره اياه باحضارها
الدواة لا غير فالتفت فرأى الدواة فقال والله لقد صدق ثم امتد
على يده اليسرى ويده اليمنى فاحضرها ووقع له فقلت قال الله تع في
نبيه ص وانك لعلى خلق عظيم وما ارى المولى الا قد شاركه في هذا الخلق
فقال ما ضرنا شيئا قضينا حاجة وحصل الثواب ولو وقعت الواقعة
لآحاد الناس لقام وقعد ومن الذي يقدر ان يخاطب احدا هو تحت
حكمه بمثل ذلك وهذا غاية الاحسان والحلم والله لا يضيع اجر المحسنين
ولقد كانت طراحته يداس عند التزاحم عليه لعرض القصص وهو لا يتأثر
ولقد رأيت يوما بغلي من الجمال وانا راكب في خدمته وزحمت وركه حتى
المته وهو تبسم رض ولقد دخلت بين يديه في يوم المطير الى القدس
الشريف وهو كثير الوحل فنضحت البغلة عليه من الطين حتى اهلكت

جميع

جميع ما كان عليه وهو تبسم واردت التأخر عنه بسبب ذلك وما تركني
ولقد كان يسمع من المستغيثين والمتظلمين اغلظ ان يسمع يلقا
بالبشر والقبول وهذه حكاية يندر ان نسطير مثلها وذلك انه كان
قد اتجه اخو تلك خذلهم الله نحو يافا فان العسكر كان قد رحل
عنهم بعيد وتراجع الى النطرون وهو مكان بينه وبين يافا للعسكر
للجد ونلث معتاده وجرد رحمه العسكر الى قيسريه ليلتقي نجدتهم عسى ان
يبلغ منها غرضا وعلم الفرنج الذين كانوا وكان بها الانكتار
ومعه جماعة مجهز معظم من كان عنده في المراكب الى قيسارية خشية
عن النجدة ان يتم عليها امر وبقي الانكتار في نفر يسير معهم وبعد رحمه و بعد
العسكر ولما وصل رحمه الله الى قيسارية وراى وصلت الى البلد
واختمت به وعلم انه لا ينال منهم غرضه فسرى من ليلة في اول الليل الى اخره
حتى اتى يافا صباحا والانكتار في سبعة عشر فارسا وتقدير ثلثمائة
راجلا نازلا خارج البلد فاستدار العسكر الاسلامي بهم الا من جهة

البحر وتعبئة العسكر تعبئة القتال وامر السلطان العسكر بالحملة انتهى الامر
فاجابه بعض الاكابر بكلام فيه خشونة تعنت لعدم التوقير في اقطا الإكرام
فعطف رأس عنان فرسه كالمغضب لعلمه لا يعملون في ذلك اليوم شيئا
وتركهم وانصرف راجعا الى خيمته التي كانت منصوبة ان قلعت
وانفض تيقنين ان السلطان في ذلك اليوم ربما اصيب حميا ولقد حكى
لي صاحبه الملك الظاهر عز نصره انه خاف منه في ذلك اليوم حتى انه
لم يتجاسر ان يقع في عينه مع انه حصل في ذلك اليوم واوغل ولم يزل سائرا
حتى نزل بعان ورد ما من امراء الامن بر عد حيفه ومن يعتقد انه ماخوذ
مغلوط عليه قال ولم تحدثني نفسي بالدخول عليه خيفة منه حتى استدعاني
قال فدخلت اليه وقد وصله من دمشق المحروسة فاكهة فقال اطلبوا الامراء حتى
يأكلوا شيئا قال الهروي عفو ما كنت احذره وطلبت الامراء فحضروا وهم خائفون
فوجدوا من بشره وانبساطه ما احدث لهم الطمانينة والامن والسرور وانصرفوا
على عزم الرحيل كأن لم يجر شيء اصلا فانظر الى هذا الحلم الذي لا يأتي في

مثل

مثل هذا الزمان ولا يحكى عن من تقدم من امثاله ح ذكر محافظة على اسباب
المروة قال النبي م بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وكان م اذا صافحه الرجل
لا ينزع يده حتى يكون الرجل هو التارك لها الذي يبدا بذلك ولقد
كان السلطان كثير المروة بذي الوجه كثير الحيا مبسوط الوجه لمن يرد
عليه من الضيوف لا يرى ان يفارقه الضيف حتى يطعم عنده ولا يخاطبه
بشيء الا وكان يكرم الوافد عليه وان كان كافرا ولقد وفد عليه
البرنس صاحب انطاكية فما احس به الا وهو وقف على باب خيمته
بعد وقوع الصلح في شهر شوال سنة ثمان وثمانين وخمسماية عند
مصرفه من القدس الى دمشق في الطريق وطلب منه شيئا فاعطاه
العمق وهي بلاد كان اخذها منه عام فتح الساحل وهي سنة اربع وثمانين
ولقد رايته وقد دخل عليه صاحب صيدا بالناصرة فاحترمه واكرمه
واكل معه الطعام ومع ذلك عرض عليه الاسلام فذكر له طرفا من محاسنه
وحثه عليه وكان يكرم من يرد عليه من المشايخ وارباب العلم والفضل وذوي

الاقدار وكان يوصينا ان لا نغفل من يختار بالخيم من المشايخ المعروفين
حتى نحضرهم عنده وينالهم من احسانه ولقد مر بنا سنة اربع وثمانين وخمسمائة
رجل جمع بين العلم والتصوف وكان من ذوي الاقدار وابوه صاحب توزر
عرض هو عن فن ابيه واشتغل هو بالعلم والعمل وحج ووصل الى البيت
المقدّس ولما قضى لبانته منه ورأى اثار السلطان فيه وقع
له زيارته فوصل الينا العسكر المنصور واحتسب به الا وقد دخل علي
في الخيمة فلقيته ورحبت به وسألته عن سبب ذلك ووصوله فاخبرني
بذلك وانه يوثر زيارة السلطان لما راى من الاثار الحميدة الجميلة
فعرفت السلطان بذلك في ليلة وصول هذا الرجل واحضره وروى عنه
حديثا ثم انصرفنا وبات عندي في الخيمة فلما صليت الصبح اخذ يودعني
فقبحت له المسير بدون وداع السلطان فلم يلتفت وتم يلوي على ذلك فقال
قضيت حاجتي منه ولا غرض لي فيما عدا رؤيته وزيارته وانصرف
من ساعته ومضى على ذلك ليالي فسألني السلطان فاخبرته بفعله فظهر

عليه

عليه اثار التعب كيف لم اخبره برو   وقال كيف يطرقنا مثل هذه

الرجل وينصرف عنا من غير ان نميه منا وشدد النكير على في ذلك   احتـــك

على في ذلك فما وجدت بدا من ان كتبت كتابا الى محيي الدين قاضي دمشق

كلفته فيه كتبها اليه طي كتابي اخبر فيها بانكار السلطان رواحه من غير

اجتماعه به وحسنت له فيها العود وكان بيني وبينه صداقة تقتضي

مثل ذلك فاحسنت به الا وقد عاد   به السلطان وبسط

معه وامسكه اياما ثم خلع عليه خلعة حسنة واعطاه مركوبا الايقا وشيء

كثير يحملها الى بيته وبين جيرانه وانصرف عنه فهو اشكر الناس و

اخلصهم دعاء لايامه ولقد رايته وقد مثل بين يديه اسير افرنجي و

بحيث انه قد ظهر عليه امارات الخوف والجزع فقال له الترجمان من اي شيء

تخاف فاجرى على لسانه ان قال كنت   ان ارى هذا الوجه

فبعد رؤيتي له وحضوري بين يديه ايقنت اني ما ارى الا الخير فرق

له ومن عليه واطلقه ولقد كنت   بعض الايام فيا له الافرنج

وقد وصل بعض التركية ومعه امراة شديدة التخوف كثيرة البكاء متواترة

الدق على صدرها فقال التركي ان هذه خرجت من عند الفرنج فسالت الحضور

بين يديك وقد ابيليها فامر الترجمان ليسالها عن قضيتها فقالت اللصوص

المسلمين دخلوا الى خيمتي وسرقوا بنتي وبت البارحة استغيث الى بكرة فقال

لي الملوك السلطان هو رحيم ونحن نخرجك اليه تطلبين ابنتك امراتك منه فاخرجوني

فما اعرف ابنتي الا منك ورق لها ودمعت عينه وحركت مروته وامر من ذهب

الى السوق العسكر ليسال عن صغيرة من اشتراها ويدفع له ثمنها ويجيبها

وكان قد عرف قضيتها من بكرة يومه فما مضت ساعة حتى دخل وصل

الفارس والصغيرة على كتفه فما كان الا ان وقع نظرها عليها فخرت الى

الارض تمرغ وجهها في التراب والناس يبكون على ما نالها وهي ترفع طرفها

الى السماء فما نعلم ما تقول فسلمت ابنتها اليها وحملت حتى اعيدت الى عسكرهم

وكان لا يرى الاساءة الا صحبة فان افرط في الخيانة ولقد قلب في خزانته

كيسان من الذهب المصري مكيس من الفلوس فما عمل بالنواب شيئا سوى

احرقتم

16

احتهم من علم لا غير ولقد دخل البرنس ارناط صاحب الكرك مع ملوك الفرنج
بالساحل لما اسرهما في وقعة حطين في شهور سنة ثلث وثمانين وخمسمائة
والوقعة مشهورة تجيء مشروحة في موضعها ان شاء الله تعالى وكان قد
امر باحضارهما وكان هذا ارناط اللعين كافرا عظيما جبارا شديدا وكانت
قد اجتازت به قافلة من مصر حين كان بين المسلمين وبينهم هدنة فغدر بها
واخذها ونكل بهم وعذبهم واسكنهم والحبوس الجرح واذكره حديث
الهدنة فقال قولوا لمحمد كم يخلصكم فلما بلغه ذلك عنه نذر انه متى اظفره
الله به قتله بنفسه فلما امكن الله منه في ذلك اليوم قوى عزمه على قتله.
وفاء بنذره فاحضره مع الملك فشكا الملك العطش فاحضر له قدحا
من شراب فشرب منه ثم ناوله ارناط فقال السلطان للترجمان قل للملك
انت الذي اسقيته واما انا فما اسقيته من شرابي ولا اطعمه من طعامي
فقصده انه من اكل من طعامي فالمروة تقتضي ان لا اوذيه ثم ضرب
عنقه وفاء بنذره واحد عكا واخرج الاسارى كلهم من ضيق الاسر وكانوا

زهاء اربعة آلاف اسير واعطا كلا منهم نفقة وخلع عليه ما يكفيه واعدّ عسكرًا

يوصلوا بها الى بلده واهله هكذا بلغني عن الثقة لاني لم احضر هذه

الوقعة وكان حسن العشرة لطيف الاخلاق طيب الفكاهة حافظا

لانساب العرب ووقايعهم عارفا بنسبهم واحوالهم حافظا لانساب خيلهم نسبها

عالما بعجايب الدنيا ونوادرها بحيث كان يستفيد محاضره من غيره

وكان حسن الخلق يسال الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه و

مشربه وتقلبات احواله وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه احد الا

بخير السمع فلا يحب ان يسمع عن احد الا الخير وطاهر لسانه فما رايته ولع

بشتم قط وكان حسن العهد والوفاء فما احضر بين يديه يتيم الا وترحم

على مخلفيه وجبر قلبه واعطاه وجبر مخلفه وان كان له من اهله كبير

يعتمد عليه سلمه اليه والا ابقى له من الخبز ما يكف حاجته وسلمه الى من

يعتني بتربيته ويكفلها وكان ما يرى شيخا الا ويرق له ويعطيه ويحسن

اليه ولم يزل على هذه الاخلاق الى ان توفاه الله الى مقار رحمته ومكان

رضوانه

رضوانه وهذه نبذة من محاسن اخلاقه ومكارم شيمه اختصرت عليها
خوف الاطالة والسام ماسطرت الا ما شاهدته او اخبرني به الثقة بها
وحققته وهذا بعض ما اطلعته عليه في زمان خدمتي له وهو يسير فيما
اطلع عليه غيري من طالت صحبته وتقدمت خدمته ولكن هذا
القدر يكفي اللبيب في الاستدلال على طهارة تلك الاخلاق والخلال حيث
نختم هذا القسم ونشرع الان في القسم الثاني من الكتاب في بيان تقلبات
احواله ووقايعه وفتوحاته في تواريخها قدس الله روحه ونور
ضريحه القسم الثاني في [illegible] احواله وفتوحاته في
تواريخها وذكر حركته الى مصر في [illegible] وفي صحبة عمه اسد الدين
وكان سبب ذلك شاور وزير المصريين كان قد خرج عليه انسان يقال
له الضرغام وكان زبر وم منصبه ومكانه مجمع له جموعا كثيرة لم يكن له
بها قبل وغلب عليه واخرجه من القاهرة وقتل ولده واستولى على المكان
وولي الوزارة وولي عادة المصريين انه اذا غلب شخص صاحب المنصب وكانت

وعجز عن دفعه وعرفوا عجزه وقعوا للقاهرة منهم ورتبوه
فان قوتهم انما كانت تكون بعسكر وزيرهم وهو مقلب عندهم بالسلطان
وما كانوا يرون المكاشفة وقواعدهم مستقرة زمانهم على
هذا المثال فلما قهر شاور واخرج من القاهرة اشتد في طلب الشام قاصدا
خدمة نور الدين بن زنكي مستنصرا على اعدائه بعسكره فتقدم
نور الدين الى اسد الدين شيركوه بالخروج الى مصر المحروسة قضاء واستصرخ
وحسا البلاد وتطلعا الى احوالها وذلك في شهور ثمان وخمسين وخمسمائة
يا هب اسد الدين شيركوه فاستصحبه معه عن كراهة منه
لكان افتقاره اليه وحمله مقدم عسكره وصاحب رايته وساروا حتى وصلوا
الى مصر وشاور معهم في الثاني من جمادى الاخر سنة ثمان المذكورة
وكان وصولهم الى مصر موقعا عظيما وخافه اهل مصر ونصر شاور على خصمه
واعاده الى منصبه ومرتبته وقرر قواعده واستقر امره وشاهد البلاد وعرف
احوالها وعامتها وقد غرس في قلبه الطمع في البلاد وعلم انها بلاد

بغير

١٠٨

بغير حال يغني الامور فيها بمجرد الابهام والمحال وكان ابتداء رحيله عنها
متوجها الى الشام في السابع من ذي الحجة سنة ثمان المذكورة وكان
لا ينفصل امرا ولا يقر حالا الا بمشورته ورايه لما لاح له اثار الاقبال
والسعادة الفكرة الصحيحة واقتران النصح بحركاته وسكناته فاقام بالشام
مدبرا لامره مفكرا في كيفية رجوعه الى البلاد المصرية محدثا بذلك نفسه
مقررا قواعد ذلك الملك العادل نور الدين زنكي الى سنة اثنين و
ستين وخمسماية ذكر عوده الى مصر في الوقعة الثانية وهي معروفة
بوقعة البابين ولم يزل اسد الدين يتحدث بين الناس حتى بلغ شاور
وداخله الخوف على البلاد من الاتراك واعلم ان اسد الدين قد طمع في
البلاد وانه لا بد له من قصدها وكاتب الافرنج وقرر معهم انهم يجيئون
البلاد ويمكنوهم تمكينا كليا ويعينوه على استيصال اعدائه بحيث لا يستقر
قلبه فيها وبلغ ذلك اسد الدين والملك العادل نور الدين واشتد خوفهم
على مصر ان ملكها الكفار فيستولوا على البلاد كلها فتجهز اسد الدين ونفذ

نور الدين معه العساكر والزم السلطان ذلك معه على كراهية منه لذلك
وكان توجههم في ثاني عشر ربيع الاول سنة اثنين وستين وخمسمائة
وكان وصولهم الى البلاد المصرية مقارنا لوصول الافرنج اليها واتفق
شاور مع الافرنج على اسد الدين والمصريون باسرهم وجرت بينهم
حروب كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج عن الديار المصرية و
انفصل اسد الدين وكان سبب عود الفرنج ان نور الدين جرد العساكر
بلاد الفرنج واخذ المنيطرة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم وعادوا
وكان عود اسد الدين ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين
وما عانوه من الشدة وعاينوه من الاهوال وما دحتى صالح الفرنج على
ان ينصرفوا كلهم من مصر وعاد الى الشام في بقية السنة
الى قوة الطمع في البلاد شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه انهم قد كشفوها
كما كشفها وعرفوها من الوجه الذي عرف فاقام على مضض وقلبه مقلقل
والقضاء يجره الى شيء قد قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك ذكر عودة

الوقعة

الوقعة الثالثة وهي التي ملكوها فيها وجرى ما جرى في شهور
سنة اربع وستين وخمسماية ملك نور الدين قلعة المنيطرة بعد مسير
اسد الدين في رجب وخرب قلعة اكاف بالبرية في رمضان منها
اجتمع نور الدين واخوه قطب الدين وزين الدين بحماة للغزاة وساروا
الى بلاد الفرنج فخربوا هونين في شوال منها وفي ذي القعدة كان عود اسد
الدين من مصر وكان سبب ذلك ان الفرنج خذلهم الله جمعوا
راجلهم وفارسهم وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين لجميع ما
تقرر مع المصريين واسد الدين لم يسعهما الصبر دون ان سارعا
الى قصد البلاد اما نور الدين فبالمال والرجال ولم يسر بنفسه خوفاً
على البلاد من الفرنج ولانه كان قد حدث نظر الى جانب الموصل بسبب
وفاة زين الدين بن بكتكين فانه توفي بذي الحجة سنة ثلث وستين
وخمسماية وتسلم ما كان في يده من الحصون الى قطب الدين ما عدا
فانها كلها كانت له من اتابك زنكي ره فحدث لنور الدين الى ذلك

الجانب الطمع بهذا السبب في العسكر واسد الدين فسبقه وملكه واهله و
رجاله واخذ قال لي السلطان كنت اكره الناس للخروج في هذه الوقعة
وما خرجت مع عمي باختياري وهذا معنى قوله تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وكان شاور لما احس بخروج الفرنج الى مصر
على تلك القاعدة انفذ الى اسد الدين يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا
وكان وصولهم الى مصر في اثناء ربيع الاول سنة اربع وستين وخمسماية
ولما عرف الفرنج بوصول اسد الدين الى مصر عن اتفاق بينه وبين
اهلها رحلوا راجعين وعلى اعقابهم ناكصين واقام اسد الدين بها
يتردد اليه شاور في الاحيان وكان وعدهم بمال بمقابلة ما خسروه
من النفقة فلم يوصل اليهم شيئا وعلقت مخاليب اسد الدين في البلاد
وعلموا ان الفرنج متى وجدوا فرصة اخذوا البلاد وترددهم اليها
في ما يفيد وان شاور يلعب بهم تارة وبالفرنج تارة
اخرى وعلموا انه لا سبيل الى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور

على

على قبضه واذا خرج اليهم وكانوا هم يترددون الى الخدمة دون اسد الدين
وهو يخرج في الاحيان الى اسد الدين ركب على قاعدة وزرائهم
بالطبل والكوس والعلم قد عجا سر على قبضه من الجماعة الا السلطان
نفسه وذلك انه لما سار اليهم تلقاه راكبا وسار الى جانبه واخذ
بتلابيبه وامر العسكران اخذ على اصحابه ففروا ونهبهم العسكر
وانزل الى خيمة مفردة وفي الحال جاء التوقيع من المصريين على يد خادم
خاص لا بد من رأسه جريا على عادتهم في وزرائهم في قاعدة فمن
قوي منه على صاحبه فحزت رقبته وانفذ رأسه اليهم وانفذ الى اسد
الدين خلعة الوزارة فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزيرا وذلك
في سابع عشر ربيع الاخر سنة اربع وستين امرا ناهيا والسلطان
مباشر الامور مقرر لها وزمام الامر والنهي مفوض اليه لمكان كفايته
ودرايته وحسن رأيه وسياسته الى الثاني والعشرين من جمادى الاخر
من السنة المذكورة ذكر وفاة اسد الدين مصير الامر الى السلطان وذلك

ان اسد الدين كان كثير الاكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة وتواتر عليه التخم من ويخو امنها بعد مقاساة شدة عظيمة فاخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله في الثاني والعشرين من جمادى الاخرة وفوض الامر بعده الى السلطان واستقرت القواعد واستتت الاحوال على احسن نظام وبذل المال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا فملك وشكر نعمة الله عليه فتاب عن الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه ولا ازداد الا جدا الى ان توفاه الله الى رحمته ولقد سمعت منه يقول لما يسر الله لي الديار المصرية علمت انه اراد فتح الساحل لانه اوقع ذلك في نفسي ومن حين استتب الامر ما زال يبث الغارات على الفرنج الى الكرك والشوبك وبلادهما وغشي الناس من سحائب الافضال والنعم ما لم يورخ عن غير ملك هذا كله وهو وزير متابع القوم ولكنه مقوي لمذهب السنة غارس في البلاد اهل العلم والفقه والتصوف والدين والناس

يهرعون اليه من كل صوب وينفذون عليه من كل جانب وهو لا يخيب
قاصدا ولا يعدم وافدا ولما عرف نور الدين استقرار السلطان عصى
اخذ حمص من نواب اسد الدين وذلك في رجب من سنة اربع وستين
ذكر قصد الفرنج دمياط حرسها الله تعالى ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين
وعساكرهم وما تم للسلطان من الستما   في الديار المصرية على
انه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع اثارهم لما حدث له من القوة
والملك فاجتمع الفرنج والروم جميعا انفسهم بقصد الديار المصرية
والاستيلاء عليها وملكها دارا واقصد دمياط ليمكن القاصد لها
في البر والبحر والعلم   حصلت لهم حصل لهم مغرس قدم فاستصحبوا
المنجنيقات والدبابات والجروخ والات الحصار   لما سمع فرنج
الشام بذلك اشتد امرهم وقووا حصن عكا من المسلمين واسروا صاحبها
وكان مملوكا لنور الدين يسمى خطلج العلم دار وذلك في ربيع
الاخر منها ولما راى نور الدين ظهور امر الفرنج وبلغه نزولهم على دمياط

شغل قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا لها في شعبان من هذه السنة وقصده
فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد
الدين ابن الداية بحلب وفاته في شهر رمضان سنة خمس وستين
فاشتغل قلبه لانه كان صاحب امره فعاد يطلب الشام فبلغه خبر
امر الزلزلة بحلب التي اخربت كثيرا من البلاد المذكوره فسار يطلب
حلب فبلغه موت قطب الدين اخيه بالموصل وكانت وفاته
في ثاني وعشرين من ذي الحجة من السنة المذكوره وبلغه الخبر
وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما علم السلطان شدة
صد والعدو دمياط الى البلد واودعه من الرجال وابطال الفرسان والميرة
والات السلاح ما امن معه عليه ووعد المقيمين فيه بامدادهم بالعساكر
والالات وابعاد العدو عنهم ان نزل عليهم ثم نزل الفرنج في التاريخ
المذكور واشتد زحفهم عليها وقتالهم لها وهو يشن الغارات عليهم من
خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر الله المسلمين وايديهم وحسن

قصدة في نصر دين الله ولسعدهم وينجدهم حتى بان للفرنج الخسران
وظهر على الكفر الايمان وراوا الهزيمة تحوز بروسهم ويسلون نفوسهم
ونحلوا جا بنين خاسرين فحرقت مناجيقهم ونهبت وقتل منهم
خلق كثير وسلم البلد بحمد الله ومنه عن قصدهم وظهر بتوفيق الله
فل حدهم واستقرت قواعد السلطان ذكر طلبه والده ثم انفذ في طلب
والده ليكمل السرور وتتميم الحبور ولجميع القصة مشاكلة لما جرى
للنبي يوسف ع فوصل والده نجم الدين اليه في اثناء جمادى الاخر من
سنة خمس وستين وسلك معه من كان عادته والسير
الامر كله فابى ان يليه وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الامر
وانت كفو له ولا ينبغي ان السعادة محلها في الخزاين ماسرها
ولم يزل السلطان وزيرا محكما حتى مات العاضد ابو محمد عبد الله
وبه ختم امر المصريين فانه اخذ الرقة في المحرم سنة ست وستين
وسار منها الى نصيبين فاخذها في لقيه الشهر واخذ سنجار في

ثم قصد الموصل وقصد ان لا يقاتلها فعبر بعسكره
من مخاضة بلد وسار حتى خيم قبالة الموصل
الحصن وراسل ابن اخيه عز الدين غازي صاحب الموصل وعرفه
صحة قصده فصالحه ودخل الموصل في ثالث عشر جمادى
الاولى وقرر صاحبها فيها وزوجه ابنته واعطاء عماد الدين ابن اخيه
سنجار وخرج من الموصل قاصدا نحو الشام فدخل حلب في شعبان من
هذه السنة ذكر موت العاضد وكان موته في الاثنين العاشر
من المحرم سنة سبع وستين واستقر الملك للسلطان وكان خطب
لبني العباس في اواخر امر العاضد وهو حي حتى كانت الخطبة ابتداؤها
للمستضيء بامر الله واستمرت القواعد على الاستقامة وهو كلما استولى
على خزانة المال ذهبها وكلما فتح له خزائن ملك انهبها ولا يقتني لنفسه
شيئا وشرع السلطان في التاهب للغزاة وقصد بلاد العدو وتعبيه
الامر لذلك وتقرير قواعده واما نور الدين فانه عزم على الغزاة واستدعا
صاحب

صاحب الموصل البراغيه فوصل بالعساكر الى خدمته وكانت غزاة غزوا
واحدها في المحرم سنة ست سبع وستين ذكرا ولـه غزاة غزاها من
الديار المصرية ولم يزل على قدم لبسط العدم ونشر الاحسان واقامة الانعام
على الناس الى سنة ثمان وستين فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد
الكرك والشوبك وانما بدا بهما لانها كانت اقرب اليه وكانت في الطريق
تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن ان تصل قافلة حتى
يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو فاراد توسيع الطريق و
تسهيله لتتصل البلاد بعضها ببعض وليسهل على السابلة فخرج قاصدا
لها فحاصرها وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد عنها ولم
يظفر منها بشيء في ذلك الوقعة وحصل ثواب القصد واما نور
الدين فانه فتح مرعش في ذي حجة من هذه السنة واحدبهنا
في ذي الحجة منها ذكر وفاة نجم الدين ولما عاد السلطان من
غزاته بلغه قبل وصوله الى مصر وفاة ابيه نجم الدين فشق عليه

ذلك حيث لم يحضره وفاته وكان سبب وفاته وقوعه من الفرس وكان ه
شد يد الركض ولها بكعب الكرة بحيث من راح يلعب
يقول ما موت الامير وقوعه عن ظهر الفرس وكانت وفاته
في شهور سنة تسع وستين وراى السلطان قوة عسكره وكثرة عدد
اخوته وقوة باسهم وكان بلغه ان باليمن انسان استولى عليها
ذلك بحصونها وهو يخطب لنفسه يسمى بن مهدي
ويزعم انه ينتشر ملكه الى الارض كلها واستتب الامر فراى ان يسير
اليها اخاه الاكبر شمس الدولة الملك توران شاه وكان كريما
اريحا حسن الاخلاق سمعت منه يكثر الثناء على كرمه وحسن
اخلاقه وترجيحه توجه اليها في اثناء رجب سنة تسع وستين
فمضى اليها وفتح الله على يديه وقتل الخارجي الذي استولى على
معظمها واعطى واغنى خلقا كثيرا ذكر وفاة نور الدين محمود بن
زنكي ره وكانت وفاته بسبب خوانيق اعترته ايضا عجز الاطباء عن
علاجها

علاجها وتوفي يوم الاربعا حادي وعشرين شوال من سنة تسع وستين
وذلك في قلعة دمشق واقام مقامه ولده الملك الصالح اسماعيل ولقد حكى
لي السلطان قال كان بلغنا عن نور الدين انه قصدنا بالديار المصرية
وكانت جماعة اصحابنا يشيرون بان نكاشف ونخالف ونشق
عصاه ونلقى عسكره بمصاف نرده اذا تحقق قصده وكنت وحدي
اخالفهم وتقول لا يجوز ان يقع شيء من ذلك ولم يزل النزاع بيننا
حتى وصل الخبر بوفاته ذكر منافقة الكنز باسوان وذلك في شهور
سنة تسع وستين والكنز انسان مقدم المصريين كان قد التجى الى
اسوان فاقام بها ولم يزل يدبر امره ويجمع السودان عليه ويخيل
لهم انه يملك البلاد ويعيد الدولة المصرية وكان في قلوب القوم
من مهاواة المصريين ما تستصغر هذه الافعال عنده فاجتمع عليه خلق
كثير وجمع وافر وقصدوا قوص واعمالها وانتهى خبره الى السلطان
فجرد له عسكرا عظيما شاكين في السلاح من الذين ذاقوا حلاوة الملك

وخافوا على ذلك منهم وقدم عليهم اخاه الملك العادل سيف الدين وسار
لهم حتى التى القوم فلقيهم عصابا فكسرهم وقتل منهم خلقا عظيما واستاصل
شافتهم ولخذهم ثايرتهم في السابع من صفر سنة سبعين واستقرت
قواعد الملك واستوت امور ولله الحمد والمنة ذكر قصد الفرنج ثغر
الاسكندرية حرسها الله تعالى وذلك ان الفرنج لما علموا تغيرات الاحوال
بالديار المصرية وتقلبات الدول بها داخلهم الطمع في البلاد وجردوا
عساكرهم في البحر وكانوا في ستماية قطعة مابين ثاني طراده وبطسة
وغير ذلك وكانوا في ثلثين الف على ماذكر ونازلوا الثغر وذلك
في اثناء اشهر صفر في السابع منه من هذه السنة سنة سبعين فاتكة
السلطان بالعساكر المنصورة وتحركه وداخل الله في قلوبهم من الخوف
والرعب مالم يمكنهم الصبر   خايبين خاسرين بعدان
ضايقوا الثغر وزحفوا عليه ثلثة ايام وقاتلوا قتالا شديدا وعصمه
الله سبحانه بحركة السلطان عنهم ما تثبتوا ان خلفوا مناجيقهم

ورماههم

وراثم فخرج اهل البلد الى نهبها واحراقها عظمها ومن اعظم
النعم على المسلمين وامارة كل سعادة ذكر خروج السلطان الى الشام
واخذه لدمشق واما نور الدين فانه خلف ولده الملك الصالح اسمعيل
وكان بدمشق وكان بقلعة حلب ابن الداية شمس الدين علي شاذ بخت
وكان قد حدث نفسه بامور فسار الملك الصالح من دمشق الى حلب فوصل
ظاهرها ثاني المحرم ومعه سابق الدين فخرج بدر الدين للقائه
فقبض على سابق الدين ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس
الدين واخيه حسن واودع الثلثة السجن وفي ذلك اليوم قتل ابن
الخشاب ابو الفضل لفتنة جرت بحلب ذكروا انه قتل قبل امساك
اولاد الداية بيوم لانهم تولوا ذلك ولما تحقق السلطان وفاة نور
الدين وكون ولده طفلا لا ينهض باعباء الملك ولا يستقل بدفع
عدو الله عن البلاد تجهز للخروج الى الشام اذ هو اصل بلاد الاسلام
فتجهز بجمع كثير من العساكر وخلف في الديار المصرية من يستقل بحفظها

وحراستها ونظام امورها وسياستها وخرج وهو يرامع جمع من اهله
واقاربه وهو يكاتب اهل البلاد وامراها واختلف كلم اصحاب
الملك الصالح واختلت تدابيرهم وخاف بعضهم من بعض وقبض
على جماعة منهم كان سبب خوف الباقين من فعل ذلك وسببا
لتغير قلوب الناس عن الصبي فافتقر الحال الى ان كان شمس الدين بن
المقدم السلطان ووصل البلاد مطالبا بالملك الصالح هو الذي يتولى
امره ويرب حاله فيقوم له ما اعوج من امره فوصل دمشق ولم
يسبق عليه عصا ودخلها بالتسليم في يوم الثلثا سلخ ربيع الآخر
سنة سبعين وتسلم قلعتها وكان اول دخوله الى دار ابيه واجتمع الناس
اليه وفي جوابه وانفق في ذلك اليوم في الناس مالا طويلا واظهر
الفرح والسرور بالدمشقيين واظهروا الفرح به وصعد القلعة
واستقر قدمه في ملكها فلم يلبث ان سار في طلب قلعتها فنازل حصا فاحد بنه
في جمادى الاولى سنة سبعين ولم يشتغل بقلعتها وسار حتى اتى حلب

وبازلها

٢٠٦

ونازلها في يوم الجمعة سلخ الشهر المذكور وهي الوقعة الاولى ذكر سيف الدين اخاه عز الدين الى القائه ولما احس سيف الدين صاحب الموصل بما جرى علم ان الرجل قد استفحل امره وعظم شانه وعلت كلمته وخاف انه ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقر قدمه في الملك وتعدى الامر اليه فجهز عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه اخاه عز الدين يريدون لقاء السلطان وضرب المصاف معه ورده عن البلاد

ولما بلغ السلطان ذلك رحل رجب من السنة المذكورة عايدا الى حماة وسار الى حمص فاشتغل باخذ قلعتها فاخذها ثم وصل عز الدين الى حلب وانضم اليه من كان بها من العسكر وخرجوا بجمع عظيم ولما عرف هو بسيرهم سار حتى وافاهم في قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد من يصالحوه فما صالحوه وراوا ان المصاف ربما نالوا به الغرض الاكبر والمقصود الاوفر والقضاء يجر الى امورهم ما لا يشعرون فقام المصاف بين العسكرين بقضاء الله ان انكسروا بين يديه واسر جماعة

منهم ومن علمهم واطلقهم وذلك في تاسع عشر رمضان سنة سبعين
ايضا ثم صار عقيب انكسارهم ونزل على حلب في الدفعة الثانية و
صالحوه على ان اخذ المعرة وكفرطالب واخذ بارين وذلك في اواخر
هذه السنة ذكر مسير سيف الدين بنفسه ولما وقعت هذه
الواقعة كان سيف الدين على سنجار محاصر اخاه عماد الدين يقصد
اخذها منه ودخوله في طاعته وكان قد اظهر اخوه الانتما الى السلطان
واعتصم بذلك واشتد سيف الدين في حصار المكان وضربه بالمنجنيق
حتى استهدم من سوره ثلم كثيرة واشرف على الاخذ فبلغه وقوع هذه
الوقعة فخاف ان يبلغ ذلك اخاه فيشتد امره فراسله الى الصلح
فصالحه ثم سار في وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق
فيها وسار حتى الى الفرات عبر بالبيرة وخيم على جانب الفرات الشامي
وراسل المشتكين والملك الصالح حتى يستقر قاعدة يصل اليهما عليها ثم
وصل المشتكين اليه وجرت مراجعات كثيرة وعزم فيها الى العود مرارا

حتى

قريب عتنفه
حتى انقراجتماعه بالملك الصالح الى لقائه بنفسه فالتقاه القلعة وا
وضمه اليه وبكا ثم امره العود الى القلعة فعاد اليها وسار حتى نزل
بعين المباركة واقام بها مدة وعسكر حلب يخرج الى خدمته في كل
يوم وصعد القلعة جريدة واكل فيها وينزل وسار راحل
الى تل السلطان ومعه الديار بكرية وجمع كثير فالسلطان قد انفذ في
حزون
طلب العساكر مصر وهو يترقب وصولها وهولاء يتا
في امورهم وتدابيرهم وهم لا يستغرزان في التاخير تدبيرا
عسكر مصر فساره حتى الى قرون حماة فبلغهم انه قارب عسكره
فاخرجوا الترك وجهزوا ان يكتشف قد وصل جريدة الى حيا
لك
التركمان وتفرق عسكره ليسقي فلو اراد الله نصرهم بقصدوه في ذ
الساعة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا فصبروا عليه حتى سقى
ف
خيله وعسكره وا وتعبوا نفسه القتال واصبح القوم على مصا
العسكر
ذلك في بكرة الخميس العاشر من شوال سنة احدى وسبعين فالتقى

ان وتصاد وماجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة السلطان عمر بن زين
الدين مظفر الدين فانه كان في ميمنه سيف الدين وحمل السلطان
عليه بنفسه فانكسر القوم واسر منهم جمعا عظيما من كبار الامرا منهم
فخر الدين عبد المسيح فمن عليهم واطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب
المحروسة فاخذ منها خزانته وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده وامسك هو
عن تتبع العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم فانهم
كانوا قد ابقوا الثقل على ما كان عليه والمطابخ قد عملت ففرق الاصطبلات
وذهب الخزائن واعطى خيمة (سيف) الدين عز الدين فرخ شاه وسلك الى منبج
وتسلمها من بقية الشهر المذكور وسار حتى نزل على قلعة اعزاز يحاصرها
وذلك في رابع ذي القعدة سنة احدى وسبعين وعليها وثب الاسماعيلية
عليه فنجاه الله من كيدهم وظفر بهم ولم يثنه ذلك عن عزمه واقام
عليها حتى اخذها وذلك في رابع ذي الحجة من السنة وسار حتى نزل على
حلب في سادس عشر منه فاقام مدة ثم سار عنها فاخرجوا اليه ابنته نور

الدين

الدين صغيرة وسالت منه اعواز وقوجها اياها في بقية الشهر ايضا وصل
سمس الدولة واخوه من اليمن الى دمشق واقام بها مدة ثم عاد الى
الديار المصرية وتوفي بالاسكندرية مستهل صفر سنة ست وسبعين
ثم ان السلطان عاد الى الديار المصرية ليتفقد احوالها وتقرير قواعدها
وكان مسيرة اليها في ربيع الاول من شهور سنة اثنين وسبعين واستخلف
اخاه شمس الدولة بدمشق فاقام بها مدة الى ان قرر بقواعدها وسير
خلفها وارواح العسكر ثم تاهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى
وافا الفرنج على الرملة وذلك في اوايل جمادى الاولى سنة ثلث و
سبعين ذكر كسرة الرملة وكان مقدم الفرنج البرنس ارناط وكان
قد سع بحلب فانه اسيرا بها من زمن نور الدين وجرى
خلل في ذلك اليوم على المسلمين ولقد حكى السلطان صورة الكسرة في ذلك
اليوم وذلك ان المسلمين كانوا قد تعبوا بقية القتال ولما قرب العدو
راى بعض الجماعة ان يقر الميمنة الى جهة الميسرة جهة الميمنة

ليكونوا حالة اللقاء وراء ظهورهم تل المعروف بارض الرملة فيما اسعلوه
بهذا التعبية هجمهم الافرنج وقدر الله كسرهم فانكسروا كسرة عظيمة
ولم يكن لهم حصن قريب ياوزوا اليه فطلبوا جهة الديار المصرية
وضلوا في الطريق وتبددوا واسر منهم جماعة منهم عيسى وكان
عظيما جبره وقعة حطين المشهورة ولله الحمد واما الملك
الصالح فانه تخبط امره وقبض كمشتكين صاحب دولته وطلب
منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقتله ولما سمع الفرنج بقتله نزلوا
على حارم طمعا فيها وذلك في جمادى الاخرى سنة ثلث وسبعين
وقاتلها عسكر الملك الصالح بعساكر الفرنجية ولما راى اهل القلعة خطرها
من جانب الفرنج سلموها الى الملك الصالح في العشر الاخر من شهر رمضان
من السنة المذكورة ولما عرف الفرنج ذلك رحلوا عن حارم طالبين
بلادهم ثم عاد الملك الصالح الى حلب ولم يزل اصحابه على اختلاف
يميل بعضهم الى جانب السلطان حتى بلغه عصيان عز الدين فليج تل
خالد

خالد فاخرج اليه العسكر وذلك في عاشر المحرم سنة ست وسبعين
ثم بلغه وفاة ابن عمه سيف الدين صاحب الموصل وكانت وفاته
في ثالث صفر من هذه السنة وولي مكانه اخوه عز الدين مسعود
في الخامس منه وكانت وفاة شمس الدولة بالاسكندرية ذكر عود
الى الشام لما عاد السلطان بعد الكسرة الى الديار المصرية واقام بها ريثما ل
لناس شعثهم وعلم بتخبط الشام عزم على العود اليه وكان عوده الى
للغزاة فبلغه رسول قليج ارسلان يلتمس من السلطان الموافقة و يستغيث
اليه في الارمن فاشتمل نحو بلاد ابن لاون لنصرة قليج ارسلان ونزل
بقرا حصار واحد عسكر حلب في خدمته لانه قد اشترط في الصلح
فاجتمعوا على النهر الازرق بين بهنسى وحصن منصور وعبر منه الى
النهر الاسود وطرق بلاد ابن لاون واخذ منهم حصنا واخربه وبذلوا
له اسارى والتمسوا منه الصلح وعاد عنه ثم راسله قليج ارسلان في صلح
الشرقيين باسرهم واستقر الصلح وحلف السلطان في عاشر جمادى الاولى

سنة ست وسبعين ودخل في الصلح قليج ارسلان والمواصلة وديار
بكر وكان ذلك على نهر سنجة وهو نهر يرمى   وسار السلطان
نحو دمشق **ذكر وفاة الملك الصالح** ووصول عز الدين الى حلب
في سنة ست وسبعين مرض الصالح بالقولنج وكان اول مرضه في تاسع
رجب وفي ثالث عشر منه غلق باب القلعة لشدة مرضه واستدعاء
الامراء واحدا   والعز الدين صاحب الموصل وفي خامس عشرين
منه توفي رحمه وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس ولما   اعلام
عز الدين مسعود بن قطب الدين بذلك واعلامه بما جرى له من الوصية
اليه وتحليف الناس له فسارع سائرا الى حلب مبادرا خوفا من السلطان
وكان اول قادم من امرائه الى حلب مظفر الدين بن زين الدين صاحب
سروج ووصل معهما حلف جميع الامراء وكان وصولهم في ثالث شعبان
من السنة المذكورة **ذكر مقايضة عز الدين اخاه عماد الدين**
بالبلاد ثم اقام عز الدين بقلعة حلب الى سادس عشر شوال وعلم انه لا يمكنه

حفظ

خفظ الشام مع الموصل لجاه الى ملازمة الشام لاجل السلطان والح
عليه الامراء لطلب الزيادات وراوا انفسهم انهم قد اختاروه وضاق
عطنه وكان صاحبه امير مجاهد الدين قايماز وكان ضيق العطن
لم يعتد بمقاساة امراء الشام فنزل من قلعة حلب طلبا للرقه وخلف
ولده مظفر الدين بها وسار حتى اتى الرقه والقيه اخوه عماد الدين
عن قرار بينهم واستقر مقايضة حلب بسنجار وحلف عز الدين
لاخيه على ذلك في حادي وعشرين شوال وسار من جانب عماد الدين
من تسلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار في ثالث عشر محرم
سنة ثمان وسبعين صعد عماد الدين الى قلعة حلب ذكر عود
السلطان من مصر واما السلطان فانه لما وقع الصلح على قليج
ارسلان صعد الى الديار المصرية وتخلف ابن اخيه عز الدين فرخ شاه
واليا لما بلغه وفاة الملك الصالح عزم على العود الى الشام خوفا على
البلاد من الفرنج وبلغه ايضا وفاة فرخشاه واشتد عزمه الى دمشق في

في سابع عشر صفر سنة ثمان وسبعين ثم انشاء التاهب لغزاة بيروت
فانه عبر على الفرنج في عوده من مصر مكابرة من غير الصلح فقصد بيروت
ونزلها ولم ينل منها غرضا واجتمع الفرنج ورحلوا عنها ودخل الى دمشق
وبلغه ان رسل الموصل وصلوا الى الفرنج يحثونهم على قتال المسلمين
فعلم انهم نكثوا اليمين وانشا العزم على قصدهم لجمع كلمة العساكر الاسلامية
على عدو الله فاخذ في التاهب لذلك فلما بلغ ذلك عماد الدين سير
الى الموصل يخبره بالخبر ويستحث العساكر وسار السلطان حتى نزل على
حلب في ثامن عشر جمادى الاولى من هذه السنة واقام ثلثة ايام
ورحل في الحادي والعشرين يطلب الفراة وانتقل الحال بينه وبين
مظفر الدين وكان صاحب حران وكان قد استوحش من جانب الموصل
وخاف من مجاهد الدين فالتجى الى السلطان وعبر الى قاطع الفراة وقوى
عزمه على البلاد وسهل امرها عنده ودخل الرها والرقة ونصيبين و
سروج ثم سحن اقطعه ذكر نزوله على الموصل وكان نزوله عليه

في هذه الوقعة في يوم الخميس حادي عشر رجب   في
الموصل فسيرت رسولا الى بغداد قبيلا بايام قلائل فسرت مسرعا في الداخلة
واتيت بغداد في يومين لساعتين من اليوم الثالث مستنجدا اليهم
فلم يحصل منهم سوى الانفاد الى شيخ الشيوخ وكان في يومين صحبه
رسولا من جانبهم يامرونه الحديث معه ويتلطف الحال معه وسير
الى بهلوان رسولا من الموصل يستنجده فلم يحصل من جانبه سوى شرط
كان الدخول تحته اخطر من حرب السلطان ثم اقام السلطان على الموصل
اياما وعلم انه بلد عظيم منه شيء بالمحاصرة على هذا الوجه وراى ان طريق
اخذه اخذ قلاعه وما حوله من البلاد واضعافه بطول الزمان
فرحل عنها الى نصيبين ذكر قضية   صاحب اخلاط وذلك
ان اصحاب الموصل انفذوا اليه واستنجدوا به وطرحوا انفسهم عليه
فخرج من اخلاط لنصرتهم ونزل حرزم وسير الى عز الدين صاحب الموصل
اعلمه فخرج اليه وذلك في خامس عشر من شوال فسار حتى اجتمع

به وصاحب ماردين ووصل جماعة من عسكر حلب كل ذلك للقاء السلطان
وارسل شاه ارمن بكتمر الى السلطان يخاطبه في الصلح متوسلا
بشيخ الشيوخ فلم ينتظم منهم حال ورحل السلطان الى شاه ارمن فلما
سمع شاه ارمن وصول السلطان ولى راجعا الى بلاده وعاد عز الدين
الدين الى بلاده وتفرقوا وسار السلطان يطلب بلد امد فنزل عليها
واخذها في ثمانية ايام وذلك في اول المحرم سنة تسع وسبعين و
اعطاها نور الدين بن قرا ارسلان ومن عليه   بجميع ما كان
فيها من الاموال وغيرها ثم سار يطلب الشام لقصد حلب وفي
هذه المدة خرج عماد الدين وحرب   وحرب حصن كفرلاثا
واخذها من بكمش فانه كان قد صار مع السلطان في ثاني وعشرين
جمادى الاولى من السنة   باسر وكان صاحبها ولد رم البارد
وفي قد صار مع السلطان فلم يقدر عليها وجرى غارات من الافرنج في
البلاد بحكم اختلاف العساكر ودفعهم الله تعالى وتسلم الكرزين ثم عاد الى حلب

ذكر

ذكر عود السلطان الى الشام ولما عاد الى الشام بدا بتل خالد فنزل عليها
وقاتلها واخذها في ثاني وعشرين المحرم سنة تسع وسبعين ثم سار
طالبا حلب فنزل عليها في سادس وعشرين وكان اول نزوله بالميدان
الاخضر واستدعى العساكر في الجوانب واجتمع خلق عظيم وقاتلها قتالا
شديدا وتحقق عماد الدين انه ليس له به قبل وكان قد ضرس من اقتراح
الامراء وجبهم فاشار الى حسام الدين طمان ان يسفر له مع السلطان
في اعادة بلاده وتسلم حلب له واستقرت القاعدة ولم يشعر احد
من الرعية ولا من العسكر حتى تم الامر واحكمنا القاعدة واستفاض
ذلك واستعلم العسكر منه ذلك فاعلمهم واذن في تدبير انفسهم وانفذوا
عنهم عز الرعية عز الدين جرديك النوري وزين الدين فقعدوا عنه
الى السلطان واستحلفوه على العسكر وعلى اهل البلاد وذلك في السابع
صفر وخرجت العساكر الى خدمته الى الميدان الاخضر ودحضروا
حلب وخلع سوء عليهم وطيب قلوبهم واقام عماد الدين بالقلعة

لتقضي اشغاله ونقل اقمشته وخزاينه والسلطان مقيم بالميدان الاخضر
الى ثالث عشرين صفر وفيه توفي تاج الملوك اخوه من جرح كان
اصابه وشق عليه امر موته وجلس للعزاء في ذلك اليوم نزل عماد الدين
الى خدمته وعزاه وتقررت بينهما قواعد وانزله السلطان في خيمته
وقدم له تقدمة سنية وخيلا جميلة وخلع على جماعة من اصحابه
وصار عماد الدين من يومه الى قراحصار سايرا الى سنجار وصعد السلطان
قلعة حلب مسرورا منصورا وعمل له حسام الدين طمان دعوة سنية
وكان قد تخلف لاخذ ما تخلف لعماد الدين من قماش وغيره و
كان قد انفذ الى حارم من يتسلمها ودافعهم الوالي وانفذ الاجناد الذين
بها يستحلفونه فحلف لهم وسار من وقته الى حارم فوصلها في تاسع
وعشرين صفر وتسلمها وبات بها ليلتين وقرر قواعدها وولى فيها
ابراهيم بن شيركوه وعاد الى حلب ودخلها في ثالث ربيع الاول سنة ثم
اعطى العساكر دستورا وسار كل منهم الى بلاده واقام لتقرير قواعد حلب

يدبر

٣٤

يدبر احوالها وامورها [illegible] الى [illegible] ن [illegible] الوت ولم تقم في حلب الا الى ثاني
دمشق
وعشرين ربيع الاخر واشتغل بها الى الغزاة فخرج ذلك اليوم مبرزا نحو
واستنهض العساكر فخرجوا يتبعونه ولم يزل يواصل بين المنازل حتى دخل
دمشق   جمادى الاول فاقام بها متاهبا الى سابع وعشرين
منه ثم برز بذلك اليوم على جسر الخشب   مبرزه فاقام به تسعة
ايام ثم رحل في ثامن جمادى الاخر وسار حتى اتى الفوار وتعبا فيه للحرب
وسار حتى نزل القصرهات واصبح على المخاض وعبر وسار حتى اتى بيسان
فوجد اهلها قد توجهوا عنها وتركوا ما كان من ثقيل الاقمشة والغلال والا[illegible] مسعر
بها فنهبها العسكر وغنموا وحرقوا ما لم يمكن اخذه وسار حتى اتى الجالوت
وهي قرية عامرة وعند عين جارية فخيم بها وكان قد قدم عز الدين
جرديك وجماعة من المماليك النورية وجاولي مملوك اسد الدين حتى
يكشفوا خبر الافرنج فاتفق انهم صادفوا عسكر الكرك والشوبك سائرين
نجدة للفرنج فوقع اصحابنا عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واسروا منهم زهاء عن

عن مائة نفر وعادوا ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد يدعى بهرام
الشادوس فوصل اليه في بقية اليوم الكسرة هو التاسع من جمادى الاخر
فاستبشر المسلمون بالنصر والظفر ولما كان السبت حادي عشر وصل
الخبر اليه ان الفرنج قد اجتمعوا في صفورية ورحلوا الى الفولة وهي قرية
معروفة وكان عرصة المصاف فلما سمع بذلك تعبا للقاء ورتب
الاطلاب ميمنة وميسرة وقلبا وسار للقاء العدو وسار الفرنج طالبين
المسلمين لو قعت العين في العين واخرج السلطان الجاليش خمسمائة
رجل معروفة فواقعوا الفرنج وجرى قتال عظيم وقتل من العدو جماعة
ولم ينضم بعضهم الى بعض حمى راجلهم فارسهم ولم يخرجوا للمصاف
ولم يزالوا سائرين حتى اتوا العين ونزلوا عليها ونزل السلطان حولهم و
القتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا الى المصاف وهم لا يخرجوا لعلمهم من المسلمين
انهم في كثرة عظيمة ولما راى انهم لا يخرجوا راى الانتزاح عنهم لعلهم يرجلون
فيضرب معهم مصافا فرحل نحو الطور وذلك في سابع عشر هذا الشهر

فنزل

تنزل عب الحيل مترقبا لرحيلهم لياخذهم فرصدوا واصبح الفرنج في ثاني من
عشر راحلين راجعين على اعقابهم بالكضيف وخيل رح نحوهم وجرى
من رمي النشاب واستنهاضهم للمصاف امور عظيمة فلم يخرجوا ولم يزل
المسلمون حولهم حتى نزلوا المولد المقدم ذكرها راجعين الى بلادهم فلما راو
المسلمون ذلك اجتمعوا على السلطان واشاروا بالعود لفراغ ازوادهم وكان
قد مثهم بالقتل والاسر خربت عمر بلا وقلعة بيسان وزرعين وهي من
حصونهم المذكورة وخربت عليهم فراباعة فعاد منصورا مظفرا دستورا
حتى نزل القوار واعطى الناس دستورا من اثر المسير ثم سار هو حتى
الى دمشق فدخلها فرحا مسرورا في يوم رابع وعشرين من
هذا الشهر فانظروا الى هذه الهمة التي لم يشغلها عن الغزاة احد جلب
ولا انظر بها بل كان حسن استعانته بالبلاد على الجهاد فالله
جزاه في الآخرة كما وفقه الاعمال المرضية في الدنيا ذ[illegible]
الكرك ثم انه اقام بدمشق الى ثالث رجب سنة تسع وسبعين وخرج

مرارا نحو الكرك وكان قد سير الى الملك العادل وهو بمصر يتقدم عليه
بالاجتماع به على الكرك فبلغه خبر حركته من مصر للقائه وسار حتى
اتى الكرك ووافاه الملك العادل عليها وقد خرج معه خلق عظيم من
تاجر وغير تاجر فذلك في رابع شعبان من هذه السنة وكان قد بلغ
الفرنج خبر خروجه   براجلهم وفارسهم نحو الكرك للدفع عنه
ولما انتهى ذلك اليه سير الملك المظفر تقي الدين الى مصر وذلك في
خامس عشره وفي السادس عشر منه نزلت الفرنج على الكرك وتزحزح
السلطان عنه بعد ان قاتل قتالا عظيما وعليه قتل شرف الدين بن عنش
النووي شهيدا ... الملك العادل حلب ثم رحل
السلطان مستصحبا اخاه الملك العادل معه الى دمشق لايابسة الكرك
بعد نزول الفرنج عليها فدخل دمشق في رابع وعشرين شعبان و
اعطا اخاه الملك العادل حلبا بعد مقامه بدمشق الى ثاني شهر رمضان
وكان بها ولده الملك الظاهر ومعه سيف الدين يازكج   امره وابن

العميد

٣٥

العميد في البلد وكان الملك الظاهر ومعه سيف الدين يازكج من احب

الاولاد الى قلبه لما قد خصه اليه من الشهامة والفطنة والعقل وحسن

الصمت   بالملك وظهور ذلك كله كان ابر الناس بوالده واطوعهم

له ولكن اخذ منه حلبا مصلحة راها فخرج من حلب لما دخل الملك

العادل هو ويازكج سايرين الى خدمة السلطان فدخل دمشق ثامن و

عشرين من شوال فاقام في خدمت ابيه لا يظهر له الا الطاعة والانقياد

ومع انكار في باطنه لا يخفى عن نظر والده وفي ذلك الشهر وردنا

على السلطان من جانب الموصل وكان قد   الخليفة الناصر لدين الله

في انفاذ شيخ الشيوخ بدر الدين رسولا وشفيعا الى السلطان بحيث

يتردد اليه اذا كان عنده في معظم   ذ   الا   خدمته س

وكان الشيخ قد وصل الى الموصل وسار منها في صحبة القاضي محيي الدين ابن

كمال وكان منهم صحبة من الصبي وكنت مع القوم وسرنا حتى اتينا دمشق

وخرج السلطان الى لقاء الشيخ ونحن في خدمته فلقيه عند كان دخولنا

الى دمشق يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من هذه السنة ولقينا
من السلطان كل جميل مما الاكرام والاحترام واقمنا اياما ما يراجع
في فصل حال فلم يتفق صلح في تلك الوقعة وخرجنا راجعين الى الموصل
وخرج السلطان الى وداع الشيخ الى القصر واجتهد في ذلك اليوم
ان ينفصل شغل فلم يتفق وكان من جانب محيي الدين فان السلطان
اشترط ان يكون صاحب اربل والجزيرة على خيرتهما في الانتماء اليه
او الى الموصل فقال محيي الدين لابد من ذكرهما في النسخة فوقف الحال وكان
مسيرنا سابع ذي الحجة وفي تلك الدفعة عرض على السلطان موضع
ايها دمشق ومصر على لسان الشيخ فاعتذرت ولم افعل خوفا من ان يحال
بوقف الحال علي ومن تلك الدفعة اثبت في نفسه الشريفة مني امرا لم
اعرفه الا بعد خدمتي له واقام السلطان بدمشق ترد عليه الرسل
من الجوانب فوصل رسول سنجرشاه صاحب الجزيرة فاستحلفه لنفسه في
انتمائه اليه ورسول اربل وحلف لهم وساروا ووصل اليه اخوه الملك العادل

رابع

٣٠٦

٧١

رابع ذي الحجة فاقام عنده وعيد وتوجه الى حلب المحروسة ذكر
... الى ... فوصل اليه ابن قرا ارسلان نور الدين الى حلب
ثامن عشر صفر سنة ثمانين فاكرمه الملك العادل اكراما عظيما الى
القلعة وباسط ورحل معه طالبا دمشق في سادس وعشرين منه وكان
السلطان قد مرض اياما ثم شفاه الله تعالى ولما بلغه وصول قرا ارسلان
خرج الى لقائه وكان السلطان يكارم الناس مكارمة عظيمة فالتقاه
على عين الجبر بالبقاع وذلك في تاسع ربيع الاول ثم عاد الى دمشق وحلف
نور الدين واصلا مع الملك العادل فتاهب للغزاة وخرج مبرزا الى
جسر الخشب في منتصف ربيع الاول وفي رابع وعشرين منه وصل
الملك العادل ومعه ابن قرا ارسلان الى دمشق فاقاموا بها اياما ثم
رحلوا ليلحقوا بالسلطان من راس الماء طالبا الكرك فاقام قريبا منها
اياما ينتظر وصول الملك المظفر من مصر الى تاسع عشر ربيع الاخر
ووصل الى خدمته ومعه بيت الملك العادل وخزانته فسيرهم الى الملك

العادل ونقدم اليه وان بقية العساكر بالوصول اليه الى الكرك فتتابعت

العساكر الى خدمته حتى احدقوا بالكرك وذلك في رابع جمادى

الاول وركب المناجيق على المكان وقد التقت العساكر المصرية

والشامية والجزرية ايضا مع قرا ارسلان ولما بلغ الفرنج ذلك خرجوا

براجلهم الى الذب عن الكرك وكان على المسلمين منه ضرر عظيم

فانه كان يقطع عن قصد مصر بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج

الا مع العساكر الجمة الغفيرة فاهتم السلطان بامره ليكون الطريق سابلة

الى مصر ولما بلغ السلطان ذلك الصرح تعبا للقاء وامر العساكر

ان خرجت ظاهر الكرك وسير الثقل نحو البلاد وبقي العسكر جريدة

ثم سار السلطان بقصد العدو وكان الفرنج قد نزلوا بموضع يقال له الوالة

وسار حتى نزل على قرية يقال لها حسبان قبالة الفرنج ورحل منها الى موضع

يقال له ماعين والفرنج مقيمين بالوالة الى سادس عشرين من جمادى

الاولى ثم رحلوا قاصدين الكرك فسار بعض العسكر وراهم فقاتلهم الى

اخر

اخر النهار ولما راى قدس الله روحه تصميم الفرنج على الكرك امر العساكر
ان يدخلوا الساحل لخلوه عن العساكر فهجموا نابلس ونهبوها وغنموا ما
فيها ولم يبق فيها الا حصنها واخذوا جاينين والتحقوا السلطان براس
الماء وقد نهبوا واسروا واحرقوا وخربوا واتفق دخول السلطان الى
دمشق يوم السبت سابع جمادى الاخر ومعه الملك العادل ونور الدين
بن قرا ارسلان فرحا مسرورا واكرمه واحترمه واحسن اليه وفي هذه
الشهر وصل الى رسول الخليفه ومعه الخلع فلبسها السلطان والبس
اخاه الملك العادل وابن اسد الدين خلعا جاءت لهم وفي رابع عشر
الشهر خلع السلطان خلعة الخليفه على بن قرا ارسلان واعطاه دستورا
واعطاه العساكر في ذلك التاريخ دخلت رسل من زين الدين
مستصرخا الى السلطان بان عسكر الموصل وعسكر قزل نزلوا مع
مجاهد الدين قايما على اربل وانهم نهبوا واحرقوا وانه نصر عليهم وكسرهم وا
ذ [illegible] في الوقعة الثانية ولما سمع

السلطان ذلك رحل من دمشق يطلب البلاد وتقدم الى العساكر فتبعته
وسار حتى اتى حران على طريق السرة والتقى مظفر الدين بالبيرة في الثاني
عشر المحرم سنة احدى وثمانين وتقدم السلطان الى سيف الدين المشطوب
ان يسير في تقدمه العسكر الى رأس العين ووصل السلطان حران ثاني
وعشرين منه قبض على مظفر الدين زين الدين بشيء كان قد جرى منه
وحديث كان بلغه عنه رسول ولم يقف عليه وانكره واخذ منه قلعة
حران الرها ثم اقام في الاعتقال الى مستهل ربيع الاول ثم خلع عليه
وطيب قلبه واعاد عليه قلعة حران وبلاده التي كانت بيده واعاده
الى الاكرام والاحترام ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ووعد
بها ثم رحل السلطان ثاني ربيع الاول الى راس العين وفي ذلك رسول العين
قليج ارسلان عن الموصل وماردين والهم على عزم ضرب المصاف
معه ان اصر على ذلك فرحان بطلب تيسر فوصله ثامن ربيع
الاول عماد الدين بن قرا ارسلان ومعه عسكر نور الدين صاحب ماردين

واحترمهم

ولحق بهم ثم رحل من دنيسر حادي عشره نحو الموصل حتى نزل
موضع يعرف الاسماعيلان قرب الموصل بحيث يصل من العسكر
كل يوم نوبة جديدة يحاصر الموصل فبلغ عماد الدين بن قرا ارسلان
موت اخيه نور الدين فطلب من السلطان دستورا طمعا في ملك اخيه
فاعطاه دستورا [illegible] صاحب اخلاط ولما كان ربيع
الاخر سنة احدى وثمانين توفي شاه ارمن صاحب اخلاط وولي بعده غلام
بكتمر وهو الذي وصل رسولا الى خدمة السلطان بسنجار فعدل حسن
الى اهل اخلاط وكان متصوفا في طريقته فاطاعه الناس ومالوا اليه
ولما ملك اخلاط امتدت نحو الاطماع لموت شاه ارمن فسار نحوه
بهلوان الذكر فلما ذكره ذلك سير الى خدمة السلطان من يقرر معه بلغه
تسليم اخلاط اليه واندراجه في جملته واعطاوه ما رضيه فطمع
السلطان في اخلاط وارتحل عن الموصل متوجها نحوها وسير الى بكتمر
الفقيه عيسى وغرس الدين قليج لتقرير القاعدة وتحريرها فوصلت الرسل

وبهلوان قد قارب البلاد جبلا فخوف بهلوان من السلطان فطلب بهلوان
اصلاح زوجه ابنته له وولاه عاد البلاد اليه واعتذر الى رسل السلطان
وعادوا من غير زبدة وكان السلطان قد نزل على ميافارقين يحاصرها
وقاتلها قتالا شديدا ونصب عليها مناجيق وكان بها رجل يقال له اسد
وما قصر في حفظها لكن الاقدار لا تغلب بملكها السلطان في تاسع
وعشرين جمادى ولما ايس من امر اخلاط عاد الى الموصل فنزل بعيدا
نها وهي الوقعة الثالثة بموضع يقال له كفرزمار وكان الحر شديدا فاقام
دة وفي مدة المنزلة اتاه سنجرشاه من الجزيرة واجتمع به فاعاده الى بلده
مرض بكفرزمار مرضا شديدا خاف من غائلته فرحل طالبا حران
وهو مريض وكان يتجلد ولا يركب محفة فوصل وهو شديد المرض
بلغ الى غاية الضعف وايس منه وارجف بموته فوصل اليه اخوه
حلب ومعه اطباوه ذكر صلح الموصل معه وكان سبب ذلك
ان عز الدين اتابك صاحب الموصل سير الى الخليفة يستنجده فلم

يحصل

٣٠٩

يحصل منهم زبده وسير الى العجم فلم يحصل منهم زبده فلما وصلت من بغداد
جواب الرسالة السر من نجدة فلما بلغهم مرض السلطان راوا
ذلك فرصة وعلموا سرعة القياده ورقة قلبه في ذلك الوقت فبذ بوى
لهذا الامر وبهاى الدين الربيب وفوض الى أمر النسخة التي خلف بها وقالوا
امضوا جهدكم وطاقتكم فسرنا حتى اتينا العسكر والناس كلهم
ايسوا من السلطان وكان وصولنا في اوائل السلطان ذى الحجة
فاحترمنا احتراما عظيما وجلس لنا وكان اول جلوسه من مرضه وحلف في
يوم عرفه واخذنا منه يمين الهنز كان اخذها من سنجارشاه فاعطاها
المواصلة وحلفه يمينا تامة وحلفت اخاه الملك ومات قدس الله
روحه وهو على ذلك الصلح لم يتغير عنه وسرنا معه وهو بحران
وقد تماثل ووصل خبر موت ابن اسد الدين صاحب حمص وكان وفاته
يوم عرفه وجلس الملك العادل للعزاة وفي ذلك الايام كان وقعة التركمان
مع الاكراد وقتل منهم خلق عظيم وفي هذا الشهر وصل خبر وفات بهلوان

ابن الذكر وكانت وفاته في سلخ ذي الحجة ذكر عود السلطان الى الشام
ولما وجد السلطان نشاطا من مرضه رحل يطلب جهة حلب وكان
وصوله اليها رابع عشر المحرم سنة اثنتين وثمانين وكان يوما مشهودة
الشدة فرح الناس بعافيته ولقائه بها اربعة ايام ثم رحل نحو
دمشق ولقيه اسد الدين شيركوه ابن محمد بن شيركوه بتل السلطان
ومعه اخته وقد صحبه خدمة عظيمة وقرب زائدة ومن عليه بحمص
واقام ايام بنصر تركا بسيره ثم سار يطلب جهة دمشق وكان دخوله
اليها في ثاني ربيع الاول وكان يوما لم ير مثله وخامسه وقعت
في هذه الشهر وقعات وكثيرة بين التركمان والاكراد بارض نصيبين
وغيرها وقتل من الفتنين خلق عظيم وبلغ السلطان ان معين الدين
قد عصى بالراوند فكتب الى عسكر حلب ان حاصروه وفي ثاني جمادى
الاولى وصل معين الدين من الراوند وقد سلمها الى علم الدين سليمان ثم
مضى الى خدمة السلطان وفي سابع عشر وصل الملك الافضل الى دمشق

ولم يكن راى قبل الشام ذكر مسير الملك العادل الى مصر فانه كان
السن باجو الهان الملك المظفر فما زال نقاد نبصه بذلك وهو على حران
مريض وقد حصل ذلك في نفس الملك العادل فانه يحب الديار
المصرية فلما عاد السلطان الى دمشق ومن البر بعا فيه سير بطلب
الملك العادل الى دمشق فخرج من حلب جريدة رابع وعشرين من ربيع
الاول وسار حتى اتى دمشق فاقام بها في خدمة السلطان فجرى بينهما
احاديث ومراجعات في قواعد تقرر الى جمادى الاخر وانقرت
القاعدة على عود الملك العادل الى مصر وحلب منه وسير الضيعة
الطاهر لاحضار اهله من حلب وكان الملك العادل ايده الله والملك العزيز
بدمشق في خدمة فلما انقرت القاعدة على عود الملك العادل
الى مصر استقرت على ان يكون اتابك الملك العزيز وسلمه امره
ستقره
وسلم الملك العادل الى الملك الطاهر ولقد قال لي الملك العادل انه لما ا
عليه هذه الملك العزيز والملك الطاهر وحسب بينهما قلت

للملك المعز يا مولاي ان السلطان قد امرني ان اسير في خدمتك الى
مصر وانا اعلم ان المفسدين كثير وغدا فلا يخلو من يقولوا عني ما لا
يجوز ويخوفك مني فان كان لك عزم تسمع فقل لي حتى لا اجي فقال
لا اسمع وكيف لا يكون ذلك ثم التفت وقلت للملك الظاهر انا اعرف
ان اخاك ربما يسمع في اقوال المفسدين وانا ما لي الا انت متى ضاق
صدري من جانبه فقال وذكر كل خبر ثم ان السلطان الملك الظاهر سيره والده
الى حلب ليعلم ان حلب هي اصل الملك الظاهر وحجر نومة وقاعدته
ولهذا ذهبت في طهاه ذلك الباب ولما حصل اعرض عما عداها من بلاد
المشرق وقنع منهم بالطاعة والمعونة على الجهاد فسلمها اليه علما منه
بحذاقته وحزمه وحفظه وثباته وعلو همته فسار اليها حتى الميمنة المباركة
وسير في خدمته الشحنة حسام الدين بشارة والياعيسي بن بلاشو فنزل
بعين المباركة وخرج الناس الى لقائه في بكرة تاسع جمادى الاخرى
وصعد القلعة ضاحي النهار وفرح الناس به فرحا شديدا ومد على

الناس

الناس من جناح عدله وافاض عليهم وابل فضله واما الملك العزيز والملك العادل
فان السلطان فرح بحالتهما وكتب الى الملك المظفر يخبره بمسير الملك وهو
صحبة عمه ويامره بالوصول الى الشام وشق ذلك عليه حتى اظهر للناس وعزم
على المسير الى ديار الغرب الى برقا ففتح ذلك عليه جماعة من اكابر الدولة
وعرفوه ان عمه السلطان يخرج من يده في الحال والله اعلم بما يكون منه
بعد ذلك فراى الحق بعين البصيرة فاجاب بالسمع والطاعة وسلم البلاد
ورحل واصلا الى خدمة السلطان فسار السلطان الى لقائه وفرح به
فرحا شديدا وذلك في ثالث وعشرين شعبان واعطاه حماة وسار
اليها وكان قد عقد بين الملك الظاهر وبعض بنات الملك العادل
فتم ذلك ودخل بها سادس وعشرين شهر رمضان و
دخل الملك الافضل على زوجته بنت ناصر الدين بن اسد الدين
من السنة المذكورة المباركة ذكر غزاة انشاها الى الكرك ولما كان المحرم
سنة ثلث وثمانين عزم على قصد الكرك من بمحضر

العسكر وبرز من دمشق في منتصف المحرم و ... نزل بارض بطيرة

صلة
نيطرة منتظر الاجتماع والشامية وامر العساكر للمتو

لك
اليه لشن الغارات على ما في طريقهم من البلاد الساحلية ففعلوا ذ

بلة
بين الكرك حتى وصل الحاج الشامي الى الشام وامنوا غا

العدو ووصل وتقل من مصر الستوى ووصل معه كان له

بالديار المصرية وتاخرت عنه العساكر الحلبية بسبب اشتغالها بالفرنج

بارض الارمن بلاد ابن لاون وذلك انه قد مات ملك الفرنج ووصى

لابن اخيه بالملك وكان الملك المظفر محتجا وبلغ السلطان الخبر فامرهم

الى
الى بلاد العدو واخماد نائرتهم وسار الملك المظفر بعسكر حلب

حارم فاقام بها ليعلم العدو ان هذا الجانب ليس بمهمل فعاد السلطان

الافضل
الى الشام ونزل بعشتر السابع عشر ربيع الاول ولقيه ولده الملك

المظفر
ومظفر الدين بن زين الدين وجميع العساكر وكان قد تقدم الى الملك

حد
بمصالحة الجانب الحلبي مع الفرنج ليفرغ البال مع العدو في جانب وا

فصالحهم

فضالهم في العشر الاخر من ربيع الاول وتوجه الى حماة يطلب خدمة
السلطان للغزاة التي عزم عليها فسار ومن اجتمع به من العساكر الشرقية
في خدمتهم وعسكر الموصل مقدمهم مسعود بن الزعفراني وعسكر
ماردين فلقيهم السلطان في العشر الاوسط من ربيع الاخر فاقرهم
واكرمهم وفي منتصف هذه الشهر عرض السلطان العساكر لامر قد عزم عليه
على ان يعرف بان تسل بسل وتقدم الى ارباب الميمنة بحفظ مواضعهم
والى اصحاب الميسرة بذلك والى القلب بمثل ذكر وقعة خطين المباركة
على المؤمنين وذلك ان السلطان راى ان نعمة الله عليه باستقرار قدمه
في الملك وتمكين الله اياه في البلاد وانقياد الناس لطاعته ولزومهم
قانون قدمه ليس لها شكر سوى الاشتغال ببذل الجهد والاجتهاد
الى اقامة قانون الجهاد فسير الى سائر العساكر واستحضرها واجتمعوا اليه
بشترا في التاريخ المذكور وعرضهم ورتبهم واندفع قاصدا نحو بلاد
العدو المخذول في نهار الجمعة سابع عشر ربيع الاخر وكان ابدا يقصد

بوقفاته الجمع سيما اوقات صلوة الجمعة تبركا بدعاء الخطباء على المنابر
وبما كانت اقرب الى الاجابت فسار فى ذلك الوقت على تعبيه الحرب وكان
بلغه ان العدو لما بلغهم انه قد جمع العساكر اجتمعوا باسرهم فى مرج صفورية
طبرية بارض عكا وقصدوا نحو المصاف معهم فسار ونزل من يومه على بحيرة طبرية قرب
الفرنج عند قرية تسمى الصبيرة ورحل من هناك ونزل غربى طبرية
على سطح الجبل بتعبية الحرب منتظرا ان الفرنج اذا بلغهم ذلك قصدوه
فلم يتحركوا من منزلتهم وكان نزوله فى هذه المنزلة يوم الاربعا الحادى والعشرين
ترك فلما رآهم لا ... نزل جريدة على طبرية وضرب لا طلاب على حالها قبالة
وجه العدو ونازل طبرية وزحف عليها فهجمها واخذها فى
من نهار وامتدت الايدى اليها بالنهب والاسر والحريق والقتل واحتمت
القلعة وحدها ولما بلغ العدو ... على طبرية لما يأخذهم الصبر دون نجابته
الحمية فرحلوا من وقتهم وساعتهم وقصدوا طبرية
الاسلامية الامراء بحركة ... سيروا الى السلطان من عرفه ذلك فترك

على

على طبرية من يحفظ قلعتها ولحق العسكر هو ومن معه فالتقى العسكران على سطح
جبل طبرية الغربي منها وذلك في اواخر الخميس الثاني والعشرين وحال
الليل بين الفئتين فباتا على مصاف شاكين في السلاح الى صبيحة الجمعة
ثالث وعشرين فركب العسكران متصادما وحملت الجاليشيه وتحرك
الاطلاب والتحم القتال واشتد الامر وذلك بارض قرية تسمى اللوبيا
وضاق الخناق بالقوم وهم سائرون كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
وقد ايقنوا بالويل والثبور واحست نفوسهم انهم في غد زائرو القبور ولم تزل
الحرب تلتحم والفارس مع قرنه يصطدم حتى لم يبق الا الظفر ووقع الوبال
على الكفر فحال بينهما الليل وظلامه وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة
والامور الجسيمة ما لم يحك عن من تقدم وبات كل فريق في سلاحه
ينتظر خصمه في كل ساعة وقد اقعده التعب عن النهوض وشغله النصب
عن الحبو فضلا عن الركوض حتى كان صباح السبت الذي بورك فيه
فطلب كل من الفريقين مقامه وعلمت كل طايفه ان المكسورة منهما

مدخورة الحنبس مصدومة النفس وتحقق المسلمون ان من ورائهم الاردن

ومن بين يديهم بلاد القوم وان لا ينجيهم الا الله تعـ وكان الله قدر

نصر المسلمين ويسره واجراه على وفق ما قدره فحملت الاطلاب الاسلامية

من الجوانب وحمل من القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فالقى الله الرعب

في قلوب الكافرين وكان حقا علينا نصر المومنين وكان القومص

ذكي القوم واطفهم فراى امارات   كان قد نزلت باهل دينه ولم

يشغل ظنه بمحاسبه حسه من تعبيه فهرب في اوائل الامر قبل اشتداده واخذ

نحو صور   جماعة من المسلمين فنجى وحده وامن الاسلام كيده

واحتاط اهل الاسلام باهل الكفر والطغيان من كل جانب

عليهم السهام وعاملوهم بالصفاح وانهزمت منهم طائفة فتبعها ابطال

المسلمين فلم ينج منها واحد واعتصمت   يقال لها تل حطين وهي

قرية عنده وعندها قبر شعيب ع فضايقهم المسلمون على التل واشعلوا

حواليهم   وقتلهم العطش وضاق بهم الامر حتى كانوا يستسلمون

الامر

٣٢٠

للاسر خوفا من القتل فاسر مقدموهم وقتل الباقون

فمن سلم واسر من مقدميهم الملك جفري والبرنس ارناط واخو الملك

والبرنس وهو صاحب الشوبك وابن الهنفري وابن صاحب طبرية ومقدم

الداوية وصاحب جبيل ومقدم الاسبتار واما الباقون من المقدمين

فانهم قتلوا واما الادون فانهم قسموا الى قتل واسير ولم يسلم منهم الا من

اسر وكان الواحد منهم العظيم يخلد الى الاسر خوفا على نفسه ولقد حكى

لي من اثق به انه لقي بحوران شخصا واحدا معه طنب خيمة فيه سق و — ظ نيف

ثلثين اسيرا اخذهم وحده لخذلان وقع عليهم فاما الذين نجوا من مقدميهم

فنذكر حديثهم اما القومص الذي هرب فانه وصل الى طرابلس واصابه

ذات الجنب فاهلكه الله بها واما مقدم الاسبتار والداوية فان

السلطان اختار قتلهم فقتلوا عن بكرة ابيهم واما البرنس ارناط وكان

السلطان قد نذر انه اذا ظفر به قتله وذلك انه كان عبر به بالشوبك

قوم من الديار المصرية في حالة الصلح فنزلوا عنده بالامان فغدر بهم

وقتلهم قتالاً شديداً فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين
فقالوا ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلعم وبلغ ذلك السلطان فحمله الدين
والحمية على انه نذر ان ظفر به قتله ولما فتح الله بالنصر والظفر جلس
السلطان في دهليز الخيمة فانها لم تكن نصب والناس يتقربون اليه
بالاسرى ومن وجدوه من المقدمين ونصبت الخيمة وجلس فرحاً
مسروراً لما انعم الله عليه ثم استحضر الملك جفري ولطاه والبرنس ارناط
وناول الملك الجفري شربة من جلاب بثلج فشرب منها وكان على الرحال
من العطش ثم ناول بعضها البرنس ارناط فقال السلطان للترجمان
قل للملك انت الذي اسقيته والا انا ما اسقيته وكان على عادة جميل
العرب وكريم اخلاقهم ان الاسير اذا اكل وشرب من مال من اسره امن
بذلك لجري على مكارم الاخلاق ثم امرهم بمسيرهم الى موضع عين
لنزولهم فمضوا واكلوا شيئاً ثم عادوا فاحضرهم ولم يبق عنده سوى
بعض الخدم واقعد الملك في الدهليز واستحضر البرنس ارناط واوقفه

على

على ما قال وقال له انا انا استصر لمحمد ثم البرنس عليه السلام فلم يفعل ثم
سل النجماه وضربه بها نحو كتفه وتمم من حضر وعجل الله بروحه الى النار النجاه
فاخذ على باب الخيمة فلما راه الملك قد خرج به على تلك الصورة لم
يشك انه يثنيه فاستحضره وطيب قلبه فقال لم يجر عادة الملوك
ان يقتلوا الملك واما هذا فانه تجاوز حده فجرى ما جرى وبات الناس
في تلك الليلة على اتم السرور واكمل حبور يرتفع اصواتهم بالحمد لله
والشكر له والتهليل حتى طلع الصبح في يوم الاحد قدس الله
روحه في بقية ذلك اليوم قلعة طبرية واقام بها يوم الثلثا ثم رحل
طالبا عكا وكان نزوله عليها يوم الاربعا سلخ ربيع الاخر وقاتلها يوم
الخميس مستهل جمادى الاولى واخذها واستنقذ من كان فيها من الاسارى
وكانوا زهاء اربعة الاف نفر واستولى على ما فيها من الاموال والذخاير والبضايع
والتجاير فانها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يا خذون
الحصون والقلاع والاماكن المنيعة واخذ وانابلس وحيفا وقيسارية و

وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلوها عن الرجال بالقتل والاسر ولما استقامت
قواعد عكا واقتسموا الغنائم من اموالها واساراها سار يطلب تبنين فنزل
عليها يوم الاحد ثاني عشر جمادى الاولى وهي قلعة منيعة فنصب عليها
المناجنيق وضيق عليها بالزحف الخانق وكان بها رجال ابطال شديدون
في دينهم فاحتاجوا الى معاناها شديدة ونصره الله عليهم وتسلمها ثامن
عشر عنوة وليس من بقي بها بعد القتل ثم رحل منها الى صيدا فنزل عليها
من واحد تسلمها واقام عليها بحيث وقرر قواعدها ثم سار حتى اتى بيروت
فنازلها الثاني والعشرين وركب عليها القتال والزحف وضيق
عليهم الامر حتى اخذها التاسع والعشرين وتسلم اصحابه جبيلا وهو
على بيروت ولما بلغ مالهم من هذا الجانب راى قصد عسقلان ولم ير فرغ
الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها ومارسها لان العسكر كان قد تفرق
الساحل وذهب كل انسان ياخذ لنفسه شيئا وكان قد ضرسوا من القتال و
ملازمة الحرب وكان قد اجتمع في صور   بقي في الساحل فراى قصد

عسقلان

٣٦

عسقلان لان امرها كان اليسير ونازلها السادس وعشرين من جمادى
الاخرة طريقه مواضع كثيرة الرمل وبنيا دالداروم واقام
عليها المنجنيقات وقاتلها قتالا شديدا و هذه الشهر واقام
عليها الى ان يسلم اصحابها غزة وبيت جبرين والنطرون بغير قتال وكان
بين واخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلثون سنة فان
العدو ملكها في سبعة جمادى الاخرة سنة ٥٤٨ ثمان واربعين
وخمسماية ذكر فتوح القدس الشريف حرسها الله تعالى ولما تسلم عسقلان
و القدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصده
واجتمعت عليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل بعد انقضاء لباناتها
من النهب والغارات فسار نحوه معتمدا امره اليه منتهزا فتح
الذي حث عليه صلعم بقوله من فتح له باب خير فلينتهزه فانه لا
يدري متى يغلق دونه وكان نزوله عليها الخامس عشر من رجب سنة ثلث
وثمانين المباركة فنزل بالجانب الغربي وكان مشحونا بالمقابلة والخيالة والرجالة

الخبرة

ولقد نجا من اهل الرملة ولقد نجا من اهل الخبرة عدة من كان فيه من المقاتلة
مما يزيد على ستين الفا ما عدا النسا والصبيان ثم انتقل رحمه الله لمصلحة راها
الى الجانب الشمالي ونصب عليه المناجيق وضايقه بالزحف والقتال وكثرة
الرمادة حتى اخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم في قرنة شمالية
ولما راى اعداء الله ما نزل من الامر الذي لا يدفع عنهم وظهرت لهم
امارات نصرة الحق على الباطل وكان قد القي في قلوبهم مما جرت على ابطالهم
ورجالهم في السبي والقتل والاسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء
والاخذ علموا انهم الى ما صاروا اليه صايرون وبالسيف الذي قتل به اخوانهم
مقتولون واستكانوا واخلدوا الى طلب الامان واستقرت القاعدة
بالمراسلة بين الطايفتين وكان تسلمه القدس قدس الله روحه في يوم
الجمعة السابع وعشرين من رجب وليلته وكانت ليلة المعراج المنصوص
عليها في القران المجيد فانظر الى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله عوده
الى يد المسلمين في زمان الاسرا بنبيهم م وهذه علامة قبول هذه الطاعة

من الله

٩٤

من الله تم وكان فتحا عظيما شهده من اهل العلم خلق عظيم ومن ارباب
الخرق والخرف وذلك ان الناس لما علموا ما يسر الله على يديه من فتوح
الساحل وشاع قصده القدس قصده العلماء من مصر ومن الشام
بحيث لم يتخلف معروف من الحضور وارتفعت الاصوات بالضجيج
والدعاء والتهليل والتكبير وخطب فيه وصليت فيه الجمعة يوم فتحه
وحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شكلا عظيما ونظر
اليه عزيز مقتدر وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على انفسهم
عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امراة خمسة دنانير صغير
ذكر وانثى دينارا واحدا فمن احضر القطيعة سلم نفسه والا اخذ اسيرا
وفرج الله عن من كان اسيرا من المسلمين وكان خلقا عظيما انها عن ثلثة
الاف اسير واقام رحمه الله يجمع الاموال ويفرقها على الامراء والعلماء وايضا
من دفع قطيعة منهم الى مامنه وهو صور ولقد بلغني انه رحل عن
القدس ولم يبق له من ذلك المال شيء وكان مايتي الف درهم و

عشرين الف دينار وكان رحيله يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان
ذكر قصده صور   ولما ثبت بملك القدس والساحل قويت
نفسه على قصد صور وعلم انه ان اخرها ربما اشتد فرحل سائرا اليها
حتى عكا فنزل عليها ونظر في احوالها ثم رحل متوجها الى صور يوم الجمعة
خامس شهر رمضان وسار حتى اشرف عليها ونزل قريبا منها منتظرا
وصول الآت القتال ولما كان تحرر عزمه على قصد صور سير الى ولده
الملك الظاهر يستحضره وكان قد تركه بحلب لسد ذلك الجانب لاشتغاله
هو بامر الساحل فقدم عليه في ثامن عشر على تلك المنزلة وسر بوصوله
سرورا عظيما ولما تكاملت عنده آلات القتال من المناجيق والدبابات
والستائر وغير ذلك نازلها في ثاني وعشرين وضايقها وقاتلها
قتالا شديدا واستدعى اسطول مصر وكان حاصرها من البحر والعسكر
من البر وكان قد خلف اخاه الملك العادل بالقدس من تقرير قواعدها
فاستدعاه فوصل اليه في خامس شوال وبقي محاصرها يومين فملت في

ثالث

ثالث وعشرين من شوال ذكر كسرة الاصطول وذلك انه كان قد
تقدم على الاصطول انسانا يقال له الفارس بدران وكان ناهضا جلدا
في البحر وكان رئيس البحريين يقال له عبد المحسن وكان قد اكد عليهم الوصية
واخذ حذرهم وتيقظهم لئلا ينتهز منهم فرصة فجاء القوم غفلوا عن انفسهم
في الليل فخرجوا اصطول الكفار من صور وكبسوهم واخذوا المتقدمين
مع خمسة قطع وقتلوا خلقا عظيما من الاصطول الاسلامي وذلك
في سابع وعشرين شوال فلما علم السلطان ما تم على المسلمين وضاق عطفه
وكان قد هجم الشتاء وتراكمت الامطار وامتنع الناس من القتال من
شدة المطر فجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بالرحيل
ليأخذ العسكر جزءا من الراحة وليستعدوا لهذا الامر استعدادا جديدا
فرأى ذلك رايا ورحل عنها بعد ان رأى المجنيقات وسيرها واحرق ما لا
يمكن نقله وكان رحيله ثاني عشر ذي القعدة من هذه السنة ففرق
العساكر واعطاهم دستورا وسار كل قوم الى بلادهم واقام هو موضع جماعة

من خواصه بعكا حتى دخلت سنة اربع وثمانين ذكر فتح قلعة كوكب

لما دخلت عليهم المباركة راى الاشتغال بالحصون الباقية

يضعف قلوب من صور ونهى امرها به فاشتغل بذلك ونزل على

كوكب في اوايل المحرم وكان سبب مداينة قد جعل حولها

جماعة يحفظونها من ان تدخل اليهم قوة فخرج الفرنج ليلا واخذوا

اعزلهم وكبسوهم بغفير وكان من الامراء يعرف بسيف

ونزل الدين اخي الجاولي واخذوا اسلحتهم فسار رحمه من عكا وحمل عليها

راصد فانه كان قد اعطاء العساكر دستورا وعاد اخوه الى مصر

وولده الى حلب وبقي في طريقه شدة من الثلج والبرد فحمله مع ذلك

الحمية على النزول عليها واقام يقاتلها مدة وفي ذلك المنزلة وصلت

الى خدمته والى حجبت سنة ثلث وثمانين وكانت وقعة ابن المقدم

وخرج يوم عرفة للحلف جرى بينه وبين امير الحاج طستكين على

ضرب الكوس والدبدبة فان امير الحاج نهاه عن ذلك فلم ينته ابن

المقدم

٤٩

٩٧

المقدم وكان من اكابر امراء الشام وكان كثير الخير كثير الغزاة فقدر الله

ان حج بعد فر يوم عرفة ثم حمل الى منى محموما ومات بمنى يوم الخميس

يوم عيد الله الاكبر وصلي عليه في مسجد الخيف في بقية ذلك اليوم

ودفن بالمعلا وهذا من اتم السعادات وبلغ ذلك السلطان فشق عليه

ثم اتفق لي العود من الحج على الشام بقصد القدس على زيارته والجمع

بين زيارة النبي م وزيارة ابراهيم م فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى

القدس فبلغه خبر وصولي فظن اني وصلت من جانب الموصل في

حديث فاحضرني عنده وبالغ في الاكرام والاحترام ولما ودعته

ذاهبا الى القدس خرج لي بعض خواصه وبلغني تقدمه الي بان اعود

تمثل في خدمته عند العود من القدس فظننت ان يوصيني بهم

الى الموصل وانصرفت الى القدس يوم رحيله عن كوكب ورحل لانه علم

ان هذا الحصن لا يوخذ الا بجمع العساكر عليه وكان حصنا قويا

وفيه حال شداد من بقايا السيف ومبرة عظيمة ونزل الى دمشق

وكان دخوله اليها سادس ربيع الاول وفي ذلك اليوم اتفق دخولي
اليها عائداً من القدس واقام بها خمسة ايام فكان لي عنها ستة عشر
شهراً وفي اليوم الخامس بلغه خبر الفرنج انهم تحملوا واعتالوا ما
فخرج مسرعاً ساعة بلوغ الخبر وكان قد سير الى العساكر يستدعي من
ساير الجوانب وسار يطلب جبلة فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا
عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين عسكر الموصل ومظفر الدين
الى حلب قاصدين الخدمة للغزاة فسار نحو حصن الاكراد في طلب
الساحل العوقاني ذكر دخوله الساحل الاعلى واخذه اللاذقية و
غيرهما ولما كان مستهل ربيع الاخر نزل على تل قبالة حصن الاكراد
ثم سير الى الملك الظاهر والملك المظفر يجتمعا وينزلا بتيزين قبالة
انطاكية لحفظ ذلك الجانب وسارت عساكر الشرق حتى اجتمعت لخدمة
السلطان في هذه المنزلة ووصلت اليه بها على عزم المسير الى الموصل متجهز
لذلك فلما حضر عنده فرح بي واكرمني وكان قد صنفت له كتاباً في
الجهاد

الجهاد بدمشق مدة مقامي فيها بجميع ادابه واحكامه فقدمته
بين يديه فاعجبه وكان يلازم مطالعته ومارلته الطلب دستورا
في كل وقت وهو يلا فعنى عن   الحضور في الخدمة
في كل وقت تلعي على السنة الخاصرين مشاة على وذكره اياي بالجميل
فاقام في منزلته ربيع الاخر جميع وصعد في اثنائه الى حصن الاكراد
وحاصرها يوما محاصرة فما راى الوقت يحمل حصاره واجتمعت
من الجوانب واغار على بلد طرابلس في الشهر دفعتين ودخل البلاد
منفيل ومختبر المن بهان العساكر ولقوية العساكر بالغنايم ثم باذن
في الناس في اواخر الشهر انا داخلون الى الساحل وهو قليل الازدياد
والعدو يتخبط في بلاده من سائر الجوانب فاحملوا زاد شهر ثم مسير
الى مع الفقيه عيسى وكشف الى انه ليس في عزمه يمكنني من العود الى بلادي
وكان الله قد اوقع في قلبي محبته منذ رايته وحب الجهاد في حبه الى
ذلك وخدمته في تاريخ مستهل جمادى الاولى سنة اربع وثمانين

وهو يوم دخوله الساحل وجميع ما حكيته من قبل انما هو راى عين من
اثق به ممن شاهده ومن هذا التاريخ ما اسطر الا ما شاهدته او اخبرني
به من اثق به خبرا يقارب العيان والله الموفق ولما كان يوم الجمعة
رابع جمادى الاولى رحل السلطان على تعبيه لقاء العدو ورتب الاطلاب
وسارت الميمنة اولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط
والميسرة في الاخير ومقدمها مظفر الدين وسار الثقل في وسط العسكر
حتى اتى المنزل فبتنا تلك الليلة في بلد العدو ثم رحل ونزل على العزية
فلم يلقاها ولم يعرض لها ووصل في السادس الى الطرسوس فوقف
قبالتها ينظر اليها وكان في عزمه الاختيار فانه كان لها عمل حيله
فاستهان بها فعزم على قتالها من رد الميمنة وامرها بالنزول
على جانب البحر وامر الميسرة بالنزول على البحر من الجانب الاخر ونزل
هو في موضعه وصارت للعساكر بها من البحر الى البحر و
راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين حصينتان وركب هو و

قايم

قارب البلد وامر الناس بالزحف و   الامة للحرب واشتد عليها
الحرب والقتال وضايقهم فما استتم نصب الخيم حتى صعد الناس
سبقا وغنم العسكر جميع من بها وما بها وخرج الناس و
الاسرى بايديهم واموالهم وترك الغلمان نصب   انا النهب و الكسب
وفى بقوله نتغدا باطرسوس ان شاء الله وعاد الى خيمته وخا مسرورا
وحضرنا للهنا بما جرى ومد الطعام وحضر الناس واكلوا على عادتهم
ورتب على البرجين السمين الحصار فسلم احدهما الى مظفر الدين فما زال
يحاصره حتى اخربه واخذ من كان فيه وامر السلطان باخراب سور البلد و قسمه
على الامراء فشرعوا فى خرابه واحدق بحاصرو الاخر وكان حصينا منيعا
مبنيا بالحجر النحيت وقد يجتمع من كان فيها من الخيالة والبطارقة و المقاتلة
فيه وخندقه بدور فيه الماء وفيه جروح كثيرة يخرج الناس عن بعد
وليس لم قدر يخرج عليه مسلم فرأى السلطان تاخيره من الاشتغال
بما هو اهم منه فاشتد فى خراب السور حتى اتى عليه وخرب البقية و معه

عظمت عندهم محجوج اليها من اقطار بلادهم وامر بوضع النار في
فاحرق جميعه حتى كان نفح النار في ارزم وهوية والاصوات
مرتفعة والتهليل والتكبير فاقام عليها ثم رحل عنها الى رابع عشر وسار
يريد جبلة وكان عرض لولده الملك الظاهر في اثناء طريق
جبلة فانطلبه وامره ان يحضر معه جميع العساكر التي كانت تبزين
[illegible] واللاذقية ووصل الى جبلة في ثامن عشر وما استتم
نزول العسكر حتى اتى البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاضي يحكم
بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يمتنع القلعة ممتنعة فاعمل
نقالها فقوتلت قتالا نفيم عذر من كان فيها وسلمت بالامان تاسع
عشر واقام عليها الى ثالث وعشرين وسار عنها يطلب اللاذقية
وكان نزوله عليها رابع وعشرين وهي بلد مسح خفيف على القلب غير
مستور ولها مينا مشهور وله قلعتان متصلتان على تل مشرف على البلد
فنزل محدقا بالبلد واخذ العساكر منازلهم مستديرين على القلعتين من

جميع

جميع نواحيها الا من ناحية البلد واشتد القتال وعظم الزحف وارتفعت
الاصوات وقوي الصحيح الى اخر النهار رابع وعشرين واخذ البلد
من القلعيين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة فانه كان بلد التجار
ففرق الناس الليل وهجومه واصبح يوم الجمعة مقاتلا مجتهدا في
اخذ النقوب واخذت النقوب من شمالي القلاع وتمكن
حتى بلغ طوله على ما حكى لي من ذرعه ستين ذراعا وعرضه اربعة
اذرع واشتد الزحف عليهم حتى صعد الناس الجبل وقاربوا السور و
تواصل القتال حتى ماروا يتجاذبون بالحجارة باليد فلما راى عدو الله
ما حل بهم ونصا والبوار استغاثوا بطلب الامان عشية الجمعة خامس و
عشرين الشهر وطلبوا قاضي جبلة يدخل اليهم الى ذلك اليهم
وكان منه متى طلب منه الامان لا يمهل والناس عنهم الى خيامهم
وقد اخذ منهم التعب فثابوا الى صبيحة السبت ودخل القاضي جبلة اليهم واستقر

الحال معهم على انه يطلبون بنفوسهم وذراريهم واموالهم خلا القلاع و
الذخاير والات السلاح والدواب واطلق لهم دواب يركبونها الى ما منهم
ورفع عليها العلم الاسلامي المنصور في بقية ذلك اليوم واقمنا عليها
الى سابع وعشرين ذكر فتوح صهيون رحل الى اللاذقية طالب صهيون
واستدار العساكر بها من ساير نواحيها تاسع وعشرين ونصب عليها ست
مناجنيق وهي قلعة حصينه منيعه في طرف جبل خنادقها اودية هائله
واسعه عظيمة وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد مقدار
طوله ستون ذراعا ولا يبلغ وهو في حجر ولها ثلثة اسوار سور دون
وسور دون القلعة وسور القلعة وكان على قلتها علم طويل منصوب
فحين اقبل العسكر الاسلامي شاهدته فقد وقع فاستبشر المسلمون بذلك
وعلم انه النصر والفتح واشتد القتال عليها من سائر الجوانب فضربها بمنجنيق
الملك الظاهر صاحب حلب وكان نصيب منجنيقا قبالة قرينه حين سورها

قاطع

٣٥

قاطع الوادي وكان صايب الحجر فلم يزل بضربها حتى هدم من السور قطعه
من البرج اليه منها ولما كان بكرة الجمعة ثاني جمادى الاخر عزم السلطان
وتقدم وامر المجنيقات ان تتواتر بالضرب وارتفعت الاصوات وعظيم
الضجيج بالتكبير والتهليل وكان الا ساعة حتى رقى والمسلمون على الاسوار
التي للنصارى اشتد الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الربض
ولقد كنت اشاهد الناس وهم ياخذون القدر واستوى فيها
الطعام فياكلونها وهم يقاتلون وانضم من كان في الربض الى القلعة
وما امكنهم ان يحملوا اموالهم ونهب استدار المقاتلة حول
اسوار القلعة فلما عاينوا الهلاك استغاثوا بطلب الامان ووصل
خبرهم الى السلطان فبذل الامان وانعم عليهم ان يسلموا بانفسهم و
يوخذ من الرجل منهم عشرة دنانير ومن المراة خمسة وعن الصغير دينارا
وتسلمت القلعة واقام السلطان نسلم عدة قلاع كالعبدو فحيه
وبلاطيس وغيرها من القلاع والحصون تسلمها النواب ذكر فتوح

بكاس ثم حتى انبنا سادس جمادى الآخر بكاس وهي قلعة حصينة
على جانب العاصي فاحدق بها من كل جانب شديدا بالمنجنيقات
والزحف اللصايق الى تاسع الشهر ويسر الله فتحها عنوة واسر من فيها
بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قليعة تسمى الشغر
قريبا منها يعبر اليها منها بجسر وهي في غاية المنعة ليس اليها طريق فسلطت
عليها المناجنيق من الجوانب وراوا انهم لا نصير لهم فطلبوا الامان في ثالث
عشر وسالوا ان يوخروا ثلثة ايام لاستيذان من بانطاكية فاذن في ذلك
وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني عليها يوم الجمعة سادس عشر
ثم عاد السلطان الى الثقال وسير ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانية
فقاتلها قتالا شديدا وضايقها مضايقة عظيمة وتسلمها يوم الجمعة
ثالث وعشرين الشهر فاتفق فتوحات الساحل من جبلة الى سرمانية في
ايام الجمع وهي علامة قبول دعاء الخطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث
يسر لنا الله الفتوح في اليوم الذي تضاعف فيه ثواب الحسنات وهذا
من نوادر الفتوحات في الجمع المتوالية ولم يتفق مثلها في تاريخ ذكر فتوح

قرزم

برزية ثم سار السلطان جريدة الى قلعة برزية وهي قلعة حصينة في غاية
القوة والمنعة على سن جبل شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج
والمسلمين يحيط بها اودية من سائر جوانبها وذرع علوها كان خمسمائة
ذراع ونيفا وسبعين ذراعا ثم جدد عزمه على حصارها بعد رويتها واستدعى
الثقل وبقية العسكر تحت جبلها رابع وعشر الشهر وفي بكرة خامس
وعشرين منه صعد السلطان جريدة مع المقاتلة والمجنيقات والات
الحصار الى الجبل فاحدق بالقلعة من سائر نواحيها وركب القتال من كل
جانب وضرب اسوارها بالمجنيقات المتواترة الضرب ليلا ونهارا
في السابع والعشرين قسم العسكر ثلثة اقسام ورتب كل قسم يقاتل شطرا
من النهار ثم يستريح ويسلم القتال للقسم الاخر بحيث لا يفتر القتال عنها
اصلا وكان صاحب النوبة الاولى عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها
قتالا شديدا حتى استوفى نوبته وضرس الناس من القتال وتراجعوا
واسلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب وتحرك خطوات عدت

وصاح في الناس فحملوا عليها حملة الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد
وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن الا بعض ساعة وقد رقى الناس
على الاسوار وهجموا القلعة واخذت القلعة عنوة فاستغاثوا الامان و
قد تمكنت الايدي فلم ينفعهم امانهم لما راى الغلاب باسنا ونهب
جميع ما فيها واسر جميع من كان فيها وكان قد عظيم وكانت
من قلاعهم المذكورة وكان يوما عظيما وعاد الناس الى خيامهم غانمين
وعاد السلطان فرحا مسرورا واحضر بين يديه صاحب القلعة وكان
رجلا كبيرا منهم وكان هو ومن اخذ من اهله فمن عليهم ورق
لهم وانفذهم الى صاحب انطاكية استمالة لقلوبهم كانوا يتعلقون به ذكر
فتوح دربساك ثم رحل حتى اتى جسر الحديد واقام عليه اياما وسار
حتى نزل على دربساك يوم الجمعة ثامن عشر رجب وهي قلعة منيعة
قريبة من انطاكية فنزل عليها وقاتلها قتالا شديدا بالمنجنيقات وضايقها
مضايقة عظيمة واخذ النقب من تحت برج منها وتمكن النقب منه

حتى

حتى وقع واحموه بالرجال والمقاتلة ووقف في الثغرة رجال يحمونها عن
ان يصعد فيها واحد شاهدته كلما قتل منهم رجل قام غيره مقامه فهم
قيام عوض الجدار يكشفون واشتد بهم الامر حتى طلبوا الامان واشترطوا
مراجعة انطاكية وكانت القاعدة ينزلوا بانفسهم وثياب ابدانهم و
رفع عليها العلم الاسلامي ثاني وعشرين رجب واعطاها علم الدين
سليمان بن حيدر وسار عنها ثالث وعشرين منه ذكر فتوح بغراس
وهي قلعة منيعة اقرب الى انطاكية من دربساك وكانت كثيرة العدة
والرجال فنزل العسكر في مرج لها واحدق العسكر بها جريدة مع انا
احتجنا الى يزك في تلك المنزلة يحفظ من جانب انطاكية لئلا يخرج
منها من يهاجم العسكر وضرب يزك الاسلام على باب انطاكية بحيث
لا يشذ عنه من يخرج منها وانا ممن كان في اليزك في بعض الايام
لرؤية البلد وزيارة حبيب النجار المدفون فيه ولم يزل يقاتل بغراس
مقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان على استيذان انطاكية ورقي العلم الاسلامي

عليها في ثاني شعبان وفي بقية ذلك اليوم عاد رح الى المخيم الاكبر وراسله
اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر وفوت قلق
عماد الدين صاحب سنجار في طلبوا لدستور وعقد الصلح بيننا وبين انطاكية
مدة سبعة اشهر على ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم
وكان الى سبعة اشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد
ورحل يطلب دمشق فساله ولده الملك الظاهر ان يجتاز به فاجابه و
سار حتى الى حلب حادي عشر شعبان ثلثة ايام وولده يقوم
بالضيافة حق الضيام ولم يسق من العسكر الا من نالهم من نعمه منال
واكثر حتى اشفق من حلب يريد دمشق فاعترضه ابن اخيه
الملك المظفر تقي الدين عمر واصعده الى قلعة حماة واصطنع له طعاما
الصوفية ومات فيها ليلة واحدة واعطاه جبلة و
اللاذقية وسار على طريق بعلبك حتى اتاها ودخل الى
حمامها وسار منها حتى دخل رمضان وما كان يرى تعطيل وقته عن الجهاد

مهما امكنه وكان قد بقي له القلاع القريبة من حوران التي يخاف عليها
من جانبها صفد وكوكب فرای ان يشغل المكان في فتح المكانين في
الصوم ذكر فتح صفد ثم سار في اوائل رمضان من دمشق يريده
صفدا ولم يلتفت الى مفارقة الاهل والاولاد والوطن في هذا الشهر
الذي يسافر الانسان ابن كان ليجتمع فيه باهله اللهم انه احتمل بذلك
ابتغاء مرضاتك فاجره اجرا عظيما فسار حتى اتى صفد وهي قلعة منيعة
وقد تقاطعت حولها اودية من سائر جوانبها فاحدق العسكر بها
ونصب عليها المناجنيق في اثناء شهر رمضان المبارك وكانت الامطار
شديدة والوحول عظيمة ولم يثنه ذلك عن جده ولقد كنت عنده
في خدمته ليلة وقد عين مواضع مناجنيق فقال ما ننام حتى تنصب
الخمسة وسلم كل منجنيق الى قوم ورسله تتواتر اليهم يخبرونه ويعرفونه
كيف يصنعون حتى اظله الصبح وقد فرغت المنجنيقات ولم يبق الا
تركيب خنازيرها فيها ارى رويت له الحديث المشهور في الصحاح وبشرته

بمقتضاه وهو قوله م عينان لا يمسها النار عين باتت تحرس في سبيل الله
وعين بكت في خشية الله وفي اثناء شهر رمضان تسلمت الكرك من جانب
نواب صاحبها وخلصوه بها من الاسر وكان قد اسر في وقعة حطين
المباركة ثم لم يزل القتال على صفد متواصلا بالبوز مع الصوم حتى
تسلمت بالامان في رابع عشر شوال ذكر فتح كوكب ثم سار يريد كوكب
فنزل على سطح الجبل وجرد العساكر واحدق بالقلعة وضايقها بالكلية
بحيث اتخذ موضعا بينها وبين نشاب العدو وبنا له حائطا من حجر
وطين يستتر وراه حتى لا يقدر احد يقف على باب خيمته الا ان كان
ملبسا وكانت الامطار متواترة والوحول تمنع الماشي والراكب
مشقة عظيمة وعانا شدايد وهولا من شدة الرياح وتراكم الامطار
وكون العدو مسلطا عليهم بعلو مكانه وقتل وجرح جماعة ولم يزل
راكبا ركب المد حتى يمكن النقب من سورها ولما حسن المخذول
على انه ماخوذ طلب الامان فاجابهم الى ذلك وامنهم وتسلمها في منتصف

ذي

ذي القعدة ونزل الى الغور الثقل وكان قد انزله من شدة الوحل والريح

في سطح الجبل فاقام بقية الشهر مراجعة اخري الملك العادل في اشغال

شخصه حتى بل هلال ذي حجة واعطى الجماعة دستورا وسار مع اخيه

يريد القدس ووداع اخيه فانه كان عائدا الى مصر فوصلا اليه يوم

الجمعة من ذي حجة وصلى الجمعة في قبة الصخرة الشريفة وصليا صلوة

العيد الاعظم بها ايضا يوم الاحد وسار حادي عشر طالبا عسقلان

لينظر في حالها فاقام بها ويصلح احوالها فودع اخاه واعطاه

الكرك واخذ منه عسقلان لينظر في حالها فاقام ويصلح احوالها

فودع اخاه واعطاه الكرك واخذ منه عسقلان وعاد يطلب عكا

على طريق يفتقد احوالها ويودعها الرجال والعدد حتى

اتى عكا فاقام معظم المحرم سنة خمس وثمانين ورتب بها بهاء الدين

قراقوش واليا وامره بعمارة السور والاطناب فيه ومعه حسام الدين

بشاره وسار يريد دمشق مستهل صفر سنة خمس وثمانين ذكر نوبة

الى شقيفا رنون وهي السفرة المتصلة بواقعة عكا واقام بدمشق حتى
دخل في ربيع الاول ثلثة ايام ووصل في اثناء ربيع الاول رسول
الخليفة الناصر لدين الله يامره بالخطبة لولده ولي العهد فخطب له
وجدد عزمه على قصد شقيفا رنون وهو موضع حصين قريبا من
بانياس وكان نزوله في الثالث فسار حتى نزل مرج برغوث واقام به
ينتظر العساكر الى حادي عشره ورحل حتى اتى بانياس ثم رحل منها حتى
اتى مرج عيون في سابع عشره فخيم به وهو قريب من شقيفا رنون
بحيث يركب كل يوم على تياره والعساكر الاسلامية فنزل بنفسه وما
شانه الا وهو قايم على باب خيمة السلطان باذن له فدخل فاحترمه
واكرمه وكان من كبار الفرنجية وعقلائها وكان يعرف العربية وعنده
اطلاع على التواريخ وبلغني انه كان عنده مسلم يقرا له ويفهمه وكان
عنده تاني فحضر بين يدي السلطان واكل معه الطعام ثم خلا به وذكر
انه مملوك وانه تحت طاعته وانه يسلم المكان اليه من غير تعب واشترط

ان

واشترط ان يعطا موضعها يسكنه بدمشق فان بعد ذلك لا يقدر
على مساكنة الفرنج واقطاعا بدمشق يقوم به وبا بله وانه يمكن من
الاقامة بموضعه وهو يتردد الى الخدمة ثلثة اشهر من تاريخ اليوم
الذي كان فيه حتى يمكن من تخليص اهله وجماعته من صور فاجيب الى
ذلك كله واقام يتردد الى خدمة السلطان في كل وقت انا
في دينه نناظره في بطلانه وكان ومتاديا في كلامه وفي
اثناء ربيع الاول وصل الخبر بتسليم الشوبك وكان قد اقام السلطان
عليه جمعا عظيما سنة حتى فرغت ازوادهم وسلموه بالامان
ذكر اجتماع الفرنج بقصد عكا وكان السلطان اشترط
عسقلان ان امر الملك بتسليمها وسلموه فطالبه الملك باطلاقه
فاطلقه وفاءً بالشرط من الطرسوس واشترط
يشهر في وجهه سيفا ابدا ويكون غلامه ومملوكه
لعنه الله فجمع واتا حصور يطلب الدخول اليها فخيم على باب ها راجع

المركيس الذي كان بها في ذلك الوقت وكان المركيس اللعين رجلا عظيما
ذا راي وباس شديد في دينه وصرامة عظيمة فقال انني نايب الملوك
الذين وراء البحر وما اذنوا الي في تسليمها اليك وطالت المراجعة واستقرت
القاعدة بينهما على ان يتفق جميعا على المسلمين وتشترك العساكر بصور تجتمع
وغيرها من الفرنجية على المسلمين وعسكره على باب صور ذكر
الوقعة التي استشهد فيها ايبك الاخرش وذلك انه لما كان يوم
الاثنين سابع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة بلغ السلطان
من اليزك ان الفرنج قد قطعوا النهر الفاصل بين ارض صور الى ارض
صيدا وبقي الارض التي نحن عليها فركب السلطان وصاح الجاووش
فركب العسكر يريدون نحو اليزك فوصل العسكر وقد انفصلت الوقعة
وذلك ان الفرنج عبر منهم جماعة الجسر فنهض لهم اليزك الاسلامي
كانوا في قوة وعدة فقاتلوهم قتالا شديدا وقتلوا منهم خلقا كثيرا
وخرجوا اضعاف ما قتلوا ورموا في النهر جماعة فغرقوا ونصر الله الاسلام
واهله

٥٩

١١٧

خرش
واهله ولم يقتل من المسلمين الا مملوك السلطان يعرف بايبك الا
يقتضى
فانه استشهد في ذلك اليوم وكان شجاعا باسا في الحرب فارسا
به فرسه فلجى الى صخرة فقاتل بالنشاب حتى فنى ثم بالسيف حتى
قتل جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه ووجد السلطان عليه لمكان
شجاعته وعاد السلطان الى خيم كانت ضربت له قريب المكان
جريدة ذكر وقعة ثانية استشهد فيها جمع من رجالة المسلمين واقام في
ذلك الخيم الى تاسع عشر وركب يتشرف على القوم على عادته فتبع
العسكر خلق عظيم من الرجالة والغزوات والسوقة وحرص في ردهم
فلم يفعلوا المقدام من ضرهم فلم يفعلوا وخاف عليهم فان المكان
كان حرجا ليس للرجال فيه ثم هجم الرجالة الى الجسر وناوشوا العدو
وعبر منهم جماعة اليهم جرى بينهم قتال شديد واجتمع منهم الفرنج
خلق عظيم وهم لا يشعرون وكشفوهم بحيث علموا ان ليس كمين فحملوا
عليهم حملة واحدة على غرة من السلطان فانه كان بعيدا منهم ولم يكن

معه عسكر فانه لم يخرج القتال وانما ركب مستشرفا عليهم على العادت

من كليوم ولما بين له الوقعة وظهر له غبارها بعث علم

كان معه ليردوهم فوجد والامر قد فرط والفرنج قد تكاثروا

حتى خاف منهم السرية التى بعثها ظفروا بالرجالة ظفرة عظيمة

وجرى بينهم وبين السرية قتال شديد واسرجماعة من الرجالة

كان عدد الشهداء مائة وثمانون نفر وقتل ايضا من الفرنج

عدة عظيمة وغرق ايضا منهم عدة وكان ممن قتل منهم مقدم الالمانية

وكان عندهم عظيما محترما واستشهد من المعروفين من المسلمين ابن

ابن البيصار واوكان شابا حسنا شجاعا واحتسبه والده فى سبيل الله

ولم يقطر من عينه عليه دمعه على ماذكر جماعة لازموه وهذه الوقعة

لم تتفق الا فرنج فى هذه الوقايع التى حضرتها وشاهدتها

ولم ينالوا من المسلمين مثل هذه العادت وفى هذه المدة ذكر مسير جريدة

الى عكا وسبب ذلك ولما راى السلطان ما حل بالمسلمين من تلك الوقعة

النادرة

النادرة جمع اصحابه وشاورهم وقدر معهم ان يهجم على الفرنج ويعبر الجسر
ويقاتلهم ويستاصل شافتهم وكان الفرنج قد رحلوا من صور ونزلوا
قريب الجسر وبين الجسر وحصون مقدار فرسخ وزايد على فرسخ فلما
صمم العزم على ذلك الصبح يوم الخميس سابع عشر وركب وسار وتبعه
الناس والمقابلة والعساكر ولما وصلوا اواخر الناس الى اوايلهم وجدوا الترك
عابدا وخيامهم قد قلعت فسالوا عن ذلك فذكروا ان الفرنج رحلوا
راجعين الى صور ملتجين الى صورها معتصمين بقربها وانهم لما بلغهم ذلك
عادوا لوقع الفناء عن الترك ولما راى السلطان ذلك منهم راى ان
يسير الى عكا ليلحظ ما بني من سورها ويحث على الباقي فمضى الى عكا
ورتب احوالها وامر بتتمة عمارة سورها واتقانه واحكامه وامرهم
بالاحتياط وعاد الى العسكر المنصور الى المرج منتظرا مهلة صاحب
السفيف لعنه الله ذكر وقعة اخرى ولما كان يوم السادس من جمادى
الاخرى بلغه ان جماعة من رجالة العدو ويبسطون ويصلون الى الجبل

تبنين تحيطون في قلبه من الرجالة المسلمين وماجرى عليهم امر عظيم ورأى

ان تقرير قاعدة اليمين يرتبه لهم ويأخذهم فيه ويلغه انه

ايضا خيلا يحفظهم فعمل كمينا يصلح للقاء   ثم انفذ الى عسكر تبنين

وتقدم عليهم ايضا ان يخرجوا   يسيرعابرين على تلك الرجالة وان

خيل العدو واذا تبعهم ينهزمون الى جهة عينا لهم وانيكون

لاثنين ثامن جمادى الاخرى وارسل الى عسكر عكا ان يسير حتى يكون

وراء عسكر العدو وحتى ان تحركوا   قصدوا خيمهم وركب هو وحصله

الاثنين شاكين في السلاح متجردين اللبس   الجهة التي

عينها الهزيمة عسكر تبنين وسار حتى قطع تبنين ورتب العسكر

ثمانية اطلاب واخرج من كل طلب عشرين فارسا من الشجعان الجياد

الخيل وامرهم ان يتراءوا للعدو حتى يظهروا اليهم ويناوشوهم وينهزمون

بين ايديهم حتى يصلوا الى الكمين ففعلوا ذلك وظهر لهم من الفرنج معظم

عسكرهم لقد   الملك وكان قد بلغهم الخبر وتعبوا تعبية القتال وجرى

بينهم

٥٦١

بينهم وبين هذه السرية اليسيرة قتال شديد والتزمت السرية القتال وانفوا
عن الانهزام بين ايديهم وحملتهم الحمية على مخالفة السلطان ولقاء
العدو الكثير بذلك الجمع اليسير واتصل الحرب بينهم والى اواخر نهار
الاثنين ولم يرجع منهم احد الى العسكر يخبرهم ما جرى واتصل الخبر
بالسلطان في اواخر الامر وقد هجم الليل فبعث اليهم بعوثا كثيرة حين
على ضيق الوقت عن المصاف وفوات الامر ولما بصر الفرنج باوايل المدد
قد لحق السرية عادوا منهزمين ناكصين على اعقابهم بعد ان جرت مقتلة
عظيمة من الجانبين وكان القتلى من الفرنج على ما ذكر من حضر فاني لم
اكن حاضرها عشرة انفس ومن المسلمين ستة انفس اثنان من
الترك واربعة من العرب منهم الامير ابل وكان شابا تاما حسن الشباب
مقدم عشيرته كان سبب قتله انه تقنطرت فرسه فعقلها ابن عمه
بفرسه فتقطرت به ايضا واسر وثلثة من اهله ولا بصر الفرنج بمدد
العسكر قتلوهم خشية الاستنقاذ وجرح خلق عظيم من الطائفتين

وخيل كثير من نوادر هذه الوقعة ان مملوك السلطان اثخن بالجراح حتى
وقع بين القتلى وجراحاته تشخب دما وبات ليلة اجمع على تلك الحال
الى صبيحة يوم الثلثا فتفقده اصحابه فلم يجدوه فعرفوا السلطان فقده
فانفذ في كشف خبره فوجدوه بين القتلى على مثل هذه الحالة فحملوه
ونقلوه الى المخيم على تلك الحال وعافاه الله تعالى وعاد السلطان الى الخيمة
يوم الاربعا عاشر الشهر منصورا فرحا مسرورا ذكر احد اصحاب الشقيف
وسبب ذلك ثم استفاض من الناس ان صاحب الشقيف فعل ما فعله من
المهملة غيلة لا انه صادق في ذلك انما قصد فيه تدفع الزمان و
ظهرت لذلك مخايل كثيرة من الحرص في تحصيل الميرة واتقان الابواب
وغير ذلك فراق السلطان ان يصعد الى سطح الجبل ليقرب من المكان
ويكون سرامة بليغ من دخول النجدة والميرة عليه ومن سبب ذلك شده
حوالزمان والفرار من وخم المرج وكان انتقاله الى سطح الجبل ليلة ثاني
عشر الشهر وقد مضى من الليل ربعه فما اصبح صاحب الا والخيم مضروبة

وبقي

وبقي بعض العسكر في المرج على حاله فلما راى صاحب الشقيف
انه بقي من المدة بقية جمادى الاخرى حدثته انه نزل الى خدمة السلطان
ويستعطفه ويستزيده في المدة وتخايل له بما راى من اخلاق السلطان
ولطافته ان ذلك يتم فنزل الى الخدمة وعرض المكان وكان المدة لم
يبق منها الا اليسير واى وقت بين التسليم اليوم او غدا واظهر انه بقي
من اهله جماعة بصور والهم على الخروج منها في هذه الايام وما قام
في الخدمة ذلك اليوم الى الليل وصعد القلعة ولم يظهر له السلطان
شيئا واجراه على عادته وتقتضي مدته ثم عاد نزل بعد ايام قد قرب
انتهاء المدة والفراغ منها وطلب الخلوة بالسلطان وسال منه ان يمهله
تمام السنة لتتمة اشهر فاحسن السلطان منه العذر فاطله وما السه
وقال نتفكر في ذلك ونجمع الجماعة وناخذ رايهم وما نفصل الحال
عليه نعرفك وضرب له خيمة قريب من خيمته واقام عليه حرسا لا شعر بهم
وهو على غاية من الاكرام والاحترام له والمراجعة بينهم في ذلك

الفن مستمر حتى انقضت الايام وطولب بتسليم المكان فكشف لم انك
اضمرت الغدر وجددت في المكان عماير وحملت اليه ذخاير فانكر ذلك
وانتقر القاعدة على ان ينفذ من عنده ثقته وينفذ السلطان ثقة بتسليم
المكان وينظر بل تجددت فيه شي من البناء ام لا فمضوا اليه فلم يلتفتوا
اصحابه المقيمون فيه اليهم ووجدوه قد جدد باب السور لم يكن فاقيم
الحرس الشديد عليه واظهر ذلك ومنع من الدخول الى الخدمة وقيل
له قد انقضت المدة ولابد من تسليم وهو مغلط عن ذلك ويدافع
عن الجواب عنه ولما كان ثامن عشر جمادى الاخر وفيه اعترف بانتهاء
المدة قال اما امضي واسلم المكان وسار معه جمع كثير من الكبراء والاجناد الامراء
حتى اتى الشقيف وانهم بالتسليم قالوا نخرج اليه فيستغير في وحدته امرهم
ملبسا ثم عاد وانشد امتناعهم بعد عود القيش في الامتناع واقام ذلك
اليوم والحديث فلم يلتفتوا واعيد الى المخيم المنصور وسير من ليلته
الى وابناس واحيط عليه بقلعتها فاحدق العسكر بالسقيف

٦٣.

محاصرين واقام صاحب السقيف باناس الى سادس رجب

واشتد حنق السلطان على صاحب السقيف بسبب اشهر عليه

وعلى عسكره ولم يعلموا فيها شيء فاحضر الى المخيم وهذا دليله وصوله

بامور عظيمة فلم يفعلوا مامن رجب الى ستام الخيل محنية

على السقيف من المكان الذي كان فيه اولاد وكان

قد تغير مزاجه ثم بلغنا بعده نصوص مع الخليفه الملك

وقد ساروا نحو النواقير يدون جهة بعضهم بالاسكندرية

وجرى بينهم وبين رجالين المسلمين المناوشة وقتل منهم المسلمين

نفرا يسيرا واقاموا هناك ذا... عم وذلك لما بلغ السلطان

حركة الفرنج الى تلك الجهة عظيم ولم يرالمسارعة خوفا من ايكون قصدهم

رحيله عن الشقيف لا قصد العكا فاقام مستكشفا للحال الى ثاني عشر رجب

فوصل اخبار من الفرنج في بقية ذلك اليوم رحلوا ونزلوا عين

ووصل اوائلهم الى الزيب فعظم ذلك عنده وكتب الى سائر ارباب الاطراف

يتقدم بالعساكر الاسلامية بالمسير الى المخيم المحروس وعاد جدد الكتب
والحث وتقدم الى الاثقال ان سار بالليل واصبح هو صبيحة ثالث عشر
سائرا الى عكا على طريق طبرية اذ لم يكن لهم طريق يسع العسكر الا هو
وسير جماعة على طريق تبنين ليستشرفون العدو ويواصلون باخباره
وسرنا حتى اتينا الحولة عند منتصف النهار بها ساعة ثم رحل وسار طول الليل
حتى اتى موضعا يقال له المنية صباح رابع عشر وفيه بلغنا نزول الفرنج
على عكا يوم الاثنين ثالث عشره سير صاحب السقيف الى دمشق بعد
الاهانة الشديدة على سوء صنيعه وسار هو جريدة من المنية حتى اجتمع
ببقية العسكر الذي كان نفذه على طرف تبنين برج فانه كان
واعدهم اليه وتقدم الى الثقل ان يلحقه الى مرج صفورية ولم يزل حتى
شارف العدو من الخروب بعث بعض العسكر ودخل عكا على غرة من العدو
وتقوية لمن فيها ولم يزل يبعث اليها بعثا بعد بعث حتى حصل فيها
خلق وعدد وانز رتب العسكر ميمنة وميسرة وقلبا وسار من الخروبة

وكان

وكان قد نزل عليها خامس عشر الشهر فسار منها حتى انزل كيسان في اوايل
مرج وامر الناس ان ينزلوا فيه على تلك التعبية وكان اخر الميسرة على طرف
النهار الحلو واخر الميمنة مقابل تل العياضية فاحاط العسكر الاسلامي
المضور بالعدو المخذول واخذ عليهم الطريق من الجوانب وتلاحقت العساكر
الاسلامية وجمعت ورتب اليزك الدايم والجاليش في كل يوم مع العدو
وحصر العدو في خيامه من كل جانب بحيث لا يقدر ان يخرج منها احد
الا ويجرح او يقتل وكان معسكر العدو على شطر من عكا وخيمة ملكهم
على تل المصلبين قريبا من باب البلد وكان عدد راكبهم الفي فارس وعدد
راجلهم الفا وما رايت من نقصهم عن ذلك ورايت من حزرهم
زيادة على ذلك ومددهم من البحر لا ينقطع وجرى بينهم وبين اليزك
مقاتلات عظيمة متواترة والمسلمون على قتالهم والسلطان
يمنعهم من وقته والبعوث من العساكر الاسلامية تتواصل
والملوك الامراء من الاقطار تتابع الامير الكبير مظفر الدين

بن زين الدين ثم قدم بعده الملك المظفر صاحب حماة وفي اثناء هذا الحال توفي
حسام الدين سنقر الاخلاطي واسف المسلمين عليه اسفا شديدا فانه كان
شجاعا دينا ثم ان الفرنج لما تكاثروا واستفحلوا واستفحل امرهم استداروا
بعكا بحيث منعوا الدخول والخروج وذلك في يوم الخميس سلخ رجب
لما راى السلطان ذلك عظم لديه وضاق صدره وثارت به همته العالية
وفتح الطريق الى عكا ليستمر السابلة اليها بالميرة والنجدة وغير ذلك فاحضر
امراؤه واصحاب الراى من دولته وشاورهم في مضايقة القوم وانفصل
الحال على انه يضايقهم مضايقة شديدة بحيث ينفصل امرهم بالكلية في
فتح الباب والطريق الى عكا فباكرهم الى صبيحة الجمعة مستهل الهلال
شعبان وسار مع العسكر وقد رتبه للقتال ميمنة وميسرة وقلبا وضايقهم
مضايقة شديدة وكانت الحملة بعد صلوة الجمعة اغتنا بالدعاء
الخطباء على المنابر وجرت حملات عظيمة وقلبات كثيرة واتصل الحرب
الى ان حال بين الفئتين هجوم الليل وبات الناس على حالهم من الجانبين
شاكين

شاكين في السلاح يحرس كل طايفه نفسه من الطايفة الاخرى ذكر
فتح الطريق الى عكا ولما كان صبيحة السبت اصبح الناس على القتال
وانفذ السلطان طايفه المسلمين الى البحر ين شمالي عكا ولم يكن
هناك للعدو خيم لكن العسكر كان قد امتد جريدة الى البحر فحملوا عليهم
وانكسروا بين ايديهم كسرة عظيمة وقتلوا منهم جمعا كثيرا وانكف السالمون
منهم الى خيامهم وهجم المسلمون خلفهم في اوايل خيامهم وانفتح الطريق
الى عكا من باب القلعة المسماة بقلعة الملك الى باب قراقوش الذي جدده
وصار سيفا يمر فيه السوق ومعه الحوايج ويمر به الرجل الواحد والمراة
والترك بين الطريق وبين العدو ما نعا من يخرج من عسكرهم او يدخل ودخل
السلطان في ذلك اليوم الى عكا ورقي على السور ونظر الى عسكر العدو
تحت السور وفرح المسلمون بنصر الله وخرج العسكر الذي كان بها في خدمة
السلطان واستدار العسكر الاسلامي حول العسكر الفرنجي واخذ فوقهم من
كل جانب ولما انتقرهذلك بعد صلوة الظهر يسقي الدواب واخذ الراحة

عادوا الى القتال   القوم وضاق الوقت واخذ الضجر والتعب من

الناس فلم يرجعوا الى القتال في ذلك اليوم وبات الناس

يصبحونهم بكرة الاحد الى القتال رجاء المناجزة بالكلية واستوى

العدو في خيامهم بحيث لما ظهر منهم ولما كان   ثالث شعبان

الناس القتال واحدقوا بالعدو في خيامه فلما تهيأ ولذلك

راى بعض الامراء تاخير ذلك   رابع شعبان وان يدخل

الرجل كله الى داخل عكا ويخرجوا مع العسكر المقيم بالبلد من الباب البلد

رايه وتركب العساكر الاسلامية من خارج من سائر الجوانب

ويحملوا حملة الرجل الواحد والسلطان تعالى هذه الامور بنفسه وفيها بنفسها

بذاته لا يتخلف عن مقام من هذه المقامات وهو من شدة عرضه ووفور

همته كالوالدة الثكلى ولقد اخبرني بعض اطبائه انه بقي من يوم الجمعة

الى يوم الاحد لم يتناول من الغذاء الا اشياء يسيرة لفرط اهتمامه وفعلوا

ما كان عزم عليه واشتدت منعة العدو وحمى نفسه في خيامه ولم تزل

سوق

سوق الحرب قائمة تباع فيها النفوس بالنفائس وتمطر نفائس سماء حربها
الرؤوس من كل رئيس وهلم جرا حتى كان يوم الجمعة ثامن شعبان ذكر
بالخبر ... الى العاصية ولما كان الثامن من عزم العدو على الخروج بجموعهم
فخرج راجلهم وفارسهم واعتمدوا على التلول وساروا الهوينا غير مفرطين
في انفسهم ولا خارجين من راجلهم والرجالة حولهم كالسور المبنى بعضهم
بعضا حتى قاربوا خيام الترك ولما راى المسلمين ذلك واقدام العدو
عليهم شدوا وتنازعت الشجعان وتنازعت الكماة الى الاقران وصاح
السلطان يا لعساكر الاسلامية يا لِه للاسلام فركب الناس باجمعهم ووافق
فارسهم راجلهم وشابهم شيخهم وحملوا حملة الرجل الواحد على العدو
المخذول فعاد ناكصا على عقبيه والسيف والعمل فيهم والسالم منهم جريح
والعاطب طريح مستدون هزيمة بغير حريمهم نفتلهم لا يلوي الجماعة
منهم على قتيلهم حتى لحق الخيام من سلم منهم وانكفوا عن القتال اياما وكان
رايهم ان يحفظوا نفوسهم ويحرسوا روسهم استمر فتح طريق عكا والمسلمون

يترددون اليها وكنت ممن دخل ورقا على السور ورمى العدو بما يسر الله ثم

من السور ودام القتال بين الفئتين متصليا ليلاً ونهاراً حتى كان

الحادي عشر من شعبان وراى السلطان توسيع الدائرة عليهم

ليخرجوا الى مصارعهم فنقل الثقل الى تل العياضية وهو تل قبالة تل المصلين

مشرف على عكا وخيام العدو وفي هذه المنزلة توفي حسام الدين طمان وكان

من الشجعان ودفن في سفح هذا التل وصليت عليه مع جماعة من الفقهاء

ليلة نصف شعبان وقد مضى من الليل ربعه ذكر وقعة جرت

للعرب مع العدو وكان سبب ذلك انه بلغنا ان جماعة من العدو يخرجون

للاحتشاش من طرف النهر مما يلي بيت عليه فكمن السلطان لهم جماعة

من العرب وقصد العرب لخفتهم على خيلهم وامنه عليهم فخرجوا ولم يشعروا

فهجموا عليهم وقتلوا منهم خلقا عظيما واسروا جماعة واحضروا عدة

بين يديه فخلع عليهم واحسن اليهم فخرجوا ولم يشعروا فهجموا عليهم بين

اليهم وكان ذلك في سادس عشره وفي عشية ذلك اليوم وقع بين العدو وبين

اهل

٦٧

اهل البلد حرب عظيم قتل فيه جمع عظيم من الطائفتين الامريين

الفئتين وما يخلو يوم من قتل وجرح وسبي ونهب وانس البعض بالبعض

بحيث ان الطائفتين كانا يتحدثون و كان القتال وربما غني البعض و

يطول المناشرة ثم يرجعون الى بعد ساعة وكان الرجال

يوما من الطائفتين قد سموا من القتال فقالوا نقاتل الكبار وليس للصغار

يريد ان يصطرع فاخرج صبيان من البلد الى صبيان

من الفرنج واشتد الحرب بينهم فوثب احد الصبيين المسلمين

فاختطفه وضرب الارض وقبضه اسيرا فاشتراه بعض الفرنج بدينارين وقالوا

هو اسيرك حقا فاخذ الدينارين واطلقه وهذه نادرة ووصل

للفرنج مركب فيه خيل منها فرس ووقع في البحر ولايزال تسبح وهم حوله يردونه

حتى دخل مينا عكا واخذه المسلمون ذكر المصاف الاعظم على عكا وذلك

انه لما كان يوم الاربعا الحادي وعشرين تحركت عساكر الفرنج حركة لم تكن

لهم بمثلها عادة فارسهم وراجلهم وكبيرهم وصغيرهم فاصطفوا خارج خيمهم

قلبا وميمنة وميسرة وفي القلب   يديه الانجيل محمولا مستورا
بثوب الاطلس مغطى يمسكه اربعة انفس باربعة اطرافه وهم يسيرون
بين يدي الملك وامتدت الميمنة في مقابلة الميسرة التي للعسكر الاسلامي
من اولها الى اخرها وكذلك ميسرة العدو في مقابلة ميمنة الى اخرها
وملكوا رؤس التلال وكان طرف ميمنتهم الى النهر وطرف ميسرتهم
الى البحر واما العسكر الاسلامي المنصور فان السلطان امر بالجاويش ان نادى
في الناس بالاسلام وعساكر الموحدين فركب الناس وقد باعوا انفسهم
بالجنة ووقفوا بين يدي خيامهم وامتدت الميمنة الى البحر والميسرة الى
النهر   كانت قد نزل الناس في الخيم ميمنة وميسرة قلبا تعبية الحرب
اذ وقعت صيحة لا يحتاج الى تجديد ترتيب وكان هو في القلب وفي ميمنة
القلب ولده الملك الافضل ثم عسكر تقدمهم ظهير الدين بن البلنكري ثم عسكر ديار   المواصلة
بكر في خدمة السلطان قطب الدين نور الدين صاحب الحصن ثم حسام الدين
ابن لاجين صاحب نابلس ثم الطوشي قايماز النجمي وجموع عظيم متصلين بطرف

الميمنة

الميمنة وكان في طرفها الملك المظفر تقي الدين عمر بعسكره وعسكره وهو
مطل على البحر واما اوائل الميسرة فكان مما يلي القلب سيف الدين علي المشطوب
وعلى بن احمد من كبار ملوك الاكراد ومقدمهم والامير مجلي وجماعة
المهرانية والهكارية ومجاهد الدين برنقش مقدم عسكر سنجار وجماعة
من المماليك ثم مظفر الدين بن زين الدين بجحفله وعسكره واواخر الميسرة
كبار المماليك الاسدية كسيف الدين يازكج ورسلان بغا وجماعة الاسدية
الذين يضرب بهم المثل ومقدم القلب الفقيه عيسى وجمعه هذا والسلطان
يطوف على الاطلاب بنفسه يحثهم على القتال ويدعوهم الى يرغبهم
في نصرة دين الله ولم يزل القوم يتقدمون والمسلمون يتقدمون حتى
علا النهار ومضى فيه مقدار وعند ذلك تحركت ميسرة
العدو على ميمنة المسلمين واخرج لهم الملك المظفر الجاليش وجرت بينهم قلبات
على الملك المظفر وكان في طرف الميمنة على البحر فتراجع
عنهم شيئا الحاعا لهم لعلهم يبعدون عن مالهم منهم غرض

السلطان   بالطلاب من القلب حتى قوي
جانبه وتزافعت   واجتمعت على تل مشرف على البحر ولما رأى
في مقابلة القلب ضعف القلب ومن خرج منه من الاطلاب
داخلهم الطمع وتحركوا نحو ميمنة القلب وحملوا حملة الرجل الواحد
راجلهم وفارسهم ولقد رايت الرجالة تسير سير الخيالة ولا يسبقونها
وهم يسوقون خببا وجاءت حملتهم على الديار بكرية كما شاء الله تعالى وكان بهم
غرة عن الحرب فتحركوا بين يدي العدو وانكسروا كسرة عظيمة وسرى الامر
حتى انكسر معظم الميمنة واتبع العدو المنهزمين الى العياضية فانهم استداروا
واحول التل وصعد طايفة بين العدو الى خيمة السلطان فقتلوا
دارا كان هناك وفي ذلك اليوم استشهد اسمعيل المكبس وابن رواحه
رحمهما الله تعالى واما الميسرة فانها ثبتت فان الحملة لم تصادفها واما
السلطان فانه اخذ يطوف على الاطلاب ينهضهم ويعدهم الوعود الجميلة
ويحثهم على الجهاد وينادي فيهم يا للاسلام ولم يبق معه الا خمسة انفس

وهو

وهو يطوف على الاطلاب ويخارق الصفوف وادى الى تحت التل الذى
كان عليه الخيام واما المنهزمون من العسكر فانه بلغت هزيمتهم الى القحوانه
قاطع جسر طبرية ووصل منهم قوم الى محروسة دمشق واما المتبعون لهم
فانهم اتبعوهم الى العياضية فلما راوا هم وقد صعدوا الى الجبل رجعوا
عنهم الى عسكرهم فلقيهم جماعة من الغلمان والجرجندية والسياسة
منهزمين على تعال الجبل فقتلوا منهم جماعة ثم جاؤا على روس السوق
فقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة فان السوق كان فيه خلق عظيم وهم
سلاح واما الذين صعدوا الى الخيام السلطانية فانهم لم يلمسوا فيها شيا
اصلا سوى انهم قتلوا من ذكرنا وهم ثلثة نفر وراوا ميسرة الاسلام ثابتة
فعلموا ان الكرة لايتم فعادوا منحدرين من التل يطلبون عسكرهم واما
السلطان فانه كان واقفا تحت التل فامرهم بالطراد ان ولوا ظهورهم
واشتدوا يطلبون اصحابهم فصاح في الناس وحملوا عليهم فطرحوا منهم
جماعة فاشتد الطمع فيهم وتكاثر الناس وراهم حتى لحقوا اصحابهم والطراد

وراهم فلما راوهم منهزمون المسلمون وراهم في عدد كثير ظنوا ان جمع
منهم قد قتل وانهم انما نجى منهم هذا النفر فقط وان الهزيمة قد عادت عليهم
فاشتد وفي الهرب في الهزيمة وتحركت الميسرة عليهم وعاد الملك المظفر بجمعه
من الميمنة وتخيلت الرجال وتراجع الناس من كل جانب وكذب
الله الشيطان ونصر الايمان وطل الناس في قتل وطرح وضرب وضرب
وجرح الى ان اتصل المنهزمون السالمون الى عسكرهم فهجم المسلمون
عليهم في الخيام الاطلاب كانوا عدها خشنا من مثل هذا الامر مستريحة
ذو المسلمين وكان التعب قد اخذ من الناس ليرق قد الجمع
عنهم بعد صلاة العصر يخوضون في القتلى ودمائهم الى خيامهم
فرحين مسرورين وعاد السلطان في ذلك اليوم الى خيمة فرحا
وجلسوا في خيمة يتداركون من فقد منهم وكان مقدار من فقد
من الغلمان المجهولين مائة وخمسين نفرا ومن المشهورين استشهد ظهير
الدين اخو الفقيه عيسى ولقد رايته وهو جالس فضحك والناس تعرق

وهو

٤١

وهو ينكر عليهم ويقول هذا يوم الهنا الا يوم العزا وكان هو قد وقع من فرسه
واركبه قرابيه وقتل عليه جماعة من اقاربه وهو ينكر عليهم ويقول هذا
يوم الهنا الا يوم العزا وكان هو قد وقع من فرسه واركبه قرابيه وقتل
عليه جماعة من اقاربه وقد حملوهم الى شاطى النهر ليلقوه فيه فخرينهم
بنحو سبعة الاف فلما تم على المسلمين من الهزيمة ما تم وراوا الغلمان
يخلو الخيام عن من تعرض عليهم فان العسكر انقسم الى قسمين منهزمين
ومقاتلين فلم يبق في الخيم احد وانا فظنوا الكسرة تتم وان العدو
نهب جميع ما في الخيم ابدى هم في الخيام ونهبوا جميع ما كان
فيها وذهب من الناس اموال عظيمة وكان ذلك اعظم من الكسرة فعاد
ولما عاد السلطان الى الخيم وراى ما قد تم على الناس من نهب الاموال و
الهزيمة سارع في الكتب والرسل في رد المنهزمين وتتبع من شذ من العسكر
والرسول تتابع في هذا المعنى حتى بلغت عقبه فيق واخذوهم بالكرة
بالعكره للمسلمين فعادوا وامر بجمع الامتعة من اكف الغلمان الى خيمة

حتى جلالات الخيل والخاير بين يديه في خيمة وهو جالس ونحن حوله وهو
يتقدم الى كل من عرف شيئا وحلف عليه ليسلم اليه وهو يلقى هذه الاحوال
بقلب صلب وصدر رحب ووجه منبسط وراى مستقيم غير مختلط واحتساب
الله لم وقوة عزم في نصرة دين الله واما العدو المخذول فانه عاد الى خيمة
وقد قتلت شجعانهم وطرحت مقدموهم وفقدت ملوكهم فان السلطان
ان خرج من عكا عجل يستحيون القتلى منهم الى طرف النهر ليلقوا ولقد حكا
لي بعض من ولي امر العجل انه احد خيطا وكان كلما احد   عقد عقدة
فبلغ عدد قتل الميسرة الى اربعة الاف دينار وكسر وبقي قتل الميمنة وقتل
القلب لم يعدهم فانه   غيره وبقي من العدو بعد ذلك من حمى
نفسه واقاموا في مخيمهم لم يكترثوا الجحا قل المسلمين وعساكرهم وتشتت
المسلمين خلق كثير بسيف الهزيمة فانه ما رجع منها الا رجال
معروف يخاف على نفسه والباقون هربوا في   السلطان
الاموال المنهوبة واعادها الى اصحابها واقام المنادية في العساكر وقرنا

البذا

النلا بديه وهو تفرقها بنفسه بين يديه واجتمع
الامتعة عدد كثير في خيمة حتى ان الجالس في احد الطرفين لا يرى الجالس
في طرفها الاخر واقام من ينادي على من ضايع منه شي من الخلق وصار من عرف
شيئا واعطا علامته خلق واخذه من الخيل والخلات سوى الهميان و
الجوهر ولقي من ذلك الا نعمة من الله ثم يشكر عليها ودنيا بقي بيد القبول
اليها ولقد حضرت يوم تفرقة الامتعة على اربابها ورايت سوقا للعدل قائمة
لم ير في الدنيا اعظم منها وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين
من شعبان وعند انقضاء هذه الواقعة وسكون نايرتها امر السلطان
بالشغل حتى يراجع الى موضع يقال له الخروبة خشية على العسكر من
الريح القتلى واثار الوقعة من الوخم وهو موضع قريب من مكان الوقعة
الا انه ابعد عنها من المكان الذي كان نازلا فيه بقليل وضربت له خيمة
عند النقل وامر لنزله ان يكون مقيما في المكان الذي كان نازلا فيه وذلك
في تاسع عشرين واحضر الامراء وارباب الراي في سلخ الشهر ثم امرهم المشورة

بالاصغاء و مه وكنت من الحاضرين ثم قال بسم الله والحمد لله
والصلاة على رسول اعلموا ان هذا عدو الله وعدونا قد نزل في بلادنا وقد
وطئ الاسلام وقد لاح لوائح النصر عليه ان شاء الله تعالى وقد بقي في
هذا الجمع اليسير ولا بد من الاهتمام بقلعه والله قد وجب علينا ذلك وانتم
تعلمون ان هذه عساكرنا ليس ورائنا نجدة ننتظرها سوى الملك العادل
وهو واصل وهذا العدو ان بقي وطال امره الى ان ينفتح البحر جاءه مدد عظيم
والرأي كل الرأي عندي مناجزتهم فليخبرنا كل منكم ما عنده في ذلك وكان
في ثالث عشر تشرين من الشهور الشمسية وتمخضت الآراء وجرى تجاذب
اطراف الكلام وانفصلت اراؤهم على ان المصلحة تاخير العسكر الى الخروبة و
ان يبقى العسكر اياما حتى يستجموا من حمل السلاح وترجع النفوس اليهم
فقد اخذ منهم التعب واستولى على نفوسهم الضجر وتكليفهم امرا على خلاف ما تحمله
القوى لانا في غايلة وكان لهم خمسون يوما تحت السلاح وفوق الخيل
والخيل قد ضجرت من عرك اللجم وسئمت نفوسها ذلك وعند اخذ حظ من

الراحة

الى الجنة ترجع نفوسها اليها وبصل الملك العادل ويشاركنا في الراى والعمل و نستفيد
من شده من العساكر وبجمع الرجالة   في مقابلة الرجال وكان
بالسلطان الثيات من اجي قد عراه ما كثيرة ما حمل على صحته واعاناه من
الغم وبحمل السلاح والعسكرى ذلك   وقع ما قالوه ورواه مصلحة
وكان انتقال العسكر الى نقل ثالث رمضان وانتقال السلطان تلك الليلة
واقام الصلحة من اجه ويجمع العساكر منتظرا اخاه الى عاشر رمضان ذكر وصول
خبر الملك الالمان ولما دخل رمضان من شهور سنة خمس وثمانين وخمسماية
وصل من جانب الحلب كتب من ولده الملك الظاهر عز نصره يخبر فيها انه قد
صح ان ملك الالمان قد خرج الى القسطنطينية في عدة عظيمة وقيل مايتا
الف وقيل مايتان الف وستون الفا يريد بلاد الاسلامية واشتد ذلك على
السلطان وعظم ورأى استنفار الناس للجهاد واعلام خليفة الوقت بهذه
الحادثة فاستدعاني لذلك وامرني بالمسير الى صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب
الموصل وصاحب اربل واستدعائهم الى الجهاد بانفسهم وعساكرهم وامرني بالمسير

الى بغداد لاعلام الخليفة الزمان بذلك وتحريك عزمه على المعاونة وكان الخليفة
اذ ذاك الناصر لدين الله ابا العباس احمد بن المستضيء بامر الله وكان مسيري في ذلك
المعنى في حادي عشر رمضان ويسر الله تم الوصول الى الجماعة وابلاغ الرسالة
اليهم فاجابوا بنفوسهم وسار عماد الدين زنكي صاحب سنجار بعسكره وجمعه في
في تلك السنة وسار ابن اخيه صاحب الجزيرة سنجر شاه بنفسه مع عسكره وسير
صاحب الموصل ابنه علاء الدين خرم بعظم عسكره وحضرت
الديوان العزيز ببغداد وانهيت الحال كما رسم ووعد بكل جميل وعدت
الى خدمته وكان وصولي اليه في يوم الخميس خامس ربيع الاول من
شهور سنة ست وثمانين وكانت قد سبقت العساكر وفي خدمته جانبهم
بالسمع والطاعة وباهتمامهم بالمسير فسر بذلك وفرح فرحا شديدا ذكر
وقعة ... التي على جانب نهر عكا ولما كان صفر من تلك السنة خرج السلطان
بقصد مطين النفس اسعد المنزلة عن العدو وافا وعل في وتبع ذلك
العدو فاخذ واعزة العساكر واجتمعوا وخرجوا يريدون الهجوم على العسكر الاسلامي

فاحسن

٣٤٧

فاحسن بهم الملك العادل فصاح بالناس اركبت العساكر من كل جانب وحمل
القوم وجرت مقتلة عظيمة قتل منهما منهم خلق عظيم وجرح وجرح عظيم
ولم يقتل من معروفي المسلمين الا مملوك يقال له ارغش وكان
رجلا صالحا استشهد في ذلك اليوم وبلغ الخبر الى السلطان وعاد منزعجا
فوجد الحرب وعاد كل فريق الى حزبه وعاد العدو خائبا وخاسرا
ولله الحمد والمنة وهذه الوقعة لم احضرها اني كنت مسافرا
الوقعات شاهدت منها ما يشاهده مثلي وعرفت الباقي معرفة الحاضر في
هذه الامور ومن نوادر هذه الوقعة السلطان
انقر وكان شجاعا قد قتل من اعداء الله خلقا عظيما وقيل فيهم فاخذوا في
قلوبهم وكمنوا له وخرج اليه بعضهم وبراد الرحمل عليهم حتى
صار بينهم ووثبوا عليه من ساير الجوانب فمسكه واحد منهم لشعره وضرب
الاخر رقبته بسيفه فانه كان قد قتل له قرابيا فوقعت الضربة في يد المالك
لشعره فقطعت يده وخلى على سبيله واشتد هاربا حتى عاد الى اصحابه واعداء الله

يشد وزعيد واخلفه لم يلحقه منهم احد وعاد سالمًا منهم احد وعاد سالما
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا نكروا [illegible] عقبه عيسى
وهي مما بلغني ولم اكن حاضرها وذلك انه مرض مرضا تماهده وهو
ضيق النفس وعرض   واضعفه فلم ينقطع صلابته ولم يغيب
ذهنه عنه الى ان مات وكان رحمه شجاعا كريما حسن للقضا كثير الاهتمام بقضاء
حوائج المسلمين توفي رحمه طلوع فجر الثلاثا تاسع ذي القعدة من شهور سنة
خمس وثمانين ذكر تسليم الشقيف سنة ست وثمانين ولما كان يوم الاحد
خامس عشر ربيع الاول علم الافرنج المستحفظون بالشقيف انهم لا عاصم
لهم من امر الله وانهم ان اخذوا عنوة ضربت رقابهم فطلبوا الامان وجرت
مراجعات كثيرة في قاعدة الامان وكان قد علموا من حال صاحبهم انه قد
عذب اشد العذاب فاستقرت القاعدة على ان الشقيف يسلم ويطلق صاحبه
وجميع من فيه من الفرنج والترك ما فيه من انواع الاموال والذخائر وعاد
صاحب الصيدا والافرنج الذين كانوا بالشقيف الى صور ولما راى السلطان

اهتمام الافرنج من اقطار بلادهم بالمكان وتصويب سهام عزائمهم
نحوه اغتنم الشتاء وانقطاع البحر وجعل في عكا من الميرة والذخائر و
من معه عليها من تقدير الله ثم وتقدم الى النواب بمصر ان العدو
عمروا لها اصطولا عظيما يحمل خلقا كثيرا وسار حتى دخل عكا مكان البدل و
ومراعمه لرواعطي العسكر دستورا طول الشتاء ليستجموا ويستريحوا واقام
هو مع نفر يسير قباله العدو وقد حال بين العسكر من شدة الدخول
بذلك وصول بعضهم الى بعض طريقه كان لما بلغ خبر العدو وقصده
عكا جمع الامرآء واصحاب مرح عيونا وشاورهم فيما يصنع وكان رايه
ان المصلحة مناجزة القوم ومنهم من النزول الى البلد وان نزلوا حلوا
الرحال سور لهم وحفر والخنادق وصعب علينا الوصول اليهم وخيف على
البلد ومنهم وكان اشارة الحكماء عنه انهم اذا نزلوا اجمعه العساكر قلعناهم في
يوم واحد وكان الامر كما قال السلطان والله لقد سمعت القرآن و القول
شاهدت الفعل كما قال السلطان وهذا يوافق معنى قولهم ان من امتي لمحدثين

ومكلمين وان عمرلهم ذكر وصول رسول الخليفه ولم يزل السلطان

مجدا في الانفاذ الى عكا بالميرة والعدد والاصلحة والرجال حتى انقضى

زمان القتال كتب الى العساكر مجدا في الانفاذ الى عكا الى

ليستدعيها من الاطراف ولما تواصل اوايل العساكر رحل السلطان

نحو العدو ونزل على تل كيسان وذلك في ثامن عشر ربيع الاول سنة

ست وثمانين ورتب العسكر قلبه وميمنة وميسرة و

في التواصل والنجدة في التواتر فوصول رسول الخليفه وهو شاب

شريف فوصل معه حملان من النفط وجماعة من النفاطين والزراقين و

ووصل معه من الديوان العزيز النبوي مجده الله ثم رقعة تتضمن الاذن

للسلطان ان يقترض عشرين الف دينار من التجار ينفقها في الجهاد

ويحيل بها على الديوان العزيز فقبل جميع ما وصل من الرسول واستغنى

عن الرقعة والتقبيل بها وكان في ذلك بلغ السلطان ان الفرنج قد

زحفوا على البلد وخالطوه فركب اليهم ليشغلهم بالقتال عن البلد وقاتلهم

قتالا

قتالا شديدا الى ان وصل بين الطائفتين الليل وعاد كل فريق الى مخيمها
ورأى السلطان قوة العساكر الاسلامية وبعد المكان عن العدو فخاف
ان لا يهجم البلد ويتم عليه امر فرأى الانتقال الى تل العجول بالكلية فانتقل
والثقال في الخامس والعشرين وفي صبيحة هذا اليوم وصلت كتب الى
قد طم العدو بعض الخندق وقوي عزمه على منازلة البلد ومضايقته
فجدد الكتب الى العساكر بالحث على الوصول وعبى العسكر تعبية القتال
وزحف الى العدو وليسعله عن ذلك ولما كان سحر ليلة الجمعة سابع و
عشرين وصل ولده الملك الظاهر عز الدين غازي صاحب حلب جريدة
الى خدمته معاجلة البر وترك عسكره في الربه وخدم والده وبل شوقه
منه وعاد الى عسكره ثامن وعشرين وصار حتى وصل في ذلك اليوم
بجحفله وقد ظهر الزينة ولبسوا لامة الحرب وكثرت الاعلام والبيارق وضربت
الكوسات ونفخت البوقات وعرض بين يدي والده وكان قد ركب
في المرج وسار بهم حتى وقف بهم على العدو وشاهدوا ان يسر الله ما

ازعجهم واقلقهم وفي اواخر ذلك اليوم قدم مظفر الدين بن زين الدين
جريدة ايضا مسارعة للخدمة ثم عاد الى عسكره وقدم معه في لامة
الحرب فعرضهم السلطان حتى وقف بهم على العدو وكان مما تقدم
عسكرا الا يعرضهم ويسيرهم الى العدو وينزل بهم في خيمة يمد لهم الطعام
وينعم عليهم بما يطيب به قلوبهم اذا كانوا جانب ثم تضرب خيامهم
حيث يامر وينزلون بها بكرة من لطيفة نزل على سعادة ولده ولده الملك
الطاهر عن يمينه وذلك ان العدو كان قد اصطنع ثلثة ابرجة من
خشب وحديد والبسها الجلود والمسقات بالخل على ما ذكر بحيث
لا تنفذ فيها النيران وكانت هذه الابراج كانها الجبال نشاهدها من مواضعنا
عالية عالية على سور البلد وهي   محمل يسع الواحد منها من المقاتلة ما
يزيد على خمسماية نفر على ما قيل ويتسع سطحها لان ينصب عليه منجنيق
وكان   في قلوب المسلمين واودعها من الخوف ما لا يمكن شرحه
واييس الناس من البلد بالكلية وانقطعت قلوب المقاتلة فيه

٦

ولم يبق الا جرها الى قريب السور وكان السلطان قد اعمل فكره

في احراقها واهلاكها وجمع الصناع   الاجتهاد في

ووعدهم عليه بالاموال الطويلة والعطايا الجزيلة وضاقت

من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي وكر بين يديه لصناعته في احراقها

وانه ان امكن من الدخول الى عكا وحصلت له الادوية التي يعرفها احرقها

فحصل له جميع ما طلبه ودخل الى عكا وطبخ الادوية مع النفط في قدر

نحاس حتى صار الجميع كانه جمرة نار ولما كان يوم وصول الملك الظاهر

ضرب الواحد بقدر فلم يكن الا ان وقعت فيه واشتعل من ساعته ودقته و

وصار كالجبل العظيم من النار طالعة وذائبة نحو السماء واستغاث المسلمون

بالتهليل والتكبير وعليهم الفرح حتى كادت عقولهم ان تذهب وبينما

الناس ينظرون انحجبوا ان رمى البرج الثاني بالقدرة الثانية

فما كان الا ان وصلت اليه واشتعلت كالتي قبلها ضجيج الثغين وانعقدت

الى السماء وما كان الا ساعة حتى ضرب الثالثة فالتهبت وعلى الناس

من الفرح والسرور ما حرك ذوي الاحلام والنهى منهم حركة الشباب
الرعنا وركب السلطان وركبت العساكر ميمنة وميسرة وقلبا وكان
اواخر النهار وساروا حتى اتى العسكر القوم وانتظر ان يخرجوا فيناجزهم
عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح باب من الخير فلينتهزه فلم يظهر العدو من خيامهم
وحال بين الطايفتين الليل وعاد كل فريق الى حزبه ورأى الناس
ذلك ببركة قدوم الملك الظاهر واستبشروا له بعزته وعلموا ان ذلك
بيمن صلاح سريرته واستمر ركوب السلطان اليهم في كل يوم وطلب نزالهم
وقتالهم وهم لا يخرجون عن خيامهم لعلمهم بتباشير النصر والظفر بهم و
العساكر الاسلامية تنظر وتتواصل ذكر وصول عماد الدين زنكي صاحب
سنجار وغيره ولما كان ثاني وعشرين ربيع الاخر وصل عماد الدين زنكي
بن مودود صاحب سنجار بعسكره ووصل بعده عسكر نام ولقيه السلطان
بالاحترام والتعظيم ورتب له العسكر في لقائه وكان اول من لقيه من العسكر
المنصور قضاته وكتابه ثم لقيه اولاده بعد ذلك ثم لقيه السلطان ثم

سايرة

ساير به حتى اوقفه على العدو وعاد معه الى خيمته وانزله عنده وكان صنع
له طعاما لايقاس بذلك اليوم نحضره هو وجميع اصحابه وقدم له من التحف
واللطايف ما لا يقدر غيره عليه وكان من اكرامه بحيث طرح له طراحة
مستقلة الى جانبه وبسط له ثوب اطلس عند دخوله وضرب له خيمة على
طرف الميسرة على جانب النهر ولما كان سابع جمادى الاولى من هذه
السنة ووصل سنجرشاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي
صاحب الجزيرة ووصل في عسكر حسن فلقيه السلطان واكرمه
وانزله في خيمته وامران ضربت خيمته الى جانب عماد الدين وفي تاسع
الشهر وصل علاء الدين بن مسعود في الموصل مقدما في عسكره ففرح
السلطان بقدومه فرحا شديدا وتلقاه عن بعد هو واهله واستحسن
انزله عنده في الخيمة وكارمه مكارمة عظيمة وقدم
له تحفة حسنة وامر بضرب ولديه الملك الافضل والملك
الظاهر مما من اهله الا من بسط من ضيافة و منصبا ولما كان ظهيرة

ار ذلك اليوم ظهران في البحر وكان في نظيره وصول الاصطول من
مصر فانه كان قدام تبعيره ووصوله فعلم انه هو فركب السلطان وركب
الناس في سنة وتعبي تعبيه القتال وقصد مضايقة ولشغله عن قصد
الاصطول ولما علم العدو ووصول الاصطول استعد له والعمر الاصطول
لا يقاتله ومنعه من دخول عكا وخرج اصطول العدو واشتد السلطان
في قتاله من خارج وسار للناس على جانب البحر لتقوية الاصطول وانتاب
البر للرجالة والتقيا الاصطولان في البحر والعسكران في البحر واضطرمت نار الحرب
واستعرت وباع كل فريق روحه براحة الاخروية ورجح حالة الابدية
على حياته الدنيوية وجرى بين الاصطولين قتال شديدا فتقشع على
نصرة الاصطول الاسلامي واخذ من العدو شاني وقتل من به ونهب جميع
ما فيه وظفر من العدو بمركب ايضا كان واصلا من قسطنطينية ودخل الاصطول
المنصور الى عكا وكان قد صحبه مراكب من الساحل فيها ميرة وذخاير وطابت قلوب
اهل البلد وانشرحت صدورهم فان المضايقة كانت اخذت منهم ونال

القتال

القتال بين العسكرين من خارج البلد الى ان فصل بينهما الليل وعاد
كل فريق الى خيمه وقد قتل من عدو الله وخرج خلق كثير عظيم فانهم
قاتلوا في ثلثة مواضع فان اهل البلد اشتدوا في قتالهم ليشغلوهم عن
الاسطول ايضا والاسطول لا يزال يقاتل والعسكر يقاتلهم من البر وكان النصر
للمسلمين في الاماكن كلها ثم كان وصول زين الدين صاحب اربل في العشر
الاخر من جمادى الاولى وهو ابن يوسف بن علي بن بكتكين قدم بحسن عسكر
وتجمل جميل فاحترمه السلطان واكرمه وانزله في خيمة واكرم ضيافته
وامر وضرب خيمة الى جانب اخيه مظفر الدين ذكر خبر ملك الالمان
ثم تواصلت الاخبار بوصول ملك الالمان الى بلاد قليج ارسلان وانه انتهض
للقائه جمع عظيم من التركمان وقصدوا ان يمنعوه عن عبور النهر وانه
اعجزهم لكثرة حلقه وعدم مقدم لهم يجمع كلمتهم وكان قليج ارسلان
نظر وهو في الباطن قد اضمر وفاقه ثم لما عبر الى البلاد واظهر
ما كان اضمره ووافقه واعطاه رهاين معه على انه من نو صله

الى بلاد بن لادن وانفذ معه اولاد وعمرا هم في الطريق جوع عظيم حتى هم
القوا بعض امتعتهم ولقد   اعلم انهم جمعوا عددا كثير من زردية
وخوذ وآلات سلاح عجزوا عن حملها وحملوها سدرا واحدا واضربوا
احدوانها بقيت بعد ذلك تلال حديد و ساروا
على هذا الحال الى بلد يقال له   واما ملكهم لم ان يسبح عن
فيه وكان زمان شديد البرد وكان ذلك عقيب ما ناله من النصب والمشقة و
الخوف وانه عرض له بسبب ذلك مرض عظيم اشتد به الى ان قتله ولما
راى ما حل به اوصى الى ابنه الذي كان في صحبته ولما مات جمعوا لحمه الى
سلقوه في خل وجمعوا عظامه في الكيس على ان يحملوا الى القدس الشريف
حرسه الله ويدفنوه في القبر وترتب ابنه مكانه على من خلف من اصحابه
فان ولده الاكبر كان قد تخلفه في بلاده وكان جماعة من اصحاب المتلوين يميلون
اليه وانفر ولده الحاضر في تقدمه العسكر ولما احس ابن لادن جرى
عليهم من الخلل وما حل بهم من الجوع والموت والضعف بسبب موت ملكهم ما راى
الا ان

الان يلقي نفسه بينهم فانه لا يعلم كيف يكون الامر وهم فزع وهو امني
فاعتصم هو عنه في بعض قلاعه المنيعة صورة كتاب الطاغيكوس
الارمني ولقد وصل الى السلطان كتاب من الطاغيكوس الارمن وهو مقدم
وهو صاحب قلعة الرقام التي على طرف الفرات نسخته هذه ترجمة الكتاب الداعي
المخلص لكاكيغوس ما اطالع به علوم مولانا ومالكنا السلطان الناصر
جامع كلمة الايمان رافع علم العدل والاحسان صلاح الدنيا والدين سلطان
الاسلام والمسلمين ادام الله اقباله وضاعف اجلاله وصان مهجته وكمل
نهايته امال بعظمته وجلاله من ملك الالمان وما جرى له عند ظهوره
وذلك ان اول ما خرج من دياره ودخل بلاد الهنكر غصبا وغصب
ملك الهنكر بالاذعان الدخول تحت طاعته واخذ من ماله واخاه و
اربعين نفرا من خواصه واخذ منه خمسين قنطارا ذهبا وخمسين فضة
وثيابا اطلسا بمبلغ عظيم واغتصب المراكب وعداها الى هذا الجانب وصحبه
الرهاين الى ان يصل حد بلاد الملك قليج ارسلان ورد الرهاين بقي سائر

ثلثة ايام وتركمان الاوج يلقونه بالاغنام والابقار والخيل والبضايع فقد الطعام
الجم وجمعوا من جميع البلاد ووقع القتال بين التركمان وبينه وضا بقوة
ثلثة وثلثين يوما وهو سائر ولما قرب من قونيه جمع قطب الدين ولد قليج ارسلان
العساكر وضرب معه مصافا عظيما فظفر به ملك الالمان وكسره كسرا
عظيما وسار حتى اشرف على قونيه فخرج اليه جموع عظيمة من المسلمين فردهم
مكسورين وهجم قونيه بالسيف وقتل منهم عظيما من المسلمين والفرس
واقام بها خمسة ايام فطلب قليج ارسلان منه الامان فامنه فاستقر بينهم
واخذ منه الملك رهاين عشرين من اكابر دولته واشار على الملك
بجعل طريقه على طرسوس ففعل وقيل منه وصوله الى هذه الديار اختيارا
اوكرها فاقتضى الحال نفاد الملك حاتم ومعه من الخواص جماعة للقاء
الملك وجواب كتابه وكانت الوصية ان يحرقوا على بلاد قليج ارسلان ان امكن
لما اجتمعوا بالملك الكبير ولعادوا عليه الجواب وعرفوا الاحوال بالانحراف
ثم كثرت عليه العساكر والجموع ونزل على شط بعض الانهار واكل خبزا ونام

وانتبه

وابنه فتاقت نفسه الى الاستحمام في الماء البارد ففعل ذلك وخرج وكان
من امر الله انه تحرك عليه مرض عظيم من الماء البارد فمكث اياما فما اهل فمات
وابن الادن فانه كان سائر الى لقى الملك فاجرى هذا المجرى هرب الرسل من العسكر
وتقدموا اليه واخبروه بالحال فدخل بعض حصونه واحتمى هناك واما ابن
الملك فكان ابوه منذ توجه الى قصد هذه الديار نصب ولده الدمعه
عوضه واطاف القاعدة وبلغه هرب رسل الادن فانفذ واستعطفهم و
احضرهم وقال ان ابي كان شيخا كبيرا وما قصده هذه الديار الا لاجل حج بيت
المقدس وانا الذي دبرت الملك وعانيت المشاق في هذه الطريق
فمن اطاعني والا قصدت دياره واستعطف الادن واقتضى الحال الاجتماع
به ضرورة وفي الجملة هو في عدد كثير ولقد عرض عسكره وكان اثنان
واربعين الف مجفجفا واما الرجالة فما يحصى عددهم وهم اجناس متفاوتة
على قصد عظيم وجد في امرهم وسياسته حتى ان من جنى منهم جناية
ليس له جواب الا انه يذبح مثل الشاة ولقد بلغهم عن بعض اكابرهم

انه حتى غلام لم يجاوز الحد في ضربه فاجتمعت النفوس للحكم فاقتضى
الحال والحكم العام تجبره وشفع الى الملك منهم خلق عظيم لم يلتفت الى ذلك
وذبحه وقد حرموا الملاد على انفسهم حتى ان من بلغهم عنه بلوغ لذة هجروه
وعزروه كل ذلك حزنا على البيت المقدس ولقد صح عن جمع فيهم
الهراجر والثياب مدة طويلة وحرموها ولم يلبسوا الا الحديد حتى انكر
عليهم الاكابر ذلك وهم من الصبر على الشقا والذل والتعب عظيم
طالع المملوك بالحال وما يتجدد بعد ذلك يطالع به ان شاء الله تعالى
هذا كتاب الكاكيفوس ومعنى هذا اللفظ الخليفة كوريت باسيل
ذكر مسير العساكر الى اطراف البلاد في طريق ملك الالمان ولما تحقق
السلطان وصول ملك الالمان وقربه الى البلاد الاسلامية
جمع امراء دولته وارباب الاراء وشاورهم فيما يصنع فاتفق الراى
البلاد المتاخمه بطريق عسكر العدو والواصل
وان يقيم هو على منازلة العدو ويباقي كان اول من سار صاحب

منبج وهو ناصر الدين ابن تقي الدين ثم عز الدين ابن المقدم صاحب كفرطاب
وبارين وغيرها ثم مجد الدين صاحب بعلبك ثم صاحب شيزر سابق الدين
ثم الياروقية من جملة عسكر حلب ثم عسكر حماة وسار ولده الملك
الافضل لمرض عظيم له ثم بدر الدين شحنة دمشق لمرض عرض له ايضا
وسار بعد ذلك ولده الملك المظفر الظاهر الى حلب لامانة الطريق
وكشفا للاخبار وحفظا لما يليه من البلاد وسار بعده الملك المظفر لحفظ
ما يليه من البلاد وتدبير امر العدو والمجاز ولما سارت هذه العساكر
خفت الميمنة فان معظم من سار منها فامر الملك العادل ان ينتقل الى
منزلة تقي الدين في طرف الميمنة وكان عماد الدين زنكي في طرف الميسرة
ووقع في العسكر مرض عظيم فمرض مظفر الدين صاحب حران وشفي
ومرض بعده الملك الظافر وشفي ومرض خلق كثير من الاكابر وغيرهم
الا ان المرض كان سليما بحمد الله وكان عند العدو اكثر واعظم وكان فيهم
موتان عظيم واقام السلطان مصابرا على ذلك مرابطا للعدو ذكر تمام

خبر الملك الالمانى فى ذلك ولده الذى قام مقامه مرض مرضا عظيما اقام

ببيبر بموضع بلاد ابن لاون واقام معه خمسة وعشرين فارسا و اربعين

واديا وجهز عسكره نحو انطاكية حتى يقطعوا الطريق ورتبهم ثلثة فرق

لكثرتهم ثم ان الفرقة الاولى اجتازت تحت قلعة نراس يقدمها

كند عظيم عندهم وان عسكر بغراس مع قلتهم اخذ منهم مائتى رجل قهرا

ونهبا وكتبوا عنهم بالضعف العظيم والمرض الشديد وقلة الخيل

والظهر والعدد والالات ولما اتصل هذا الخبر بالنواب فى البلاد الشامية

انفذ واليهم عسكرا يكشف اخبارهم توقع العسكر على جمع عظيم

قد خرجوا بطلب العلوفة فاغاروا عليهم غارة عظيمة وقتلوا واسروا

وكان مقدار ما اخذوه وقتلوه على ما ذكره المخبرون فى الكتب ما من

خمسماية نفس والقد حضرت اذا رسالرسول ثانى من كيفا القرابين بين

يدى السلطان وهو يذكر خبرهم ويقول هم عدد كثير لكنهم ضعاف قليلوا

الخيل والعدة واكثر ثقلهم على حمير وخيل ضعيفة قال ولقد وقفت عن ذلك

فقالوا.

فقالوا القمنا برح وخم ايام اوقلت ازوادنا واخطا وسنا واو قدنا معظم
عدد ناومات مناخلقا عظيما واحتجنا الى الخيل قد بعا ها
الرماح والمدد لاعوار الحطب واما الكند الذي وصل الى انطاكية
في مقدمة وفانهزمات لما احسن منهم ذلك الضعف
طمع فيهم حتى انه عزم على اخذ مال الملك لمرضه وضعفه وقلة مجته
وان البرنس صاحب انطاكية لما احسن منهم بذلك الى ملك الالمان
النقطه الى انطاكية طمعا ان يموت عنده ويأخذ ماله ولم تزل اخبارهم
تتواتر بالضعف والمرض الى ان وقعت وقعة العادل على طرف البحر ذكر
واقعة العادلية ولما كان اليوم الاربعا والعشرين من جمادى الاخرة
علم عدو الله ان العساكر قد تفرقت وان الميمنة قد خفت لان معظم من
سافر كان هناك بحكم قرب بلادهم من طريق العدو واجتمعوا الهم
واتفقت كلمتهم على انهم يخرجون تعبيه وان يهجمون على طرف الميمنة فجاءة
وتلا عيب بهم امالهم فخرجوا ظهيرة النهار وامتدوا اميمنة مدسيرة وقلبا

وانبثوا في الارض وكانوا عددا عظيما واستحفوا طرف الميمنة وكان فيها
مخيم الملك العادل فلما ابصر الناس بهم قد خرجوا في تعبية القتال صاح
صائحهم وخرجوا من خيامهم كالاسود من اجامها وركب السلطان ونادى
مناديه يا آل الاسلام وركبت الجيوش وطلب الاطلاب لقد رايته رحمه الله
قد ركب من خيمته ومعه نفر يسير من خواصه والناس لم يستتم ركوبهم
وهو كالعاقدة ولدها الثاكل واحدها ثم ضرب الكوس فاجابته كوسات
الامراء من اماكنها وركب الناس اما الفرنج فانهم سارعوا في القصد حتى
وصلوا الى الخيمة الملك العادل ودخلوا في وطاقه وامتدت ايديهم
في السوق واطراف الخيم بالنهب والغارة وقيل وصلوا الى خيمة الخاص
واخذوا من شراب خاناته شيئا واما الملك العادل فانه لما علم بذلك
ركب وخرج من خيمته واستركب من يليه من الميمنة كالطواشي قايماز
النجمي ومن يجري مجراه من اسود الاسلام ووقف وقوف مخادع حتى
توغل بهم طمعهم في الخيم واشتغلوا بالنهب وكان كما ظن فانه غاشت ايديهم

في الخيام

في الخيام والاقمشة والفواكه والمطاعم فلما علم أشتغالهم بذلك فصاح بالناس

وحمل بنفسه وحمل حملة ما كان يليه من الميمنة واتصل الامر بجميع

الميمنة حتى وصل الصائح الى عسكر الموصل وهجموا على العدو بحمية الاسود

على فراستهم الله منهم ووقعت الكسرة فعادوا الشدون نحو خيامهم

هاربين على اعقابهم ناكصين وسيفا لله فيهم يلتقط الارواح

شباع وتفصل الاجساد والروس ويفرق بين الابدان والنفوس ولما

نصر السلطان مصطل الحرب قد ارتفع ما يلى. في قلبه نار

الاشفاق وحركت الحمية اخوته والنهضة الرغبة في نصرة دين الله والخوف

على اولياءه عرصه الناس يا آل الاسلام وانصار الموحدين

هذا عدو الله قد امكن الله منه وقد داخله الطمع حتى غشى خيامكم

الى اجابة دعوته جماعة من حمله الكبرى وخاصته وخلفته

ثم طلب عسكر الموصل يقدمهم علاء الدين ثم

الحلبي وتتابعت العساكر وتجاذبت الابطال ووقف هو في القلب

خشيته ان يستضعف العدو القلب فحكم انفذ منه من العساكر فيالق عرضًا
فتواصلت العساكر واتصل الضرب وقامت سوق الحرب فلم يكن الا ساعة
حتى رايت القوم صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وامتدوا مطرحين
من خيام الملك العادل الى خيامهم اولهم في الخيم الاسلامية وآخرهم في
خيم العدو وصرعى على التلول والوهاد وشربت السيوف من دمائهم
حتى رويت واكلت اسد الوغى باسنان الظفر منهم حتى شبعت واظهر
الله كلمته وحقق بعيده نصرته وكان مقدار ما امتد فيه القتلى فيما بين
الخيمتين فرسخا وربما زاد على ذلك ولم ينج من القوم الا النادر ولقد
خضت في تلك الدماء بدابتي واجتهدت ان اعدهم فما قدرت على ذلك
لكثرتهم وتفرقهم وشاهدت فيهم امراتين مقتولتين وحكى لي شاهد
اربع نسوة تقاتلن واسر منهن اثنتان واسر من الرجال في ذلك
اليوم نفر يسير فان السلطان كان امر الناس ان لا يستبقوا احدًا هذا كله
في الميمنة وبعض القلب واما الميسرة فما اتصل الصايح بهم الا وقد نجز

الامر

الامر فقضى القضا على العدو لبعد ما بين المسافتين وكانت هذه
الواقعة فيما بين الظهر والعصر فان العدو ظهر في قائم الظهر و
انفصلت الحرب بعد صلوة العصر وانكسر القوم حتى دخلت معهم
طايفتين من المسلمين وراهم الى مخيمهم على ما قيل ولم يفقد من المسلمين
احد في ذلك اليوم سوى عشرة انفس غير معروفين ولما احسن
جند الله بما جرى من الوقعة فانهم يشاهدون الوقعات من اعلى
السور خرجوا الى مخيم العدو وجرى بينهم مقتلة عظيمة وكانت النصرة
للمسلمين بحيث هجموا من خيام العدو ونهبوا منها جميعا من النسوان
والاقمشة حتى القدور فيها الطعام ووصل الكتاب من المدينة يخبر
بذلك وكان يوما على الكافرين عسيرا واختلف الناس في عدد القتلى
منهم فذكر قوم انهم ثمانية الاف ولقد شاهدت خمس صفوف اولها في
العادل واخرها في خيم العدو ولقد لقيت انسانا عاقلا جنديا سعى
بين الصفوف القتلى وعدهم فقلت له كم عددت فقال ها هنا اربعة الاف

وتيف وستون قتيلا وكسار قد عد صفين وهو في الصف الثالث
. لكن ما مضى من الصفوف اكثر عددا من الباقي وانجلى اليوم الاربعا
باحسن ما ينجلي عنه الاسلام ولما كان يوم الخميس الحادي والعشرين
من جمادى المذكور ورد   نجاب اليه من حلب خمسة ايام تتضمن
كتاب ان جماعة من العدو التجا الى حرجول ونهب اطراف البلاد الاسلامية
ونهض العسكر الاسلامية من حلب اليهم واخذ عليهم الطريق ولم ينج
. منهم الا من شاء الله تعـ وكان وقع هذا الخبر   هذه الوقعة
المباركة وقعا عظيما وضربت البشاير ولم يوجد صبحة كذلك العرس
احسن من هذه الصبيحة   بقية ذلك اليوم في . الحرابي
ذكران العدو قد سال من جانب السلطان من يصل اليهم ليسمع منه
حديثا في سؤال الصلح لضعف حالهم ولم يزل عدو الله من حينئذ
مكسور الجناح من الجانب حتى وصلهم كند يقال له كند هري ذكر وصول
الكندهري وهذا المذكور من ملوكهم واعيانهم وصل في البحر في المراكب عدة

ومعه

ومعه من الاموال والذخاير والميرة والاسلحة والرجال عدد عظيم يقوى
بوصوله عزمهم وحماسهم واستدارهم وحدثتهم نفوسهم بطلب العسكر
الاسلامي المنصور لبلاد كثيرة ذلك الحديث على السنة الناس الجواسيس و
فجمع السلطان الامراء وارباب الراي واستشارهم فيما يفعل وكان اخر
الاجراء انهم يوسعون الحلقة ويتاخرون عن العدو رجاء ان يخرج
العدو ويبعد عن خيمه فيمكن الله منهم وافقهم السلطان على ذلك
الوقعة الله في قلبه ورحل الى جبل الخروبة بالعساكر باسرها وذلك
في السابع وعشرين من جمادى الاخر وترك بقية من العسكر في
ذلك المنزلة في ذلك المنزل كالزكي مقدار الف فارس يتناوبون
لحفظ النوبة هذا والكتاب المتواصلة عن عكا ومنها اليها على اجنحة
الطيور وايدي السباح المراكب اللطاف تخرج ليلا وتدخل سرقة من
العدو وهذا وكان اخبار العدو والواصل من الشمال متواصلة بقلة خيله
وعدده وما قد عراهم من الموت والمرض وانهم اجتمعوا بانطاكية وانهم

قد بعثوا رجاله وان اصحابنا عسكر حلب تخطفوا من حشاشتهم وعلا فتهم ومن
يخرج منهم ذكر كتاب وصل من قسطنطينية يسر الله فتحها وكان بين
السلطان وبين ملك قسطنطينية مراسلة ومكاتبة وكان وصل منه رسول
الى الباب السلطاني مرج عيون في رجب سنة خمس وثمانين وخمسماية في
جواب رسول كان انفذه السلطان اليه بعد تقرير القواعد واقامة قانون
الخطبة في جامع قسطنطينية فمضى الرسول واقام الخطبة ولقي احتراما
عظيما واكراما زائدا وكان قد استصحب معه في المراكب الخطيب والمنبر
وجمعا من المؤذنين والقراء وكان دخولهم الى قسطنطينية يوما عظيما من
ايام الاسلام شاهده جمع كثير من التجار ورقي   المنبر واجتمع عليه
المسلمون المقيمون بها والتجار واقام الدعوة الاسلامية العباسية ثم عاد
فعاد ومعه   بانتظام الحال في ذلك فاقام هذه ولقد
شاهدته يبلغ الرسالة ومعه ترجمان يترجم عنه وهو شيخ حسن
منصور المشايخ وعليه زيهم الذي يختص بهم ومعه كتاب
وتذكرة

وتذكره والكتاب مختوم بذهب وللمامات

قسطنطينية وخبره فانه فانفه هذا الرسول في تمنة ذلك ووصل معه الكتاب

جواب في ذلك الكتاب المواصل معه ووضعه انه كان كتابا

مدرجا وعرضا وهود عرض كتاب بغداد مترجما ظاهره وباطنه بسطر

بينهما وخيته وضع فيها الختم والختم من ذهب مطبوع الخاتم في السمع

على خيمة صورة تلك وزن الذهب خمسة عشرة دينارا مضمون السطرين

المكتوبين ما هذا صورته من اسحاكيوس الملك المومن بالمسيح الاله المتوج

من الله المنصور العالي ابدا المغفور المدبر من الله القاهر الذي لا يغلب

ضابط الروم بذاته انكلوس الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين المحبة

والمودة وقد وصل خط نسيبك الذي نفذت الى ملكي وقراناه وعلمنا منه

ان رسولنا توفنا وحزنا حيث انه توفي في بلد غريب وما قدر ان يتم

كل ما رسم له لكي وامره ان يتحدث مع نسيبك ويقول في حضرتك ولابد

لنسيبك ان تهتم بانفاذ رسولي مع رسول الله المتوفى والقماش الذي

خلفه ووجد بعد موته لنفطه اولاده ولقاربه وما اظن انه يسمع نسبتك
اخبار اودية وانه قد صار في بلادي الامان وما عجب فان الاعداء
يرجفون باشيا وكذب على قدر اغراضهم ولو تشتهي ان تسمع الحق فاهم
قد تاروا وتعبوا كثيرا اكثر مما ذوا فلاحي بلادي وقد خسروا كثيرا من المال
والدواب والرجال ومات منهم وقتلوا بالشدة قد تخلصوا من ايدي
اجناد بلادي وقد ضعفوا بحيث انهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا
كانوا ضعافا بعد شدة كثيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرون نسبتك وبعد ذلك
كيف نسيت الذي بيني وبينك ما عرفت لحكي شيا من المهمات فكلما
يظهر المكاتب مارح ملكي من محبتك الا عداوة الفرنج وجنسهم نوقف مرة
على هذا الترجمة واكرم الرسول واحسن مثواه وكان شيخنا حسن الخلق نبيها
عارفا بالعربية وجنسهم نوقف على هذا الترجمة واكرم الرسول واحسن الي
والرومية والفرنجية ثم ان الفرنج شدوا في حصار البلد وضايقوه لما قد
فعدت لم من الفوت بوصول الكندهري فانه اتفق على ما ذكروا اليه

اعمل

اعلم في عشرة آلاف مقاتل وصلهم نجدة اخرى في البحر قويت بها قلوبهم
ونزلوا البلد بالقليل ذكر حريق المنجنيقات وذلك ان العدو وما احسن
في نفسه بقوة بسبب توالي النجد عليهم اشتد طمعهم في البلد وركبوا
عليه المنجنيقات من كل جانب وتناوبوا عليها بحيث لا تبطل رميها
ليلا ونهارا وذلك في اثناء رجب ولما راى اهل البلد ما نزل بهم
من مضايقة العدو وتعلق طمعهم بهم حركتهم النخوة الاسلامية وكان
مقدموه حينئذ واما والي البلد وحارسه فالامير الكبير بهاء الدين
قراقوش واما مقدم العسكر الامير الاكبر حسام الدين الكبير
ابو الهيجا وكان رجلا ذا كرم وشجاعة ذا تقدم في عشيرته ومصافي
عظيمة فاجتمع يخرجون الى العدو وفارسهم وراجلهم عن عزيمته
عزة وعقل منهم ففعلوا ذلك وفتحت الابواب وخرجوا وقعة واحدة
من كل جانب ولم يشعر العدو الا والسيف فيهم حاكم وسهم قدر الله
وقضائه فيهم نافذ حاول ونجم الاسلام على الكفر في منازلة واحد

بياضه مناصله ورأس مقابلة ولما ولج المسلمون لخيام العدو ذهلوا
عن المنجنيقات وحياطتها وحراستها وحفظها وسياستها فوصلت شهبه
الزراقين المقذوفه وجاءت عوائد الله في نصرة دين الله المألوفة فلم
يكن ساعة حتى اضطرمت منها نيران ونخرق منها بيدها ما شيد عليها الا
في المدة الطويلة في اقرب ان وقتل من العدو سبعون فارسا واسر
خلق عظيم وكان من جملة الاسارى رجل مذكور منهم ظفر به آحاد
الناس الم يعلم مكانته ولما انفصل الحرب سال الفرنج عنه بل هو حي ام لا
فعرف الذي هو عنده عند سؤالهم انه رجل كبير فيهم وخاف ان يغلب
عليه ويرد عليهم بنوع مصانعة او على وجه من الوجوه فسارع وقتله
وبذل الفرنج فيه اموالا ولم يزالوا يشتدوا في طلبه ويحرصون عليه حتى
رمت لهم جثته فضربوا بنفوسهم على الارض وحثوا على روسهم التراب
ودفعت بسبب ذلك عليهم خمدة عظيمة وكتموا امره ولم يظهروا من
كان واستصغر المسلمون بعد ذلك امرهم وهجم عليهم العرب من كل جانب

بيرقون

يسرقون وينهبون ويقتلون ويأسرون الى ليلة نصف شعبان وكان
الكندهري قد اتفق على منجنيق كبير عظيم الشكل على ما نقل الجواسيس
والمستامنون الفا وخمسماية دينار واعده ليقدموه الى البلد ومنع
من حريقه في ذلك اليوم كونه بعيدا عن البلد لم يقدم بعد اليه ولما
كانت الليلة المباركة المذكورة خرج الزراقين والمقاتلة عسطفهم
من كل جانب والله يكلاهم فساروا من تحت ستر الله حتى اتوا المنجنيق المذكور واضرموا
فيه النار فاحترق من ساعة ووقع الصياح من الطائفتين وذهل
العدو فانه كان بعيد من البلد وخاف ان يكونوا قد احيط بهم من
الجوانب وكان نظر من عند الله واحرق بهيمة منجنيقا لطيفا الى جانبه
ذكر الحيلة وادخال بطشة عمرها واودع اربعماية غرارة من القمح ووضع
فيها من الجبن والبصل والغنم وغير ذلك من الميرة وكان الفرنج خذلهم
الله قد داروا مراكبهم حول عكا حرسة لها من ان يدخلها مركب
وكانت قد اشتدت حاجة من الى الطعام والميرة فركب

في بطسة بيروت جماعة من المسلمين وتزيوا بزي الافرنج

ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث يرى من بعد و

علقوا الصلبان وجاءوا قاصدين البلد من البعد

العدو فخرجوا اليهم واعترضوهم في الحراقات والشواني

وقالوا لهم نراكم قاصدين البلد واعتقدوا انهم منهم

قد اخذهم البلد فقالوا او لم تأخذوا البلد بعد فقالوا نحن

نرد الى العسكر وقد الى بطسة في هوايا البلد وكان

يراهم بطسة فرنجية قد اتفقت معهم في البحر قاصدين العسكر فنظروا

فرأوها فقصدوها ينذروها فاستبدت البطسة الاسلامية في السير و

استقامت الريح حتى دخلت ميناء البلد وسلمت ولله الحمد كان فرحا

عظيما فان الحاجة كانت قد اخذت من اهل البلد وكان ذلك في

العشر الاخر من رجب ذكر قصد العوام عيسى ومن نوادر هذه الوقعة

ومحاسنها ان عواما مسلما كان يقال له عيسى وصل الى البلد الكتب و

النفقات

والنفقات في وسطه لئلا يعرفه من يغوص ويخرج من الجانب الاخر من مركب
العدو وكان ذات ليلة شد في وسطه ثلثة اكياس فيها الف دينار وكتب
للعسكر وعام في البحر وجرى عليه اسرا هلكه وابطا خبره عنا وكانت
عادته اذا دخل البلد اطار طيرا عرفنا بوصوله فابطا الطير فاستشعر
هلاكه ولما كان بعد ايام بينا الناس على طرف البحر في البلد وقد قذف
شيئا غريقا فتفقدوه فوجدوه عيسى العوام ووجدوا على الذهب
وشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين فما رئي من ادى الامانة في
حال حيوته وقد ردها في مماته الا هذا الرجل وكان ذلك في العشرين
رجب ايضا ذكر حريق المنجنيقات والعدو كان نصبت على البلد منجنيقات
هايلة حاكمة على السور ومن حجارتها تواترت حتى اثرت في ابراج السور
اثرا بينا وخيف من غايلتها فان احد سهامان من سهام الجرخ العظيم
فاحرق نصلا بها حتى نقيا كالشعلة من النار ثم رميا في المنجنيقات الواحد
فعلقا فيه واجتهد العدو في اطفاها فلم يقدر على ذلك وهبت ريح شديد

فاشتعل اشتعالا عظيما واتصلت لهبته بالاخر واحرقته واشتد اوارهما
بحيث لم يقدر احد ان يقرب مكانهما ليحتال في اطفايهما وكان يوما عظيما
استبشر فيه فرح المسلمين وسارت عافية الكافرين وذكر تمام حديث
ملك الالمان وحيلته التي عملها المركيس ولما انتقر عدم ملك الالمان
في انطاكية واخذها من صاحبها وحكم فيها وكان بين يديه فيها ينفذ
اوامره فاخذها منه غيلة وخديعة واودعها خزانته وسار عنها خامس
عشر من رجب متوجها نحو عكا في جيوشه وجموعه على طريق اللاذقية
حتى اتى طرابلس وكان قد سار اليه من معسكر الافرنج يلتقيه المركيس صاحب
صور وكان من اعظمهم حيلة واشدهم باسا وهو الاصل في تهيج الجموع
من وراء البحر وذلك انه صور القدس في ورقة وصور فيه صورة القمامة
التي يحجون اليها ويعظمون شانها و قبر المسيح الذي دفن فيه بعد
صلبه بزعمهم وذلك القبر هو اصل حجهم وهو الذي يعتقدون نزول
في كل سنة في عيد من اعيادهم وصور على القبر فرسا عليه فارس

مسلم

مسلم راكب عليه وقد وطئ قبر المسيح وقد بال الفرس على القبر وابدا هذا
الصورة على القبر فرسا عليه في الاسواق والمجامع والقوس يحملونها
ورؤسهم المسوح وتبادون بالويل والثبور وللصور عمل في
قلوبهم فانها اصل ومنهم هاج بذلك اخلق لا يحصي عددهم الا الله
وكان من جملتهم ملك الالمان وجنود فلقيهم المركيس لكونه اصلا في
استدعائهم الى هذه الوقعة فلما اتصل به قوى ونصره بالطريق وسلك
به الساحل خوفا من انه اذا اتى على بلاد حلب وحماة ثار لهم المسلمون
من كل جانب وقامت عليهم كلمة الحق من كل صوب ومع كل صوب
ومع ذلك لم يسلموا من شن الغارات عليهم فان الملك المظفر قصدهم
بعساكره وجمع لهم جموعا عليهم هجوما عظيما اخذ فيه من اطراف عساكره
وكان قد لحقهم باوايل عسكره ولو لحق الملك بعساكره ورجالهم لحقهم
بخمسة الاف بعدا نكالوا فخرجوا على ما ذكر بما تيي الف فانظر الى
صنع الله مع اعدائه ولقد وقفت على بعض الكتب فذكر فيه انهم

لما ساروا من اللاذقية يريدون جبله وجدوا في اعقابهم نيفا وستين
فرسا وقد عطبت وانتزع لحمها ولم يبق فيها الا العظام والعظام
من شدة الجوع ولم يزالوا سايرين وايدي المسلمين تختطفهم من حولهم
نهبا وقتلا واسرا حتى اتوا طرابلس ووصل خبر وصوله بكرة الثلثا
من شعبان سنة ست وثمانين وخمسماية هذا والسلطان ثابت الجاش
راسخ القدم لا يردعه ذلك من حراسة عكا والحماية لها ولها مراصدة
العسكر النازل بها وشن الغارات عليهم والهجوم عليهم في كل وقت مفوضا
امره الى الله معتمدا عليه منبسط الوجه لقضاء حوايج الناس
مواصلا لسيرة من نفد اليه من الفقهاء والفقراء والمشايخ والادباء ولقد
كنت اذا بلغني هذا الخبر تاثرت حتى دخلت واجد منه من قوة الله
وشدة الباس ما ينشرح صدري واتيقن معه نصر الاسلام واهله
ذكر وصول البطس من مصر ولما كان العشر الاوسط من شعبان كتب
بهاء الدين قراقوش وهو والي البلد على الاصطول وهو الحاجب لولو بذكر

ان

السلطان انه لم يبق من بلده الا قدر يكفي الى ليلة النصف من
شعبان لا غير فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها للخاص والعام خشيته
الشيوع والبلوغ ونضعف به قلوب المسلمين كان قد كتب
الى مصر بتجهيز بلاث البطس مشحونة بالاقوات والادام والميرة وجميع
في الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء واقلعت البطس
الثلثه من الديار المصرية ولججت في البحر تموج حتى ساروا
بالريح التي تحملها نحو عكا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى عكا ليلة
النصف من شعبان ولم يبق عندهم ما يطعمون
الناس في ذلك اليوم وخرج عليها اسطول العدو يقاتلها
تشهد ذلك من الساحل والناس في تهليل وتكبير وقد كشف
المسلمون رؤوسهم يبتهلون الى الله تعالى في القضا بتسليمها الى البلد والسلطان
على الساحل كالوالدة الثكلى يشاهد القتال ويدعو الى ربه مستنصرة
وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه وفي قلبه وما في قلبه والله يثبته

ولم يزل القتال يعمل حول البطش من كل جانب والله يدفع عنها والريح
يشتد والاصوات قد ارتفعت من الطايفتين والدعاء يخارق الحجب
حتى وصلوا سالمين الى مينا البلد وتلقاهم اهل عكا تلقي الامطار عن
جدب واماروا امنها وكانت ليلة بليالي ذكر محاصرة برج الدبان
ولما كان الثاني والعشرون من شعبان جهز العدو بطشا متعددة
لمحاصرة برج الدبان وهو برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب يحرس
به المينا ومتى عبرت المراكب امن غايلة العدو فاراد العدو اخذه
يبقى المينا بحكمه ويمنع الدخول الشي من البسط فتنقطع الميرة عن البلد
فجعلوا على صواري البطس برجا وملوه حطبا على انهم يسيرون البطش
فاذا قاربت برج الدبان ولاصقته احرقوا البرج الذي على الصاري
والصقوه برج الدبان ليلقوه على سطحه ويقتلوا من عليه من المقاتلة ويأخذوه
وجعلوا في البسط وقودا كثيرا حتى يلقي في البرج اذا اشتعلت النار فيه
وعبوا بطشة ثانية وملوها حطبا ووقودا على انهم يدفعوها الى ان

تدخل

تدخل بين البطس الاسلامية ثم يلهبوها فيحترق البطس الاسلامية
ويهلك فيها من الميرة وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث
لا يحصل اليهم نشاب ولا شيء من الات السلاح حتى اذا احرقوا ما ارادوا
اطلقوه وحلوا تحت ذلك القبو فامنوا وقدموا البطسة نحو البرج المذكور
وكان طمعهم شديد حيث كان الهوى مصعدا لهم فلما احرقوا البطسة
التي ارادوا احراقها بطس المسلمين والبرج الذي ارادوا احراقه
من على برج الذبان زفوا وقدوا النار وضربوا فيها النفط فانعكس الهوى
عليهم كما شاء الله تعالى وارادوا واشتعلت البطسة التي كانت بها باسرها
واجتهدوا في اطفائها فما قدروا واهلك من كان فيها من المقاتلة الا من
شاء الله واحترقت البطسة التي كانت معدة للاحراق بطسنا ووثب
اصحابنا عليها فاخذوها اليهم واما البطسة التي كانت فيها القبو فانهم
انزعجوا وهموا بالرجوع واختلفوا واضطربوا اضطرابا عظيما
فانقلبت وهلك جميع من كان بها لانهم كانوا في لم يستطيعوا

الخروج منها وكان ما ذلك من اعظم ايات الله واندر العجايب في نصرة
دين الله وكان يوما مشهودا ذكر وصول الالماني الى عسكرهم
المخذول عدنا الى حديث ملك الالمان وذلك انه قايم طرابلس خير
عسكره وارسل الى النازلين على عكا يخبرهم بقدومه اليهم وقد
هموا من ذلك لان المركيس مشورة وصاحب دولة
وكان الملك حنري وهو ملك الساحل بالعسكر هو الذي يرجع اليه
في الامور فعلم ان مع قدوم الالماني لا يبقى له حكم ولما كان العشر الاخر
من شعبان ازمع رايه على المسير في البحر لعلمه انه ان لم يعمل يركب
البحر ركب واخذت عليه الطريق والمضايق فاعد والمراكب وانفذت
اليه من كل جانب ونزل فيها هو وعسكره وخيلهم وعددهم وساروا يريدون
العسكر فلم تمض الا ساعة من نهار حتى قامت عليهم الريح عاصف
وثار عليهم الموج من كل مكان واشرفوا على الهلاك وهلك منهم ثلثة
مراكب حمالة وعاد الباقون الى صيدون وهو طيبا فاقاموا اياما حتى
طالت

٩٣

طالت لهم الريح وساروا حتى انتواصوا فاقام المركيس والالمان بها وانفذوا
بقية العساكر الى المعسكر النازل عكا واقام بصور الى ليلة السادس من رمضان
وسار الالمان وحده في البحر حتى وصل معسكرهم غروب الشمس من ذلك
اليوم في نفر يسير هكذى اخبر الجواسيس والمستامنون عنهم وكان لقدومه
موقع عظيم عند الطايفتين واقام اياما واراد ان يظهر والمحبة اثر في
القوم على طول مقامهم وحسن في رايه ان يضرب مصافا مع المسلمين
فنحوه من الاقدام على هذه الامر وعاقبته فقال لا بد من الخروج على الترك
لنذوق فقال القوم ونعرف مراسم وننظر امرهم فليس الخبر كالعيان
فخرج على الترك الاسلامي واتبعه معظم الفرنج واجلهم وفارسهم وخرجوا
حتى قطعوا الوطاة التى بين تلهم وتل العياضية وعلى تل العياضية وعلى
خيم الترك وهى نوبة الحلقة السلطانية المنصورة في ذلك اليوم
فوقعوا في وجوههم وقاتلوهم واذاقوهم طعم الموت وعرف السلطان
ذلك فركب من خيمته بجحفله وسار حتى الى تل كيسان فلما راى العدو

العساكر الاسلامية صوبت نحوه سهام قصدها واتته من كل جانب كقطع
من الليل المدلهم عاد ناكصا على عقبه وقد قتل منهم وجرح كثير والسيف
يعمل فيهم وفي نفهم وهم هاربون حتى وصل المخيم غروب الشمس وهو نفهم
لا فيه سلامة نفس من شدة خوفه وفصل الليل بين الطائفتين
وقتل من المسلمين اثنان وجرح كثير وكانت الكرة على اعداء الله ولما
عرف ملك الالمان ما جرى عليه وعلى اصحابه من الترك الذي هو
شروه من مكروهم جزومن كل راى ان يرجع الى قتال
البلد واشتغل المضايقة فاتخذ من الالات العجيبة والصنايع الغريبة
من شدة الخوف على البلد واستشعر اخذ البلد من تلك
الالات وخيف منها عليه مما احدثوه التي عظيمة ليسمى دبابة تدخل
خلق عظيم ملبسة بصفايح الحديد ولها من تحتها عجل يحرك
به من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها ولها رأس من حديد
وهي تسمى كبشا لانه تنطح بها الصور لشدة عظيمة لانه يجرها خلق عظيم
فهدمه

فتهدم من تكرار نطحها والاخرى و لذلك لان راسها
محدد على شكل السكة التي يحرث بها وراس البرج بدور وهذا يهدم بثقله
وتلك تحدث عدتها وثقلها وهي ببعي سنورا وهن الستارة والسلالم
الكبار الهايلة وانفذوا في البحر بطسة هايلة وصنعوا فيها برجا بخرطوم
اذا ارادوا قلبه على السور انقلبت على بالحركات ويبقى طريقا الى المكان الذي
تنقلب عليه تمشي عليه المقاتلة وعزموا على تقريبه على برج الذبان وليا خذوه
ذكر حريق برج الكبش وغيره من الالات وذلك ان العدو لما راى الالات
قد تمت واستكملت شرع في الزحف على البلد ومقاتلته في كل جانب
واهل البلد كلما راوا ذلك واشتدت عزايمهم في نصرة دين الله وقويت
قلوبهم على المصابرة ولما كان يوم الخميس ثالث شهر رمضان من
السنة المذكورة وهو الذي قدمت فيه العساكر الشام من احسن
واجمل ترتيب واكمل عدة مع والده صاحب حلب وسابق
الدين صاحب برز ومجد الدين صاحب بعلبك وكان السلطان

تداولت الناس من اجل الكريم بخبر صفراوية وكب بذلك اليوم فكان عيدا
من وجوه متعددة وفي ذلك زحف العدو على البلد في خلق لا
يحصي عددهم الا الله فامهلوهم اهل البلد وشجعان المقاتلة الذين فيه
وذو الاراء المنفعة من مقدمي المسلمين حتى تشبث مخاليب اطماعهم
في البلد وانجبوا الانهم المذكورة حتى قاربوا ان يلصقوها بالسور و
تحصل منهم في الخندق جماعة عظيمة واطلقوا عليهم سهام الجروح
باحجار المنجنيق واقواس الرمي والنيران وصاحوا عليهم صيحة الرجل
الواحد وفتحوا الابواب وباعوا نفوسهم لخالقها وباريها ورضوا
بالصفقة الموعود بها وهجموا على العدو من كل جانب وكبسوهم في الخنادق
واوقع الله الرعب في قلوب العدو واعطى ظهره الهزيمة واخذوا
مشتدين هاربين على اعقابهم ناكصين يطلبون خيامهم والاحتماء
باسوارهم لكثرة ما شاهدوا وذاقوا من الجرح والقتل وبقي في الخندق
خلق عظيم فوقع بهم السيف وعجل الله بارواحهم الى النار ولما راى
المسلمون

المسلمون ما نزل بالعدو من الخذلان والهزيمة وهجموا على كبشهم فالقوا
فيه النار والنفط وتمكنوا من حريقه واحرق حرقا شنيعا وظهرت له
لهيبة عظيمة نحو السماء وارتفعت الاصوات بالتكبير والتهليل والشكر
للمولى الجليل وسرت نار الكبش بقوتها الى التنور واحترقت وعلق
المسلمون في الكبش الكلاليب الحديد المصنوعة في السلاسل فجبوه
وهي تشتعل حتى حصلوه عندهم في البلد وكان مركبا من آلات هايلة
عظيمة القى الماء عليه حتى برد حديده بعد ثلثة ايام وبلغنا ان البرك
ان وزن ما كان عليه من الحديد وكان مائة قنطار بالشام القنطار
مائة رطل الشامي بالبغدادي اربعة ارطال وربع رطل ولقد انفذ
راسه الى السلطان ومثل بين يديه وشاهدته وقلبيه وشكله على مثال
السفود الذي يكون على المدار قيل انه فيهدم ما يلاقيه وكان ذلك
من احسن ايام الاسلام ووقع على العدو خذلان عظيم ورفعوا
ما سلم من الاتهم وسكنت حركة التي صنعوا فيها نفقاتهم وتحيرت

ابصار حيلتهم واستبشر السلطان بغزة ولده وابتهاجه بها حيث وجد

مرة بعد اخرى وثانية بعد اولى ولما كان يوم الاربعا

خامس عشر رمضان خرج اصحابنا من الثغر المحروس في شوا

على العدو وضربوا البطسة المعدة لاخذ برج الذبان بقوارير نفط

واحترقت وارتفع لهيبها في البحر ارتفاعا عظيما وحزن الالمان

لذلك حزنا شديدا عظيما وغشية عظيمة ووقع عليهم خذلان

عظيم عميم ولما كان يوم الخميس سادس عشر الشهر وصل كتاب

طاير في طي كتاب وصل من حماة قد طار به الطاير من حلب يذكر فيه

ان البرنس صاحب انطاكية خرج بعسكره نحو القرايا الاسلامية التي يشن

الغارات عليها فنصرت به العساكر ونواب الملك الظاهر فكمنت له

الكمينات فلم تشعر بهم الا والسيف قد وقع فيهم فقتل منهم خمس وسبعون

نفرا واسر خلق عظيم وسلم بنفسه في موضع يسمى ... حتى انه نجا

وسار الى بلده وفي اثناء العشر الاوسط القت الريح بطستين فيها رجال

صبيان

صبيان ونسا وميرة عظيمة وغنم كثيرة قاصدين نحو العدو فغنمها المسلمون

وكان العدو قد ظفر لنا بزورق فيه نفقة ورجال اراد الدخول

الى البلد فاخذوه فوقع الظفر بها بين الطيتين ماجا لذلك وجابرا

له ولم تزل الاخبار بعد ذلك تتواصل على السنة الجواسيس المستامنين

ان العدو قد عزم على الخروج الى العسكر الاسلامي خروج مصاف

ومنا فنتر والتاث مزاج السلطان بحمى صفراوية فاقتضى الحال

تاخر العسكر الى الجبل شفرعم وكان انتقاله تاسع عشر رمضان

فنزل السلطان على اعلى الجبل ونزل الناس على روس التلال الاستعداد

للشتاء والاستراحة من الوحل وفي ذلك اليوم مرض زين الدين يوسف

بن زين الدين صاحب اربل مرضا شديدا بحمين مختلفين الاوقات واستاذن

في الرواح فلم يوذن له فاستاذن في الانتقال الى الناصرة فاذن له في

ذلك واقام بالناصرة اياما عدة بمرض نفسه فاشتد به الامر الى ليلة

الثلثا ثامن عشرين رمضان وتوفي ره وعنده اخوه مظفر الدين بنا هذه

وحزن الناس عليه لمكان شبابه وغربته وانعم السلطان على اخيه مظفر
الدين بلدة اربل واسترد منه بلاده التي كانت في يديه وهي حران
وما يتبعها من البلاد والاعمال وضم اليه بلد شهرزور الضيا واستدعى
الملك المظفر تقي الدين عمر ابن اخيه شيئا نبيئاه ليكون نازلا
لحلل مكانه جابرا للخلل غيبته واقام مظفر الدين في نظره قدوم تقي الدين
ولما كان ضاحي نهار ثالث شوال قدوم وعاد صحبة معز الدين ذكر
قصد معز الدين سنجرشاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن
زنكي وهو صاحب الجزيرة اذ ذلك وكان من قصده انه حضر الجهاد وقد
وصوله وانه اخذه الضجر والسامة والقلق بحيث
ترددت رسله ورقاعه الى السلطان في طلب الدستور يعتذر
اليه بان رسل العدو متكررة في معنى الصلح ولا يجوز ان نقض العساكر
حتى تتميز على ماذا ينفصل الحال من سلم وحرب وهو لا يبالي ويلح في طلب
الدستور الى ان كان يوم عيد الفطر من سنة ست وثمانين وحضر سنجره
ذلك

ذلك اليوم في باب الخيمة السلطانية فاستاذن في الدخول فاعتذر اليه
بالتياث كان قد عرى مزاج السلطان فلم يقبل العذر فكرر الاستيذان
واذن له في الدخول فلما مثل بالخدمة استاذن بالرواح شفاها فاذن
السلطان المذر بذلك وقال هذا وقت تقدم العسكر ويجتمع لاوقت
تفرقتها فانكب على يده وقبلها كالمودع له ونهض من ساعة وسار امر اصحابه
ان القوا القدور فيها الطعام وقلعوا الخيم وتبعوه فلما بلغ السلطان
صنيعه امر بانشاء مكاتبة اليه يقول فيها انك انت قصدت الانتماء الي
ابتداء وراجعتني في ذلك مرارا واظهرت الخيفة على نفسك وقلبك
وبلدك من الملك فقبلتك واويتك ونصرتك وتبسطت يدك
في اموال الناس ودماهم واعراضهم ففقدت اليك ونهيتك عن ذلك
مرارا فلم تنتبه فاتفق وقوع هذه الواقعة للاسلام فدعوناك فاتيت
بعسكر قد عرفته وعرفه الناس وانت هذه المدة المديدة وقلقت
هذا القلق وتحركت هذه الحركة وانصرفت عن غير طيب نفس وغير طيب

نفس وغير قصد حال مع العدو فانظر نفسك وابصر من تلتجي اليه
غيري واحفظ نفسك ممن يقصدك ومالي الى جانبك التفات
وسلم الكتاب الى النجاب فلحقه قريب من طبريه فقرا الكتاب ولم يلتفت
وسار حتى على وجهه وكان الملك المظفر تقي الدين قد استدعى الى الغزا
بسبب حركة مظفر الدين على ما سبق شرحه فلقيه في الطريق في موضع
يسمى عقبة فيق فراه ممنا ولم يرى عليه امارات حسنه وساله
عن حاله فاخبره بامره وتعتب على السلطان كيف لم يخلع عليه لم ياذن
له في الرواح ففهم الملك المظفر انفصاله من غير دستور من السلطان
وانه على خلاف اختياره فقال له المصلحة لك ان ترجع الى الخدمة
وتلازم الى ان مات باذن لك وانت صبي لم تعلم غاية هذا الامر فقال
ما يمكنني الرجوع فقال ترجع من غير بد فليس في الرواح على هذا
الوجه لك راحة اصلا فاصر على الرواح فخشي عليه فقال ترجع من
غير اختيارك وكان تقي الدين شديد الباس مقداما على الامور ليس في

عليه من احد شيء فلما علم انه قابضه ان لم يرجع من غير اختياره رجع باختياره

رجع معه حتى العسكر وخرج الملك العادل ونحن في خدمته الى لقاء

المظفر فوجدناه معه قد خلا به على السلطان وسالاه الصفح عنه

وطلب ان يقيم في جوار تقي الدين خشية على نفسه فاذن له في ذلك

فاقام في جواره الى حين ذهابه ذكر عماد الدين الدستور وذلك

ان عماد الدين زنكي علم المذكور الح في طلب الدستور لهجوم

الشتاء عليه مع عدم الاستعداد له والسلطان يعتذر اليه فان الرسل متواترة

بيننا وبين الفرنج والصلح قد انتظم فينبغي ان يكون انتظامه بحضوركم والراي مشترك

وسيتاذن في ان يحمل اليه خيم الشتاء فلم يفعل وان يحمل اليه نفقة فلم

يفعل وتكررت الرسل منه الى السلطان في المعنى والسلطان يكرر الاعتذار

ولقد كنت بينهم في شيء من ذلك كان عند عماد الدين من العزم على الرواح

ما يجاوز كل وصف عند السلطان من عسكره الى ان يفصل امر بيننا وبينهم

مالا يحد الى الامر الى ان يكتب عماد الدين بخطه ويطلب فيها الاذن في الرواح

ونيّف فيها وتخشّن فاخذها السلطان وكتب في ظهرها بيده الكريمة
ممن ضيع مثلي فريدة فليت شعري ما استفاد دونها والدين
عليها وانقطعت رجعتي بالكلية ذكر خروج العدو الى راس الماء
وتواصلت الاخبار بضعف العدو ووقع الغلاء في ديارهم وعسكرهم
حتى ان الغرارة من القمح بلغت في انطاكية ستة وتسعين دينارا صورية
ولا يزيدهم ذلك الا صبرا واصرارا وعنادا ولما ضاق بهم الامر وعظم
الغلاء وخرج منهم خلق عظيم مستامنين من شدة الجوع وعزموا الى
الخروج الينا وكان طمعهم بسبب مرض السلطان فظنوا انه لا يستطيع
النهوض وكان خروجهم يوم الاثنين حادي عشر شوال بخيلهم وبرجالهم
متحملين ازوادا وخياما الى الابار التي اتخذها المسلمون تحت الجبل
لما كانوا نزولا عليه واخذوا عليق اربعة اياما فاخبر بخروجهم على هذا
الوجه فامر اليزك ان يتراجع من بين ايديهم الى تل كيسان وكان اليزك
على العياضية وكان نزول العدو على الابار بعد صلوة العصر من اليوم المذكور

شدة

ونازلوا

وباتوا تلك الليلة والترك حولهم جميع الليل فلما طلع الصبح جاء
من اليزك من اخبر بانهم قد تحركوا للركوب وكان قدام الثقل في اول
الليل ان يسيروا الى الناصرة والمقيمون في الرحيل الثقل وبقي الناس وكنت
في جملة من اقام في خدمته وامر العسكر ان يتركب ميمنة وميسرة قلبا
بتعبية القتال وركب هو وصاح للشا ويش بالناس فركبوا وسار
حتى وقف على تل من جبال الخروبة وامتدت الميمنة بالمسير هناك
حتى بلغ اخرها الجبل وسارت الميسرة حتى بلغ اخرها النيل وقرب النهر فكان
في الميمنة ولده الملك الافضل صاحب دمشق وولده الملك الطاهر
صاحب حلب وولده الملك الظاهر صاحب بصرى وولد عز الدين
صاحب الموصل علاء الدين خرم شاه ثم اخوه في طرفها وفيه قريب
منه حسام الدين لاجين والطواشي قايماز النجمي وعز الدين جرديك النوري
وحسام الدين بشاره صاحب بانياس وبدر الدين ولدرم وجمع كثير من الامراء
وكان في الميسرة عماد الدين زنكي صاحب سنجر وابن اخيه معز الدين صاحب الجزيرة

وفي طرفها الملك   وتقي الدين ابن اخيه وكان عماد الدين زنكي

غايبًا بنفسه مع الثقل المرض كان به وبقي عسكره في الميسرة سيف

الدين علي المشطوب   والهكارية ومهرانيين وغيرهم من الامراء

الاكراد وفي القلب الحلقة السلطانية وتقدم للسلطان ان يخرج

من كل   الجاليش وان يبرز واحوال العسكر والترك

معهم واختفي بعض الطلاب وراء التلال اعسام يجد وزمن العدو عبره

ولم يزل عدو الله يسير والناس جميع جوانبه وهو سائر على شاطي

النهر من الجانب الشرقي حتى راس العين وداروا حوله عبر الجانب

الغربي ونزلوا وخرج منهم في ذلك اليوم جمع عظيم وقتل منهم ايضا

جماعة وكانوا اذا خرجوا واحد منهم وحملوه اذا قتل دفنوه وهم

سايرون حتى لا يبين لا قتيل ولا جريح وكان نزولهم يوم الثلثا بعد الظهر

وتراجعت العساكر الى مواطن المصابرة ومواقف الحراسة وتقدم السلطان

الى الميسرة ان تستدير بهم بحيث يقع اخرها على البحر والميمنة تشتد

بالنهر

بالهزمن الجانب الشرقي والجاليش يقابلهم بقربهم ويرميهم بالنشاب بحيث
لا يقع النشاب عنهم اصلا وبات الناس تلك الليلة على هذا المثال
وسار هو ونحن في خدمته الى راس جبل الحزوية فنزل في خيمة لطيفه
والناس حوله في خيم لطاف براى العدو واخبار العدو يتواصل
اليه ساعة بساعة الى الصبح فلما كان الصبح يوم الاربعا وصل من اخبر
انهم تحركوا المركوب فركب هو ورتب الاطلاب وسار حتى اتى اقرب جبال
الحزوية اليهم بحيث يشاهد احوالهم وكان رحمه الله متاشي المزاج ضعيف
القوة قوى القلب ثم بعث الى العساكر وامرها بالمقاتلة والمضايقة
والحمالة عليهم من كل جانب وامر الاطلاب ان تحيط بهم بحيث لا تكون
قريبة ولا بعيدة ليكون وراء المقابلة الى ان تضاحا النهار وسار العدو
الى شاطى النهر من الجانب الغربي يطلب جهة جهة والقتال اشتد عليهم
من كل جانب الا من جانب النهر والتحم القتال فصرع منهم خلق عظيم وهم
يدفنون قتلاهم ويحملون جرحاهم وقد جعلوا رجالتهم سورا لهم تضرب

الناس بالزنبورك والنشاب حتى لا يترك احد ايصل الا بالنشاب.
فانه كان يظهر عليهم كالجراد وخيالتهم سيرون في وسطهم بحيث لا
يظهر منهم احد في ذلك اليوم اصلا، والكوسات تخفق والبوقات
تنعر والاصوات بالتهليل والتكبير هذا والسلطان يمد الجاليش بالاطلاب
والعساكر التي عنده حتى لم يبق معه الا نفر يسير ونحن نشاهد الاحوال
وعلم العدو مرتفع على عجلة هو مغروس فيها وهي تسحب بالبغال
وهم يذبون عن العلم وهو على الحبل كالمنارة خرقته بياض ملمع
باحمر على شكل الصليب فلم يزالوا سايرين على هذا الوجه حتى وصلوا
وقت الظهر قبالة جبر وعوق وقد الجمهم العطش واخذ منهم التعب
واثخنهم الجرح واشتد الامر من شدة الحر وكلفه فاتلوا المسلمون في ذلك
اليوم قتالا شديدا واعطوا الجهاد حقه وهجموا عليهم هجوما عظيما
واستداروا بهم كالحلقة وهم لا يظهرون من رجالتهم ولا يحملون فكان
الفعل معظمة للحلقة في ذلك اليوم فانهم اذاقوهم طعم الموت وجرح

منهم

منهم جماعة كابار الطويل   ذلك الحرب العظيم اعظم مقام
وجرح جراحات متعددة وهو مستمر على القتال وجرح سيف الدين
يازكج   متعدده وهو من فرسان الاسلام وشجعانه وله مقامات
كثيرة وجرح كثير ولم يزل الناس حولهم حتى نزلوا ظهر نهار ذلك اليوم
عند جسر وعوق وقطعوا الجسر واخربوه خوفا من عبور الناس اليهم
ورجع السلطان الى تل الخروبة واقام عليهم يركا يحرسهم واخبارهم
تتواتر حتى الصباح وعزم في تلك الليلة على كبس بقيتهم وكتب الى
البلد يعرفهم ذلك حتى يخرجوا هم من ذلك الجانب فلم يصل من اهل
البلد كتاب فرجع عن ذلك العزم بسبب تاخير الكتاب ولما
كان صباح الخميس رابع عشر الشهر وصل من الخبر ان العدو على حركة
الرحيل فركب السلطان وطلب الاطلاب وكف الناس عن القتال
خشية ان يغتالوا فان العدو كان قد قرب من خيمته وادار واطلابه
وكف الناس عن القتال خشية ان يغتالوا الى في الجانب الشرقي من النهر

تسير قبالة العدو حتى وصل الى مخيمه وكان ممن خرج من مقدميهم في
هذا السرية الكندهري والمركيس وتخلف ابن ملك الالمان في الخيم
مع جميع كثير منهم فيها الطلاب مستريحة فخرجت الى الزك الاسلامي
وحملت عليهم وانتشبت القتال بين الزك وبينهم وجرى قتال عليه
عظيم قتل فيها من العدو وجرح خلق عظيم وقتل من المسلمين ثلثة
نفر وقتل من العدو شخص كبير فيهم مقدم عليهم وكان على حصان عظيم
ملبس الزرد الى حافرة وكان عليه لبس لم ير مثله وطلبوه من
السلطان بعد انفصال الحرب فدفع اليهم جثته وطلبوا راسه فلم يوجد
وعاد السلطان الى خيمة واعاد الثقل الى مكانه وعاد كل قوم الى منزلهم
وعاد عماد الدين وقد اقلعت حماة وبقي القياس في مزاج السلطان
وهو كان سبب سلامة هذه الطايفة الخارجة كونه لا يقدر على مباشرة
الامر بنفسه ولقد رايته وهو يبكي في حال الحرب كيف لم يقدر على مخالطة
... رايته وهو يامر اولاده واحدا بعد واحد بمباشرة الامر ومخالطة
الحرب

الحرب ولقد سمعت منه وقايل لقول ان الوخم قد عظم في مرج عكا
بحيث ان الموت قد كثر في الطايفتين فانشد متمثلا اقتلاني و
مالكا واقتلا مالكا معي يريد بذلك انني قد رضيت ان اتلف انا
اذا تلف اعداء الله وحدث بذلك قوة عظيمة في نفوس العسكر
الاسلامي ذكر وقعة الكمين وفي الثاني والعشرين من شوال
راى السلطان ان يضع للعدو كمينا وقوي عزمه على ذلك واخرج جمعا
من كل العساكر وشجعانه وابطاله وفرسانه وانتخبهم من خلق كثير وامرهم
ان يبيتوا في الليل ويكمنوا في سفح تل هو شمالي عكا بعيدا من عسكر العدو
عنده كانت منزلة الملك العادل حين وقعت الوقعة المنسوبة اليه
تظهر منهم للعدو نفر يسير وان يقصدوه في خيمه ويحركوه حتى اخرج
انهزموا بين يديه نحو المسلمين ففعلوا ذلك وساروا ليلا
فكمنوا فيه ولما تجلى النهار الثالث والعشرين وخرج منهم نفر يسير
على جياد من الخيل وساروا حتى اتوا مخيم العدو ورموهم

كواجهم بالضرب المتواتر وانحالهم مقدار مايتي فارس وخرجوا اليهم
شاكين في السلاح على خيل اجياد عدة تامة والحه كاملة وقصدوهم
وليس معهم احد راجل ودخلهم الطمع فيهم لقلة عدتهم فانهزموا
بين ايديهم وهو يقاتلهم ويقتلون حتى اتوا الكمين وثارت عند
وصولهم الابطال وصاحوا صيحة الرجل الواحد وهجموا عليهم هجمة
الاسود على فرائسها فصبروا وقتلوا وصابروا وقتلوا قتالا شديدا ثم ولوا
منهزمين ممكن اولياء الله منهم ووقعوا فيهم ضربا بالسيف حتى القوا
منهم جمعا عظيما واحكسلم الباقون للاسر فاوسروهم واخذوا خيلهم
وعدوهم وجد البشر الى العسكر الاسلامي فارتفعت الاصوات با
التهليل والتكبير وركب السلطان يتلقى المجاهدين وسار واكنت في خدمته
حتى اتى تل كيسان فلقينا اوائل القوم فوقف هناك يتلقى العائدين من
المجاهدين والناس يتبركون بهم ويشكرونهم على حسن صنعهم وهو
يعتبر الاسرى ويتصفح احوالهم وكان من اسر مقدم العسكر الفرنسيس

فانه

فانه كان قد انفذ نجدة قبل وصوله واستخار من الملك ايضا عاد السلطان
بعد تكامل الجماعة الى مخيمه فرحا مسرورا واحضر الاسرى عنده وامر مناديا
ينادي بان من اسر اسيرا فليحضره فاحضر الناس اسراهم وكنت حاضرا في هذا
المجلس ولقد اكرم المتقدمين منهم وخلع عليهم وعلى مقدم عسكر الافرنسيس
فروة خاص وامر لكل واحد من الباقين بفروة جرجية فان البرد كان
شديدا وكان قد اخذ منهم واحضر لهم طعاما اكلوه وامر لهم بخيمة نصبت
قريبا من خيمته وكان مكارمهم في كل وقت ويحضر المقدم على الاخوان
في بعض الاوقات وامر بتنفيذهم وحملهم الى دمشق فحملوا مكرمين
واذن لهم ان يراسلوا صاحبهم وان يحضروا لهم من عسكرهم ما يحتاجون
اليه من الثياب وغيره ففعلوا ذلك وساروا الى دمشق ذكر عود العسكر
عن الجهاد ولما هجم الشتاء وهاج البحر من العدو ومن ان يضرب مصافا
وان يبالغ في طلب البلد وحصاره من شدة الامطار وتواترها اذن السلطان
للعساكر في العود الى بلادها لياخذوا نصيبا من الراحة ويجموا خيولنا الى

وقت العمل فكان اول من سار عماد الدين صاحب سنجار لما كان عنده من القلق
في طلب الدستور وكان مسيره خامس عشرين شوال وسار عقيبه في
ذلك اليوم ابن اخيه سنجر شاه صاحب الجزيرة هذا بعد ان قبض من
التشريف والانعام والتحف الطرايف تاخر الملك المظفر الى ان دخلت
سنة سبع وثمانين وتاخر ايضا الملك الظاهر وسار تاسع المحرم سنة
سبع وثمانين وسار الملك المظفر في ثالث صفر ولم يبق عند السلطان
الا نفر يسير من الامراء والحلقة الخاص وفي اثناء ذي القعدة سنة
ست وثمانين وفد عليه زلفندار وتلقاه واكرم مثواه ووضع له طعاما
يوم قدومه وباسطه مباسطة عظيمة وكانت حاجته ان يوقع
له باعادة املاك كانت في يده ثم انتزعت من اعمال نصيبين والخابور
فوقع باعادتها الامر فيها بعد ذلك على وفق الشريعة المطهرة
وخلع عليه وشرفه وسار فرحا مسرورا شاكرا الايادي به ذكر ارتحال
السلطان الى البلد ولما هاج البحر وامنت عايلة مراكب العدو

ورفع

ورفع ما كان له من الشواني في البحر الى البر أشتغل السلطان بادخال البدل
الى عكا وحمل الميرة والذخاير والنفقات والعدد اليها واخراج من كان
بها من الامراء بعظم شكايتهم من طول المقام بها ومعاناة التعب والسهر
وملازمة القتال ليلا ونهارا وكان مقدم البدل من البدل الداخل امير
سيف الدين علي المشطوب دخل سادس عشر المحرم من شهور سنة سبع
وثمانين وفي ذلك اليوم خرج المقدم الذي من البدل الداخل الامير
كان بها وهو الامير حسام الدين ابو الهيجا واصحابه ومن كان بها من الامراء
واعيان من الخلق وتقدم الى كل من دخل ان يصحب معه ميرة لسنة
وانتقل الملك العادل بعسكره الى حيفا على شاطئ البحر وهو الموضع
الذي تحمل منه المراكب فتدخل الى البلد واذا خرجت تخرج اليه
فاقام ثم يحث الناس على الدخول ويحرس الميرة والذخاير لئلا تتطرق
اليها من العدو من يتعرضها وكان مما دخل اليها سبع بطس مملوة ميرة
وذخاير ونفقات كانت وصلت من مصر فحمل وتقدم السلطان

بعتبها من مدة مديدة وكان دخولها ثاني ذي الحجة من السنة الحالية
فانكسر منها مركب على الصخر الذي هو قريب من المينا فانقلبت كل من في البلد
من المقاتلة الى جانب البحر لتلقاه البطس ولما علم العدو ذلك اخذ عزمهم
وزحفوا الى البلد من جانب البر زحفة عظيمة وقاربوا الاسوار وصعدوا
في سلم واحد فاندق بهم السلم كما شاء الله تعالى وتداركهم اهل البلد فقتلوا منهم
خلقا عظيما وعادوا خائبين خاسرين واما البطس فان الموج امرا عظيما
وضرب بعضها على الصخر فهلك وهلك جميع من كان فيها قيل كان عددهم
ستين نفرا وكان فيها ميرة عظيمة لو سلمت لكفت البلد سنة كاملة وذلك
بتقدير العزيز العزيز العليم ودخل على المسلمين بذلك وهنا عظيما واخرج
السلطان بذلك حرجا عظيما فاحتسب ذلك في سبيل الله تعالى وما عند
الله الا خير وبقي وكان ذلك اول علايم اخذ البلد والظفر به ولما كانت
السبت سابع ذي الحجة من السنة الحالية قضى الله وقد وقع من السور
قطعة عظيمة نقبها على الباشورة وهدمت ايضا منها قطعة عظيمة وهي

العلامة الثانية وقد اخذ العدو والطمع وهاج الزحف جيشا عظيما و سارا
الى البلد اقطع الليل المدلهم من كل جانب وثارت همم الناس في البلد وقاتلوا
العدو قتالا شديدا حتى ضرسوا وانبوا من الرميا بالحجارا فوقفوا على سد
موضع الواقعة وجمعوا جميع من في البلد من البناسين والصناع و
وضعوهم في ذلك   بالنشاب والمناجيق فعادت الالية
حتى انتظمت وعاد بناها احسن مما كان اذ لقوا واتفق ذكر الظفر بمركب
قد ملتا من الفرنج خلق عظيم اخرجهم الجوع الينا وقالوا
للسلطان نحن نخوض البحر في مراكبنا ونطلب من العدو   بيننا و بين
المسلمين فاذن لهم في ذلك واعطاهم بركوسا وهو المركب الصغير فركبوا
فيه وظفروا بمركب التجار من العدو اذ هي قاصدة الى عسكرهم ونصباتهم
معظمها فضة مصاغة وغير مصاغة فوقع عليها البركوس وقاتلوهم حتى
اخذوهم وكسبوا منهم مالا عظيما واحضروهم واسروهم بين يدي السلطان
وذلك في ثالث عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ولقد كنت حاضر

ذلك المحير وكان من جملة ما احضروه مايدة فضة وعليها مكبة من
من فضة واعطاهم السلطان الجميع لم ياخذ منهم شيئا وفرح المسلمون
بنصر الله عليهم بايديهم ذكر موت ابن ملك الالمان وفي ذلك ان العدو
لما دخل الشتاء عليهم وتواترت الامطار واختلف الاهوا وخما عظيما
ووقع معه موتان عظيمان والنظر الى تلك الغلاء الزايد واشتد
عليهم البحر الذي كان يجيهم منه الميرة من كل جانب وكان يموت منهم في
كل يوم المايتين والمايتين على ما قيل وقيل اكثر من ذلك ومرض ابن ملك الالمان
مرضا عظيما واشتعل النيران ها بلة بحيث لم يبق خيمة الا واشتعل فيه
النار الثاني والثالثة بحيث بقي عسكرهم كله نار وفرح المسلمون بذلك بمثل
ما حزن الكفار بفقده وهلك منهم كبير يقال لهم الكندهري بالباطو ومرض
الكندهري واشفى على الهلاك وفي الرابع والعشرين منه اخذ منهم بركوسات
فيها نيف وخمسون نفرو في الخامس والعشرين منه اخذ منهم ايضا بركوس
وجميع ما فيه وكان من جملة ما فيه ملوحة مكللة باللولؤ هي من نفايس

الملك

الملك كان في البركوس بن الخير واخذ ايضا ذكر غارت اسد الدين
وهذا اسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه الكبير
وهو صاحب حمص وكان في حديثه ان السلطان قد رسم له ان ياخذ جزيره
من الافرنج بطرابلس وياخذ نفسه بحراسة المسلمين والفلاحين في
تلك الناحية وانه قيل له ان طرابلس قد اخرجوا حبارهم وخيلهم الى مرج
هناك وابقارهم ودوابهم وانه قد قرر مع عسكره قصدهم فخرج على غرة
منهم وهجم على حيلاتهم فاخذ منهم من الخيل اربع مائة راس ومائة من
البقر فهلك من الخيل اربعون وسلم الباقي وعاد الى البلد ولم يفقد من اصحابه
احد ووصل الكتاب بذلك في رابع صفر من سنة سبع وثمانين ذكر وقايع
عدة في هذه السنة وفي ثالث ربيع الاول كان اليزك للحلقة السلطانية
وخرج من العدو وعليهم خلق عظيم وجرى بينهم وقعة شنيعة وقتل اليهم
من العدو جماعة وقتل منهم رجل كبير على ما قيل ولم يفقد من المسلمين
الا خادم كان للسلطان يسمى قراقوش وكان شجاعا عظيما له وقعات عظيمة

كثيرة واستشهد في ذلك اليوم في تاسع الشهر بلغ السلطان ان العدو
يخرج معه طائفه سعسوز لبعدنا عنهم فاقتضى رايه ان انفذ اخاه
الملك العادل وفي خدمته خلق عظيم من العساكر الاسلامية وامره ان
يكمن العدو وراء التل الذي كان فيه الوقت المعروف به وسار هو وجمع
كان من كبراء العدو واصحابه فاكمين وراء تل العياضية وكان من
كان معه من كبار اهل   تقي الدين وابنه ناصر الدين وهو الملك
الا فضل والده معه صغار اولاده الملك الاشرف محمد والملك المظفر
طور انشاه اسمعيل وكان من المسلمين الفاضل العاصل والديوان وكنت
وكنت في الصحبة في ذلك اليوم وركب جماعة من الشجعان على الجنود
الجياد وناوشوا العدو وباسطوه فلم يخرج في ذلك اليوم وكانه قد وشى
اليهم بجلية الامر الا ان ذلك القوم اليوم لم ينفك الا بنوع نصرانة
اربعون لان وصل في اثناء خمسة وعشرين نفرا من الفرنج كان قد اخذوا
في بيروت وسيروا الى السلطان ووصلوا في ذلك اليوم الى ذلك المكان

ولقد

ولقد شاهدت منه برقة قلب ما اعظمها وذلك انه كان فيهم شيخ كبير
طاعن في السن لم يبق في فمه ضرس ولم يبق له قوة الا مقدار تحرك لا
غير فقال للترجمان يساله ما الذي حملك الى المجي وانت في هذا السن
وكم من هاهنا الى بلادك فقال بلادي بيني وبينها عدة اشهر وما مجيئي
الا كان للحج الى القمامة فرق له السلطان ومن عليه واطلقه واعاده
راكبا على فرس الى عسكر العدو ولقد طلب اولاده الصغار ان ياذن لهم
في قتل اسير فلم يفعل فسالته عن سبب المنع وكنت حاجبهم بما طلبوه فقال
لا يعتادوا من الصغر سفك الدماء ويهون عليهم ذلك وهم الان لا يفرقون
بين المسلم والكافر ولما انس من خروج العدو وعاد الى المخيم في عشية ذلك
اليوم ذكر وصول العساكر الاسلامية والملك الافرنسيس ومن ذلك
الوقت انفتح الباب وطابت الزمان جاء اوان عود العساكر الى الجهاد
من الطائفتين فكان اول من قدم علم الدين سليمان بن جندر من امراء
الملك الظاهر وكان شيخا كبيرا مذكورا له وقايع ذو راي حسن و

والسلطان يحترمه ويكرمه ولم قدم صحبته ثم قدم بعده مجد الدين بن
عز الدين فرخشاه وهو صاحب بعلبك وتتابعت بعد ذلك العساكر الاسلامية
من كل صوب واما عسكر العدو فانهم كانوا يتواعدون الترك ومن بقائهم
بقدوم الملك الفرنسيس وكان عظيما عندهم مقدما محترما من كبار ملوكهم
يشا واليه العساكر باسرها بحيث اذا حضر حكم على الجميع ولم يزالون
يتواعدون بقدومه حتى قدم في ست بطس تحمله وميرته وما يحتاج
اليه من الخيل وخواص اصحابه وكان قدومه يوم السبت ثالث عشرين
ربيع الاول من هذه السنة وبشارة وكان قد صحبه من بلاده باز عظيم
هائل الخلق ابيض اللون نادر الجنس ما رايت بازيا احسن منه وكان
له عزه ويحبه حبا عظيما فشذ البازي من يده وطار وهو يستدعيه ولا يجيبه
حتى سقط على سور عكا فاصطاده اصحابنا وانفذوه الى السلطان
وقد كان لقدومه روعة واستبشار عظيم بالظفر به فتفال
المسلمون بذلك وبذلوا الفرنج فيه الف دينار فلم يجابوا وقدم ذلك

• وكان

وكان معهم ما اعطيما عندهم مذكور فذكروا انها ضرحماة وحارم في عام
الرملة وكان لما الثاني عشر من ربيع   اللاذقة الكان جماعة
من المستامنين قد امنوا قد اعطوا براكيس ليكسبوا عليها في البحر من العدو
فاخذوها ونزلوا في جزيرة قرص في عيدهم وقد اجتمع جمع كثير من اهل
الجزيرة في قرية من البحر وانهم صلوا معهم صلاة العيد وانهم لما فرغوا
من الصلاة ضربوا على كل من في البيعة من الرجال والنساء واخذوهم عن
اخرهم حتى القسيس وحملوهم والقوهم في مراكبهم وساروا بهم حتى اتوا
اللاذقية وكان سبعا وعشرين امراة واموالا عظيما فقسموها فوصل
الى كل واحد على ما قيل اربعة الاف درهم من الفضة وقدم بعد ذلك
بدر الدين شحنة دمشق في سابع عشر ربيع الاخر وهجم اصحابنا على غنم
العدو فاخذوها وكان عددها مائة وعشرين راسا فوكب وقدم بعد
ذلك بدر الدين شحنة دمشق في سابع في طلبها الراجل والفارس فلم
يظفروا منها بشيء ذكر ملك الانكتار وهذا ملك الانكتار شديد الباس

منهم عظيم الشجاعة قوى الهمة له وقعات عظيمة وله جبارة على الحرب
هو دون الفرنسيس عندهم فى الملك والمنزلة لكنه اكثر مالا منه واشهر فى
الحرب والشجاعة وكان من خبره انه وصل الى جزيرة قبرص لم يران يتجاوزها
الا وانشكوزله وفى حكمه فى بلادها وقاتلها فخرج اليه صاحبها وجمع له خلق عظيم
وقاتلهم قتالا شديدا فانفذ الانكتار الى عكا يستنجد اليه الملك جفرى اخا
معه مائة وستون فارسا ليعينوه على مقصوده وبقيت الفرنج على عكا ينتظرون
ما يكون من الطائفتين وفى سلخ ربيع الاخر وصلت كتب من بيروت
انه قد اخذ مراكب الانكتار القاصدة نحو عسكر العدو وخمس مراكب وارده
فيها خلق عظيم رجال ونسا وميرة واخشاب والات وغير ذلك وفيها
اربعون فرسا وكان ذلك فتحا عظيما استبشر به المسلمون وفى رابع
جمادى الاولى زحف العدو الى البلد ونصبوا عليها مناجيق سبعة ووصلت
كتب عكا بالاستنفار العظيم والتماس شغل العدو عنهم فاعلم السلطان العساكر
بالعزم على الرحيل الى مضايقة العدو ومقاربته واصبح على جهة المصير المستير

الى العدو

الى العدو ورتب العساكر ثم انفذ من كشف حال العدو وحال الخنادقهم
هل فيها الكمين ام لا فعادوا واخبروا بخلوها عن الكمين فسار في نفر في
نفر يسير من مماليكه الى الخنادقهم وصعد جبلا كان يعرف بتل الفضول
هو قريب العدو مشرف على خيمهم وشاهد المنجنيقات وما يعمل منها وما هو
بطال ثم عاد الى مخيمه وانا في خدمته وفي صبحة هذه الليلة اتاه اللصوص
برضيع له ثلثة اشهر قد اخذ من امه وسرقوه ذكر قضية الرضيع
وذلك انه كان للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام العدو فيسرقون منهم
الرجال وكان من قصتهم انهم اخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلثة
اشهر وساروا به حتى اتوا الى الخيمة وعرضوه عليه وكان كلما ياخذونه
يعرضونه عليه ويعطيهم ما اخذوه ولما فقدته امه باتت مستغيثة
بالويل والثبور في طول الليل حتى وصل خبرها الى ملوكهم فقالوا انه رحيم
القلب اذنا لك في الخروج فاخرجي واطلبيه منه فانه يرده
عليك فخرجت تستغيث الى اليزك فاخبرتهم وانفذوها الى
السلطان فلقيته وهو راكب وانا في خدمته وفي خدمته خلق عظيم

فبكت بكاءً شديدا ومرغت وجهها في التراب فسأل عن قصتها فاخبر
ورق لها ودمعت عينه وامر باحضار الرضيع فوجد وقد بيع في السوق
فارتد امر بدفع ثمنه الى المشتري واخذوه منه ولم يزل واقفا عليه حتى
احضر الطفل واحسم اليها فاخذته وبكت بكاءً شديدا وضمته الى صدرها
والناس ينظرون اليها ويبكون وانا واقف في جملتهم فارضعته ساعة
ثم امر بها فحملت على فرس ولحقت بعسكرهم مع طفلها فانظر الى هذا
الرحمة الشاملة لجنس البشرية اللهم انك خلقته رحيما فارحمه رحمة
واسعة من عندك يا ذا الجلال والاكرام وانظر الى شهادة الاعداء له بالـ
لرافة والاكرام شعر ومليحة شهدت له ضراتها ه والحسن ليس لحقه ناكره
وفي ذلك اليوم وصل ظهير الدين بن البلنكري وكان مقدما عظيما
وفي ذلك اليوم من امراء الموصل وصل مفارقا لهم بطلب خدمة السلطان
ولما عاد السلطان الى مخيمه لم يلبث ساعة حتى وصل الخبر بتجديد
الزحف فعاد وركب من ساعته نحو البلد وقد انفصل الحرب بدخول الليل
من الطائفتين ذكر انتقال السلطان الى العاضية ولما كان السلطان
صبيحة

صبيحة الثلثا تاسع جمادى الاولى بلغ ان الفرنج قد ضايقوا البلد سور وركبوا
المناجنيق فامر الجاويش ان صاح بالناس فركب لركوبه العسكر راجلهم
وفارسهم حتى اتى الخروبة وتقوى الترك بتسيير جماعة من العسكر اليه
فلم يخرج العدو واستدرجهم في فضايقهم مضايقة عظيمة
وهجم عليهم في خنادقهم فلم يزل كذلك حتى عادوا عن الزحف ظهرة
نهار وعاد العدو الى خيمة وقد يئس من امر البلد وعاد السلطان الى خيمة
لطيفة ضربت له هناك ليستظل فيها من الشمس فنزل بها لصلاة الظهر
والاستراحة ساعة وقوى الترك وامر الناس بالعود الى الخيم لاخذ جزء
من الراحة وكنت في خدمته فبينما هو كذلك اذ وصل من اليزك من اخبر
ان القوم قد عادوا الى الزحف لما احسوا بانصرافه عنهم اشد ما كانوا
اولا فامر من يتبع الناس وامر باخذ فراجعت العساكر الى جهة العدو
اطلابا اطلابا وامر بالسدنة على اخذ لامة الحرب واقام هو هناك على
عزم المبيت وهو فارقت خدمته اخر نهار الثلثا وعدت الى الخيم وبات
هو وجميع العساكر على تعبية القتال طول الليل واصر طايفة منهم بعضا بقية

العدو ثم سار العسكر لواخر ليلة الاربعا الشهر الى تل العاضية قبالة البلد

وضربت له عليه خيمة لطيفة ونازل العدو وفي اليوم اجمع بالقتال

الشديد والضرب الذي لا يغير شغلا لهم عن الزحف وصوبدور

بين الاطلاب ويحثهم على الجهاد ويرغبهم فيه ولما راى العدو تلك

خاف من الهجوم عليهم في خيمهم فراجعوا عن الزحف واشتغلوا

بحفظ الخنادق وحراسة الخيم ولما راى فتورهم عن الزحف عاد الى العاضية

ورتب على خنادقهم من يخبره بحالهم ساعة فساعة اذا رجعوا الى الزحف

كل ذلك كل دفعا للعدو عن مضايقة البلد والزحف عليه ذكر الشروع

في مضايقة البلد ولقد بلغ من مضايقتهم البلد وميالغتهم في طم

خندقه انهم كانوا يلقون فيه موتى دوابهم باسرها والالام حتى كانوا

يلقون فيه موتاهم وقالوا اذا خرج منهم احد جراحة مولمة مثخنة

القوة فيه لهذه جميعه تواصلت كتب اصحابنا من البلد واما اهل

البلد فانهم انقسموا اقساما قسم ينزلون في الخندق يقطعون الموتى

من الدواب التي يلقونها ما يقطعه ذلك القسم ويلقونه في البحر

قسم

قسم ندبو منهم ويدا فعوں حتى تمكن من ذلك وقسم في المجنيقات
ومراسته الاسوار واخذ منهم التعب والنصب وتواترت شكاياتهم من ذلك
وهذا ابتلاء لم يبتل به احد عليه جلده وكانوا يصبرون والله مع الصابرين
هذا والسلطان لا يقطع الزحف عنهم على خنادقهم بنفسه وخواصه و
اولاده ليلا ونهارا حتى اثرت فيه الاخر البين وكلما ازدادوا في قتال
هو في قتالهم وكبس خنادقهم والهجوم عليهم حتى خرج منهم شخص يطلب
من يتحدث معه فلما اخبر السلطان بذلك قال ان كان لكم حاجة
فليخرج منكم واحد فاما نحن فليس لنا اليكم حاجة ولا شغل ودام ذلك
متصلا الليل مع النهار حتى وصل الانكتار ذكر وصول الانكتار
ذكر وصول الانكتار ولما كان يوم السبت ثالث عشر الشهر قدم ملك
الانكتار بعد مصالحة لصاحب جزيرة قبرص والاستيلاء عليها وكان
لقدومه روعة عظيمة وصل في خمسة وعشرين شانيا مملوة بالرجال
والسلاح والعدد واظهروا الفرنج سرورا حتى انهم اوقدوا تلك الليلة السلاح
نيرانا عظيما في خيامهم ولقد كانت النيران مهولة عظيمة تدل على

كثيرة وكان من ملوكهم متهاونا به فكان المستامنون منهم يخبرون عنهم انهم
موقفون فيما يريدون يفعلونه من مضايقة البلد حين قدومه فانه
ذو راي في الحرب مجرب واثر قدومه في قلوب المسلمين خشية ورهبة
هذا والسلطان يتلقى ذلك كله بالصبر والاحتساب والاتكال على الله
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ذكر غرق البطسة الاسلامية وهي الملاومة
الثالثة على اخذ البلد ولما كان السادس عشر وصلت بطسة من بيروت
عظيمة هائلة مشحونة بالآلات والاسلحة والميرة والرجال والابطال
المقاتلة وكان السلطان قد امر بتعبيتها رجالا فاغرقها الانكتار في
ان قيل كان في اربعين قلعا فاحتاطوا بها من جميع جوانبها ولم
يُنجد واشتد قتالها وجرى القضاء بان وقف الهوى فقاتلوها قتالا عظيما
وقتل من العدو عليها خلق عظيم واحرقوا ساسا كبيرا فيه خلق
فهلكوا عن آخرهم وتكاثروا على اهل البطسة وكان مقدمهم رجلا جيدا
شجاعا مجربا في الحرب فلما راى امارات الغلبة عليه وانهم لابد وان يقتلوا
قال والله لا نقتل الا عن عز ولا نسلم اليهم من هذه البطسة شيئا فوقعوا

في

في البطسة ستين ثقبا من جوانبها بالمعاول فهدموها ولم يزل بها كذلك حتى فتحوها
من كل جانب ابوابا فامتلات ماء فغرق جميع من فيها وما فيها من الآلات
والميرة وغير ذلك ولم يظفر العدو منها بشيء اصلا وكان اسم المقدم المذكور
يعقوب من رجال حلب والتقف العدو بعض من كان فيها اخذوه الى الشواني
من البحر وخلصوه من الغرق وبلوا به وانفذوا الى البلد يخبرهم بالواقعة وحزن
الناس لذلك حزنا شديدا والسلطان يتلقى ذلك بيد الاحتساب في
سبيل الله تعالى والصبر على بلائه والله لا يضيع اجر المحسنين ذكر حريق
الدبابة وذلك ان العدو كان قد اصطنع دبابة عظيمة هائلة اربع
طبقات الطبقة الاولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة
والرابعة من النحاس وكانت تعلو على السور وكان يركب فيها المقاتلة وخاف
اهل البلد منها خوفا عظيما وحدثتهم نفوسهم بطلب الامان من العدو
وكان قد قربوها من السور بحيث لم يبق منها وبين السور الا مقدار خمسة
اذرع على ما اشاهد مرأى العين واخذ اهل البلد في توالي ضربها بالنفط ليلا
ونهارا حتى قدر الله حريقها واشتعال النار فيها وظهرت فيها ذوابة نار نحو السموات

واشتدت الاصوات بالتهليل والتكبير وراوا الناس فيها وظهر لهما تلك النيران
ولقواجير ان ذلك الوهن ونحو لذلك الاثر ونعمة بعد نعمة وايناس
بعد ياس وكان ذلك في يوم عريق البطسة فوقع من المسلمين موقع
عظيم وكان مسيلح قتهم وكان بقيتهم ذكر وقعات عدة ولما وكان يوم الجمعة
تاسع عشر الشهر زحف العدو على البلد زحفا عظيما وضايقوه مضايقة
شنيعة وكان قد استقر بيننا وبينهم انهم متى زحف العدو عليهم وقوا
فضربوا كوساتهم فاجابه كوسات السلطان وركبت العساكر وضايقهم
السلطان من خارج وزحف عليهم حتى هجموا المسلمين عليهم بخيامهم
فجاوزوا خنادقهم واخذوا القدور وما فيها وحضر من الغنيمة الماخوذة
من خيامهم شيئا عند السلطان وانا حاضر ولم يزل القتال يعمل حتى احس
العدو قد هجم عليه واخذوا يتراجعون عن قتال البلد وشرعوا في قتال
العسكر وانتشبت الحرب بينهم ولم تزل ناشبة حتى قام قائم الظهيرة و
عشي الناس من الحر امر عظيم من الجانبين وتراجعت الطائفتين الى خيامهم
وقد اخذ منهم التعب والحر ولما كان يوم الاثنين ثالث عشرين دق كوس
البلد ،

البلد فجاوبه كوس السلطان وثار القتال بين الطايفتين ولج العدو في
مضايقة البلد ثقة الناس لا يحجبون على خيمهم وانهم بها نوبها
وكذب العسكر ظنونه وهجموا الخيام ايضا ونهبوا منها فتراجع العدو
ووقع المصاح فيهم فلحقوا المسلمين جماعة عظيمة داخل
خنادقهم اسوارهم وجرى بينهم وقعة عظيمة وفيها اثنان من المسلمين و فيها
جرح جماعة عظيمة وقتل جماعة من العدو واعجب ما في هذه الوقعة انه
كان وصل في ذلك اليوم رجل كبير مذكور من اهل مازندران يريد الغزاة
فوصل والحرب قائمة فلقي السلطان واستاذنه في الجهاد وحمل حملة شديدة
واستشهد فيها في تلك الساعة ولما راى العدو دخول المسلمين الى خنادقهم
وتعومنهم الى داخل اسوارهم دا خلهم الحمية وبعثهم النخوة فركب فارسهم
وصبر راجلهم وخرجوا الى ظاهر اسوارهم وحملوا على المسلمين حملة الرجل
الواحد فثبت المسلمون لهم ثبوتا عظيما لم يتحركوا من اماكنهم والتحم والقتال من
الجانبين واشتد الضرب من الطائفتين وصبر المسلمون صبر الكرام وخلوا في

في الحرب باقتحام فلما راى العدو وذلك الصبر العجيب والاقدام المزعج انفذ وا رسولا
في غضون ذلك بيتا ذنون الرسول في الوصول فاذن له فوصل الرسول اولا
الى الملك العادل فاستصحبه ووصل به الى خدمة السلطان ومعه ايضا الملك
الافضل فادى الرسالة وكان حاصلها ان ملك الانكتار يطلب الاجتماع
بالسلطان فلما سمع السلطان الرسالة اجاب عنها في الحال بغير تفكر ولا روية
بان قال الملوك لا يجتمعون الا عن قاعدة ولا يحسن منهم حرب بعد الاجتماع
والمواكلة واذا اراد ذلك فلا بد عن تقرير قاعدة قبل هذه الحال ولا بد
من ترجمان يثق به في الوسط يفهم كل واحد منا ما يقول الاخر فليكن بيننا
ذلك الترجمان فاذا استقرت القاعدة وقع الاجتماع بعد ذلك ان
ولما كان يوم السبت ثامن وعشرين خرج العدو من الجلم فارسهم
من جانب البحر الشمالي الى البلد وعلم السلطان ذلك العسكر وانتشبت
القتال بين الطايفين وقتل من المسلمين بدوي وكردي وقتل من العدو جماعة
واسر واحد بين يدي السلطان ولم يزل القتال ولم يمل حتى حال الليل

بين

١١٣

بين الطايفتين وقتل من المسلمين لما كان الاحد تاسع وعشرين خرج العدو
رجالة كثيرة على شاطي النهر الحلو فلقيهم طايفة من الترك وجرى بينهم قتال
عظيم ووصلت رجالة من المسلمين الحرفيا فاسروا مسلما وقتلوه واحرقوه واسروا
المسلمين منهم واحدا فقتلوه واحرقوا ولقد رايت النارين مشتعلتين في زمان
واحد ولم تزل الاخبار تتواصل من اهل البلد بالاحتفال في امر العدو
الشكوى من تلاف صحة قتالهم ليلا ونهارا وذكر ما نالهم من التعب نهارا و
ذكر ما نالهم من التعب العظيم الاعمال المختلفة عليهم من حين قدوم الانكتار
ثم مرض مرضا شديدا اشفى فيه على الهلاك وخرج الفرنسيس ولم يزدهم
ذلك الا اصرارا وعتوا وكان الاخت ملك الانكتار خادمين مسلمين في الباطن
كانا في خدمتها في سقلية وكانت هي زوجة صاحب صقلية فلما مات وقدم
اخوها بالبلد اخذها وصحبها معه الى العسكر وهرب الخادمين الى العسكر منهم
فبحروا وصار اصليتر ذلك لا يتكلم احدا الاسر على القتل وداموا على ذلك مدة
طويلة الى انتظام الصلح وفي تاريخ ذلك اليوم وصل من الترك من اخبر انهم خرجوا

من عكا وان اليزك حمل عليهم فاسر منهم احد وعشرين نفسًا وان الاسرى
اخبروهم بصحة عود الانكتار الى عكا وانه مريض بها واخبروا عن ضعف اهل عكا
وفقرهم وقلة الميرة عندهم وفي هذا التاريخ وصل للعدو ذلك عدو قبل
انها وصلت من عكا وان فيها الانكتار وقد حل بجماعة عظيمة ليقصد عسقلان
ويعمرها وقيل ليقصد القدس والله اعلم ولما كان الرابع والعشرون وصل الاسرى
المذكورين من اليزك وكان وصولهم فرحا للمسلمين مبشرا بكل خير وفيه وصل
رسول قزل وكان قد سير قبل وفاته ورسول ابن اخيه ابناح وفي عشية وصل
رسول من الانكتار معه حصان الى الملك العادل في مقابلة هدية كان انفذها
اليه وفيه وصل خبر وفاة حسام الدين لاجين بدمشق لمرض كان اعتراه وصعب
على السلطان موته دمشق عليه وفيه وصل كتاب من شامه تذكر فيه ان البرنس
غار على جبلة واللاذقية وانه كسر كسرة عظيمة قتل منه جماعة وعاد الى انطاكية
ذكر رسول الملك سال الى الانكتار ولما كان السادس والعشرين كان اليزك
للعادل فطلب الانكتار رسوله فانفذ اليه وهو كاتبه وكان شابا حسنا

فوصل

فوصل اليه وهو في بازور قد خرج في جمع كثير من الرجالة وانبثوا في تلك الارض

فاجتمع به وليس معه زمانا طويلا وحادثه في معنى الصلح وقال لا ارجع

عن كلام تحدثت به مع اخي وصديقي يعني العادل وذكر له كلاما وعادوا خبر

به وكتبه الملك العادل في رقعه وانفذها الى السلطان وكان يتضمن انك

تسلم عليه وتقول له ان المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت البلاد وخرجت

عن يد الفريقين بالكلية وقد تلفت الارواح والاموال من الطايفتين وقد

اخذ هذا الامر حقه وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد القدس

فما عيدنا ما ننزل عنه ولو لم يبق منا الا واحد اما البلاد فيعاد الينا ما هو قاطع

الاردن واما الصليب فهو خشبة عند كم مقدار له وهو عندنا عظيم فيمن

به السلطان علينا ونصطلح ونستريح من هذا التعب الدايم ولما وقف السلطان

على هذه الرسالة استدعى ارباب المشورة في دولته واستشارهم في جوابه والذي

راه السلطان ان قال القدس لنا كما هو لكم وعندنا اعظم مما هو عندكم فانه

اعظم مما هو عندكم فانه مسرى نبينا ويجتمع الملائكة فلا يتصور ان ننزل عنه

ولا نقدر على التفريط بذلك بين المسلمين واما البلاد فهي ايضا لنا في الاصل
واستيلاؤكم كان طاريا عليها لضعف من كان فيها من المسلمين في ذلك الوقت
وما قدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائما وما في ايدينا نحن
منها   به واما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة لا يجوز لنا
ان نفرط فيه الا لمصلحة راجعة الى الاسلام هي اوفى منها وسار هذا الجواب
اليه مع الواصل منه ذكر هرب [illegible] بن ماخل الكردي من عكا وكان اسيرا
ولما كان اواخر سادس عشرين وصل شيركوه بن ماخل وهو من جملة الامراء
الاسورين بعكا وكان من قصته انه هرب ليلة الحادي والعشرين وذلك انه
كان ادخر حبلا في مخذته وكان الامير حسن بن باريك ادخر حبلا في بيت الطهارة
واتفقا على الهرب ونزلا من طاقة كانت في بيت الطهارة وانحدر من السور
الاول وعبر شيركوه من الباشورة ايضا وكان ابن باريك حالة نزوله انقطع
به الحبل ونزل شيركوه سليما فرآه وقعة   فكلمه ولم يجبه فحركه
فلم يتحرك فظن انه لمنه نشيط فيسير معه فلم يقدر فعلم انه اذا قام عنده اخذا
جميعا

جميعا فتركه وانصرف واشتد هربا في قيوده حتى اتى تل العياضية وقد طلع
الصبح فامكن في الجبل حتى علا النهار وكسر قيده وسار وستر اليه حتى اتى
المعسكر ومثل بخدمة السلطان وكان من اخباره ان سيف الدين المشطوب
ضيق عليه وانه قطع على نفسه قطعة عظيمة من خيل وبغال وانواع الاموال
وان الملك الانكتار اتى عكا واخذ كل من له بها من خدمته ومماليكه واقمشته
ولم يبق له فيها شيئا وان فلاحي الجبل يمدونه بالميرة مددا عظيما وان طغرل
السلحدار واخذ خواص مماليك السلطان وهربوا واقبل هو قبيل ... سيرني فيها
الملك العادل في صحبته واحضر جماعة من الامراء علم الدين وسابق الدين وعز
الدين بن المقدم وحسام الدين بشاره وشرح لنا ما عاد به ورسوله من الانكتار
من الرسالة والكلام وذلك انه قد ذكر اراد ان يتزوج الملك باخت الانكتار
وكان قد اصحبها معه من صقلية فانها كانت زوجة صاحبها وقد مات فاخذها
اخوها لما اجتاز بصقلية وانقرت القاعدة على ان يكون مستقر ملكها بالقدس
وان اخاها يعطيها بلاد الساحل التي في يده من عكا الى يافا وعسقلان الى غير ذلك

ويجعلها ملكة الساحل ويكون مضافا الى ما في يده من البلاد والاقطاع وانه يسلم
اليه صليب الصلبوت ويكون القرابا الاولوية والاستبار والحصون لها واسرا نا
نفك اسرهم وكذلك اساراهم وان الصلح يستقر على هذه القاعدة ويرحل
الى الانكتار طالبا بلاده في البحر وينفصل الامر هكذا ذكر رسول الملك العادل عن الانكتار
ولما عرف ذلك العادل بنى عليه واختصر وحملنا الملك العادل هذه
الرسالة وجعلني المتكلم فيها والجماعة يسمعون ونعرض عليه هذا الحديث
فان استصوبه وراه مصلحة للمسلمين شهدنا عليه في الاذن في ذلك وان رضي بالاذن
به وانا اناه شهدنا عليه ان الحال في الصلح وقد انتهى الى هذه الغاية وانه هو
الذي يرى ابطاله فلما عرضت عليه الحديث وتلوت عليه الرسالة
بمحضر من الجماعة المذكورين فبادر الى الرضا بهذه القاعدة
الانكتار لا يوافق على ذلك اصلا فان هذا منه مكر وهزء فكررت عليه الرضا
بذلك ثلث مرات يشهد على نفسه فلما عرفا ذلك منه عدنا في
الملك العادل فعرفناه ما قال وعرفه الجماعة اني كررت عليه الحديث في تقييد
الشهادة

١١٦

الشهادة عليه وانه اصر على الاذن واستقرت القاعدة عليه ذكر عود الرسول الى الانكتار
بالجواب عن هذه الرسالة ولما كان ثاني شوال سار ابن النحال رسولا من جانب
السلطان والملك العادل فلما وصل الى مخيم العدو وانفذ عرف الملك بقدومه
انفذ لان الملك عرض عليها اخوها النكاح فسخطت من ذلك
وغضبت بسببه وانكرته انكارا عظيما وحلفت بدينها المغلظ من عليها انها
لا تفعل ذلك وكيف يمكن مسلما ان يغشاها ثم اخوها ان الملك العادل
ينتظر فانا اتمم ذلك وترك باب الكلام مفتوحا ولما كان خامس شوال
وصل الخبر ان الاصطول الاسلامي استولى على مراكب الفرنج فيها مركب يعرف
بالسطح قيل انه كان خمس مائة نفر وزايدا على ذلك وانه قتل منهم خلق عظيم
واستبقي منهم اربع نفر كبار من كونديه وسر المسلمين بذلك وضربت بشائر النصر
وتحقق بوقت الظفر فلله الحمد والمنة ولما كان سادس شوال جمع السلطان اكابر
الامراء وارباب الاراء من دولته وشاورهم كيف نصنع ان خرج العدو وتواصلت
الاخبار عنهم انهم اتفقوا على الخروج الى العسكر فحصل الرأي بين ذوي الاراء

على انهم يقيمون بمنزلتهم بعد تخفيف الاثقال فان خرج الفرنج كانوا على لقائهم
وفي عشية ذلك اليوم استامن من الفرنج اثنان على فرسين واخبرا ان العدو
على عزم الخروج وانهم زها عشرة الاف فارس وذكروا انهم لا يعرفون قصدهم
وهرب اسير مسلم من جانبهم واخبر انهم انعقد اظهروا الخروج الى الرملة
ثم فيها لم يتفقون [ليش] موضع يقصدونه ولما تحقق السلطان امر الحاو
ان ينادي بالعسكر حتى تجهز جريدة وشدت الرايات وتحقق ان نقيف
قبالة القوم ان خرجوا وسار في سابع مويد منصورا حتى قبلي كنيته كنسة
ليلا فخيم هناك ليله ذكر خروج الفرنج عن يافا ولما كان صبيحة [من] الثا
رتب الابطال للقتال وسلم الترك للملك العادل وتبعه بريد من الغزاة وكا[ن]
وصل جماعة من الروم يريدون الغزاة فخرجوا في جملة من خرج فلما وصل
الى خيام الفرنج هجم عليهم المماليك السلطانية بقوة جاشهم وانبهم بقتالهم
ونقهم بمراكبهم ورموا عليهم النشاب فراهم الغزاة والواصلون من الروم فا[غتروا]
باقدامهم ووافقوهم في فعلهم وقاربوا عسكر العدو فلما رات الفرنج تلك [نقة] المضا

والمنازلة

١١٧

والمنازلة ثارت هممهم وحركتهم ونخواتهم وركبوا من داخل الخيام وصاحوا صيحة الرجل
في جمع كثير فنجا من سبق به جواده وقدر في القدم بجانبه
وظفر بجما   منهم ثلث نفر ونقلوا خيامهم الى ما وراهم
السلطان في تلك الليلة منازلهم الى الصباح ذكر وفاة تقي الدين الملك
المظفر ولما كان حادي عشر ركب السلطان الى   فاعترف عليهم
ثم عادوا امرني بالاشارة الى اخيه بان يحضر معه علم الدين سليمان وعز الدين
بن المقدم وسابق الدين فلما مثلوا الجماعة بين يديه امر خادما ان يخلي المكان
عن سوى الحاضرين وكنت في خيمهم وامره ما يباعد الناس عن الخيمة ثم اخرج
كتابا من قبا وفضه ووقف عليه وبدت دموعه وعليه البكا والنحيب
حتى واقفناه من غير ان نعلم السبب ما هو وفي اثناء ذلك ذكر انه يتضمن
وفاة الملك المظفر واخذ الجماعة في البكاء حتى اتوا الوظيفة ثم ذكرته
الله ثم وانها قضاء وقدره فقال استغفر الله انا لله وانا اليه راجعون ثم قال
المصلحة كتم ذلك واخفاؤه لئلا تتصل بالعدو ونحن منازله ثم احضر الطعام

واكل الجماعة وانفصلوا وكان الكتاب   المتضمن نفيه هو غير الكتاب

الواصل الى الجماعة بنفيه في طي كتاب وصل من النايب بها وكانت بطريق

خلاط عايدا الى ميافارقين فحمل ميتا الى ميافارقين ثم عملت له تربة

عليها مدرسة مشهورة بارض حماة وحمل اليها وزرت ضريحه وكانت وفاته

تاسع عشر رمضان سنة سبع وثمانين ذكر كتاب وصل من بغداد ولما كان

الثاني عشر من شوال وصل من دمشق كتاب من النواب بها في طيه كتاب من

بغداد من الديوان العزيز النبوي حرسه الله يتضمن فصولا ثلثة الاول الانكار

على الملك المظفر في مسيره الى بكتمر وولوعه فيه   ان الديوان العزيز

لا يسلمه والفصل الثاني انكار على مظفر الدين في مسك حسن بن قفجاق وولاه

باعانته الى الكرخاني وولوعه فيه حتى قيل ان الديوان العزيز لم ياذن في تعبيره

في سكناها وكان في قصة حسين بن قفجاق انه قصد ارمية السلطان طغريل

فانه كان نزل به في معونته لما هرب من ديار العجم واستصره وتزوج اخته ووقع

في ذهنه انه يكون اتابكه ويملك به   ارمية فقتل اهلها على ما قيل وسبى

بنساوهم

نساهم وذراريهم ويعرض للقوافل وكانت معقله الكرخاني فلما وجد السلطان
طغربل قوته تركه وانصرف عنه وعاد الى بلاده وظهر الفساد في الارض والعرض
للقوافل على ما قيل   مظفر الدين صاحب اربل حتى عاد اليه وانخرط
في اصحابه وقبض عليه فانفذوا الى الديوان العزيز ذلك في معناه لا استيلاء
مظفر الدين صاحب اربل حتى عاد اليه وانخرط في اصحابه وقبض عليه فانفذوا
الى الديوان العزيز ذلك في معناه لاستيلاء مظفر الدين على بلاده فمعله
تشفع الى الديوان فاقتضت عاطفته ذلك في حقه واما الفصل الثالث
كان يتضمن التقدم باحضار القاضي الفاضل في الديوان رسولا لتقرر عليه
قواعد ويسير اليه اسبابه هذا كان مضمون الكتاب واما الجواب عنه فان السلطان
اجاب عن الفصل الاول بانا لم نامره بشيء من ذلك وانما عبر ليجمع العساكر و
يعود الى الجهاد فاتفق اسباب اقتضت ذلك وقد امرناه بالعود عنه واما
الفصل الثاني فاجاب عنه بان عرفهم حال ابن قفجاق وما تصدى له من الفساد
في الارض وانه قد تقدم الى مظفر الدين حتى يحضره معه الى الشام فيقطعه فيه

ويكون ملازما للجهاد واما الفصل الثالث فانه اعتذر عن القاضي الفاضل
بانه كثير الامراض وقوته ضعيفة عن الحركة الى العراق فيها كان حاصل
الجواب ذكر وصول صاحب صيدا رسولا من جانب المركيس ولما كان الثالث
عشر شوال وصل الخبر كان قد جرى بيننا وبينه احاديث مترددة
ووصل انهم ينقطعون عن الفرنج ونصرتهم ويصيرون معنا بناء على كانت
جرت للمركيس مع الملوك بسبب امراة تزوجها كانت زوجة لاخي الملك
جفري وفسخ نكاحها بامر اقتضاه بينهم فاضطربت اراؤهم فيه فخاف
المركيس على نفسه فاخذ زوجته وهرب من تحت الليل الى صور واخلد الى
السلطان والاعتضاد به وكان في ذلك مصلحة للمسلمين لانقطاع المركيس
عن الفرنج فانه كان اشدهم باسا واعظمهم للحرب مراسا وابلغهم في التدبير
اساسا وحيث خبر وصول هذا الرسول بالسلطان امر باجلاله واحترام
وضربت حولها شقة ووضع فيها من الطرح والفرش ما يليق بعظمائهم
وامر بانزاله في الثقل بالبيزرية ثم يجتمع به ذكر واقعة الكمين الذي

استشهد

استشهد فيها اياس المهراني ولما كان سادس عشر شوال امر السلطان الحلقة
ان مكنت للعدو في بطون اودية هناك واستصحبوا حيا من العرب فلما استقر
الكمين في موضعه ظهرت العرب على جاري عادتها في مناوشتها وتضرب العرب
عليهم ووقع الحرب بينهم وثار الصياح وسمع العدو وتركب منهم جمع
جمع من الخيالة وطلبوا جهة العرب وانهزموا بين يديهم نحو خيامهم واتصل
الخبر بالعدو فركب منهم خلق عظيم وقصدوا نحو الوقعة والتحم القتال
واشتد الامر وقتل جمع الطايفين وجرح واسر جمع من العدو واخذ
منهم خيل كثيرة وكان سبب انفصال الحرب ان السلطان حسب منام هذا
الواقع فانفذ اميرا اخر اسمه سيف الدين يازكج ومن يجري مجراهم ردد
المسلمين وقال اذا رايتم الغلبة على الكمين فاظهروا فلما راوا الكثرة من جانب
العدو وحزبوا بخيلهم ورجالهم ولما راى العدو الاطلاب الاسلامية قد صوبت
نحوه اعنة خيلها ولوا الادبار نحو خيامهم والسيف يعمل حتى دخلوا يعمل
الخيام وانفصل الحرب قبيل الظهر وكان السلطان قد ركب تشوقا اخبار الكمين

وكنت في خدمته وكان اول من دخل في الوقعة ووصل جماعة العرب ومعهم خمس
رؤس من الخيل قد اخذوها وانفصلوا قبل انفصال الحرب وما زالت القلايع
تتواير والعساكر تتواصل وقتل من العدو نحو من ستين نفرا وجرح من المسلمين
جماعة منهم اياز المهراني وكان شجاعا معروفا جاولي واسر من العدو
فارسان معروفان اثنان نجيو بهما وعدتهما وعاد السلطان الى خيمه
وخامس ورا معوضا من قتل فرسه متلطفا بالجريح مترحما على الشهيد و
في بعد هذا اليوم وصل رسول الانكتار الى الملك العادل يعتبه على الكمين
ويطلب الاجتماع به ذ ماجرى بين الملك العادل والانكتار واجتماعهما
ثامن عشر سار الملك العادل الى اليزك وضربت له قبة عظيمة
من الاطعمة والحلاوات والتحارف
يحمل من ملك الى ملك وهو ان الحمل في ذلك لا يغلب وسائر
الانكتار الى الخيمة وحضر عنده واحترمه احتراما عظيما ووصل مع الانكتار
الى الخيمة وحضر شي من طعامهم الذي يختصون به ما اتحف به الملك العادل

على وجه المطايبة فتناول الملك العادل فتناول اصحابه الواصلون معه من طعام
الملك العادل وتحادثا معظم ذلك النهار وتفاصلا على تواد ومحبة اكيدة
ذكر رسالة التي الانكتار الى السلطان وفي ذلك اليوم سال الانكتار الملك من
العادل ان يلتمس من السلطان الاجتماع به والمثول بين يديه ولما وصلت هذه
الرسالة شاور السلطان الجماعة في الجواب فما منهم من وقع له ما وقع للسلطان
وذلك انه قال الملوك واجتمعوا بفتح منهم المخاصمة بعد ذلك فاذا انتظم
امر حسن الاجتماع والاجتماع لا يكون الا للمفاوضة في مهم والا انهم بلسانك
وانت لا تفهم بلساني ولا بد من ترجمان بيننا نثق به واثق به فليكن ذلك
الترجمان رسولا حتى يستقر امر تستتب قاعدة وعند ذلك يكون الاجتماع
الذي يعقبه الوداد والمحبة فالرسول لما سمع الانكتار هذا الجواب انقطع
وعلم انه لا يقدر على بلوغ غرض الا بالدخول تحت المراضي السلطانية ذكر
حضور صاحب صيدا بين يدي السلطان ولما كان تاسع عشر جلس السلطان
والمخصر صاحب صيدا السماع رسالته وكلامه فحضر وحضر جماعة وصلوا معه

وكنت حاضر المجلس اكرمه اكراما عظيما وحادثهم وقدم بين ايديهم ما جرت
به العادة ولما فرغ الطعام خلا بهم وكان حديثهم في ان السلطان يصالح
المركيس صاحب صور وكان قد انضم اليه جماعة من اكابر الافرنجية منهم صاحب
صيدا وغيره من المعروفين وقد سبقت قصته ومن شرط الصلح معه اظهار
عداوة الافرنج البحرية وكان سبب ذلك شدة خوفه منهم وواقعة
وقعت له معهم بسبب الزوجة وبذل لهم السلطان الموافقة على شروط
قصد به الايقاع بينهم وان يقتل بعضهم بعضا فلما سمع السلطان حديثه
وعد ان يرد عليه الجواب فيما بعد وانصرف عنه في ذلك اليوم ذ...
وصو[ل] رسول [ا]لانكتار وهو ابن الهنفري وهو من اكابرهم وملوكهم و
من اولاد ملوكهم وصل في صحبة شيخ كبير ذكر ان عمره ماية وعشرين سنة
فاحضر السلطان عنده وسمع كلامه وكانت رسالة ان الملك يقول اني
احب صداقتك ومودتك وانك ذكرت انك اعطيت هذه البلاد
الساحلية لاخيك فاريد ان يكون حكما بيني وبينه ونقسم البلاد بيني وبينه

ولا بد

ولابد ان يكون ان علقه بالقدس الشريف ومقصودي ان تقسم بحيث لا يكون
عليه لوم من المسلمين ولا على لوم من الفرنجيه فاجابه في الحال ما اثر بذلك
تاثيرا عظيما انفذ وراهم من سالهم عن حديث الاسارى وكان منفصلا
عن حديث الصلح فانه التفت الى في اخر المجلس بعد انفصالهم وقال صالحهم
ما نومن فاني لو حدث لي حادث الموت ما تكاد تجتمع هذه
العساكر وتقوى الفرنج في المصلحة ان لا نزال على الجهاد من الساحل
او ناتينا الموت هذا كان رايه قدس سره وانما غلب على الصلح
ضرا في التخيير بين الصلحين من الانكتار والمركيس ولما كان الحادي عشر
شوال جمع السلطان الامراء ذكرهم القاعدة التي التمسها المركيس
واستقر الامر من جانبه عليها وهي اخذ صيدا وان تكون هنا على الفرنج
بالعداوة وذكرهم اقسامي مع القدس الشريف وكنا ليه وكان
الانكتار قد خيرنا بين هذين القسمين فشرح ره في القاعدتين للامراء
اراهم في ترجيح احد الحالين الانكتار والمركيس وترجيح احد القسمين المذكورين

من جانب الملك فراى ارباب   انه ان كان صلح فليكن مع الملك فان
مصافاة الافرنج للمسلمين بحيث يخالطوهم بعيدة غير مامونة الغايلة
وانفصلوا   وبقي الحديث مترددا في الصلح والرسل تتواصل في تقرير
قواعد الصلح واصل القاعدة ان الملك قد بذل اخته للملك العادل بطريق
التزويج ولتكون البلاد الساحلية الاسلامية والافرنجية لها من جانب
اخيها والاسلامية له من جانب السلطان وكان اخر الرسائل من الملك في المعنى
ان قال ان معاشر دين النصرانية قد انكروا في وضع اختي تحت مسلم بدون
مشاورة البابا وهو كبير دين النصرانية ومقدمه وها انا انفذ اليه رسولا
يعود في ستة شهور فان اذن فيها ونعمة والا زوجتك ابنة اخي وما احتاج
الى اذنه في ذلك هذا وسوق الحرب قايم والقتال عليهم ضربة لازم وصاحب
صيدا يركب مع العادل في الاحيان ويشرف على الافرنج وهم كلما راوه
تحركوا لطلب الصلح خوفا من ان ينضاف المركيس مع المسلمين وعند ذلك
تنكسر شوكتهم ولم يزل الحال ذلك الى خامس عشر شوال ذ   حيلة الى تل الحرب

ولما كان

ولما كان ذلك اليوم اصبح السلطان على عزم الرحيل واحضر ارباب الراي ومشاورهم
في جواب رسالة القوم وعرض عليهم حديثه وذكر ما عندهم في ذلك واحضر
الرسل واذن ابن الهنفري يترجم بينه وبين البحرين واستقرت القاعدة على ان
ينفذ معهم رسولين من جانبه واحد ومن جانب الملك العادل لاجل ان الحديث
كان يتعلق به وكان من جملة رسالتهم ان البابا ان اذن في هذا العقد ثم وان
لم ياذن زوجنا الملك العادل بابنة اخي الملك وهي بكرة وذكروا ان من
من دينهم ان البابا انما يحتاج الى اذنه في تزويج الثيب من بنات الملوك
واما الابكار فتزوجها اهلها وكان عن ذلك انه كان على فانه سبق الحديث
فيها ونحن ما نرجع ما قلنا ولم يتهيا فلا حاجة   في غير ذلك الفصل
الحال على ذلك وسارت الرسل الى خيم الملك العادل   رسول السلطان
ولحقه ثم وصل   من اخبر ان الفرنج قد انتشر بينهم
الرحيل كثير وخرجوا عن الاسوار التي لهم ولم يظهر لخروجهم   سادره الى
تل الخروبة لارتياد البرك وتبعه الناس في الرحيل فما كان الظهر الا ورحل الناس

الى السلطان ونزلنا الخروب ولما عرف الفرنج بعود السلطان رحلوا عائدين
واقام السلطان بتل الخروب ثم رحل الى القدس الشريف ورحل الفرنج الى جهة
بلادهم واشتد الشتاء وعظمت الامطار وسار السلطان الى القدس الشريف
واعطا العساكر دستورا واقمنا بالقدس في ذلك الشتا اجمع وعلاء العدو
الى بلاده ووصل الانكتار الى يافا عساكره وعاد الى عكا ينظر في احوالها فاقام
مدة ثم وصل منه رسول   الاجتماع بالملك العادل فقيه مصلحة
تعود على الطايفتين فقد بلغني ان السلطان فوض امر الصلح الى اخي الملك
العادل فاتفق في معنى الملك العادل وعلى انه يمضي بحيث يجتمع بعساكرنا
التي في الطور وكواكب وتلك النواحي وصيدا ويقول له ان الحديث جرى بيننا
مرارا وما استفرغوا مصلحة فان كانت هذه الوقعة كتلك الوقعات فلا حاجة
الى الحديث وان كانت الغرض بت حال فقارب الحال انا لا اجتمع بك الا ان
ارى ما يقارب فصل الحال وقرر مع الملك العادل ان يرى ما يمكن فصل الحال
عليه والا طاوله وباطله الى ان يصل العسكر من الاطراف فالتمس الملك العادل

تذكرة

تذكره فيها المناصفات وذكر فيها ان امراء بيروت انه اصر على طلبها اشترط امر

خرابها ولا تعمر وكذلك القابون وان التمسوا عمارة في عمر الحب ونعطي صلب

الصلبوت ويكون لهم في القمامة قسار يفتح لهم باب بني ياتها ليشترطان لا يحملوا

السلاح وكان الحامل على ذلك ما اخذ الناس من تعب مواظبة الغزاة

وكثرة الديوان والبعد عن الاوطان فان من الناس كان لا يفارق

السلطان ولا يمكنه طلب كتابه من كيسان يخبر انه لقيه الهنفري مع الحاجب

ابو بكر رسولا من الانكتار يقول انا قد وافقت على قسمة البلاد وان كل من

في يده شيء فهو له فان كان ما في ايدينا زايدا اخذتم في مقابلة ما يقابل

الزيادة ما فان كان ما في ايديكم اكثر فعلنا كذلك ويكون القدس

لنا ولكم فيه الصخرة هذا كان مضمون الكتاب فاوقف السلطان عليه الامراء

فانتصحب في ذلك الامير ابو الهيجا وراوا ان من قال هذا المقال يوافق عليها معنى

عليه الملك العادل وهو مصلحة ورد الجواب الى الملك العادل في ذلك ولما

كان حادي عشر من ربيع الاول وصل الحاجب ابو بكر صاحب الملك العادل

بخبر ان الانكتار سار الى يافا من عكا وان الملك العادل ما راى ان يجتمع الا به عن

قاعدة منفصلة وانه جرى من عنده الحاجب ومن الانكتار

كثيرة حاصلها انه قول على ان تكون الصخرة لنا والقلعة في ايدينا مناصفة

وان لا يكون في البلد منهم مذكور وان تكون قرايا القدس وباطنه مناصفة

ثم قدم الملك العادل ربيع الاول من الغور ولقيه السلطان

وحكا ما سلف من الخبر وفي لقية ذلك اليوم وصل من اخبار الفرنج

عرب قريب من الداروم وانهم اخذوا منهم عتة حبا وانهم منهم

ها الف راس غنم فعظم ذلك على السلطان دمشق عليه فسير جماعة

فلم يلحقهم ذكر انفصال ... المركيس وكان قد وصل يوسف غلام صاحب

صيدا رسولا من جانب المركيس يلتمس الصلح السلطان شروطا

منها ان لا يقابل جنسه ويبا ينهم ومنها ان ما ياخذه من البلاد الافرنجية بعد

الصلح بانفراده يكون له وما اخذه نحن بانفرادنا يكون لنا وما يتفق نحن وهو

على اخذه تكون له نفس البلد ويكون لنا ما فيه من اسارى المسلمين وغير ذلك

بينه

بين الاموال ومنها ان يطلق لنا كل اسير معلم في مملكته ان فرص الانكتار
عليه ان البلاد لا يجري منهم كان الصلح بيننا وبينه على ما انتقر بيننا وبين
الانكتار ما عدا عسقلان وما بعدها فلا تدخل في الصلح وتكون الساحليات
وما في ايدينا لنا وما في الوسط منا صفة وسار رسوله على هذه القاعدة ولما
كان يوم الاثنين ثامن عشرين ربيع الاول وصل اسد الدين شيركوه بن
محمد بن شيركوه وصل جريدة مقدما على عسكره ذكر ... سيف
المشطوب من الاسر وكان وصوله الى القدس الشريف يوم الخميس مستهل
جمادى الاخر دخل على السلطان بغتة وعنده اخوه الملك العادل فنهض
له واعتنقه وسر به سرورا عظيما واحلى المكان وتحدث بطرف من احاديث
العدو وسأل عن حديث الصلح فذكر ان الانكتار سكت عنه وفي هذا اليوم كتب
السلطان الى ولده الملك الافضل حتى يسير الى قاطع الفرات ويتسلم البلاد
من الملك المنصور بن الملك المظفر وكان قد اظهر العصيان بسبب الخوف من
السلطان على نفسه واظهر ذلك ودخل في امره الملك العادل وسير الى

الى الملك العادل حتى يتحدث في امره وكان هذا التحدث وكان ذلك قد شق
على السلطان واثار منه مغيظة عظيمة كيف هذا الباب من اهله ولم يكن
احد من اهله خاف منه ولا طلب عينه وهذا كان السبب في توقف الانكتار
في الصلح فانه ظن ان خلافه تكدر على السلطان بسبب الفراق وعوجه الى الموافقة
على ما يرضاه فنفذ الى الملك الافضل ان يسير الى البلاد وكتب الى الملك
الظاهر اكراما عظيما وعمل به تامة وقدم بين يديه تقدمة
سنية وعدنا الى حديث العدو ... رسول ... ولما كان سادس عشر
ربيع الاخر من سنة ثمان وخمساية وصل يوسف من جانب
المركيس يجدد حديث الصلح ويقول قد انفصل الحال على بينه وبين
الفرنج الايام سارت الفرنسيسية في البحر وان تاخر
بطل الحديث في الصلح بالكلية فراى السلطان الصلح المركيس مصلحة
الاشتغال قلبه من جانب الشريف وخاف ان اتصل ابن تقي الدين ببكتمر فيحدث
من ذلك باشتغال الخاطر من الجهاد فاجاب الى ملتمس المركيس وكتب مع صاحبه

مواصفة

مواصفة على ما بعث ما تقدم وسار يوسف الرسول وفي جواب تاسع ربيع الآخر ذكر
قتل المركيس ولما كان سادس عشر الشهر وصل من الرسول المنفذ الى المركيس
كتاب ان المركيس قتل عجل الله بروحه الى النار وكان صورة يوم الثلثاء ثالث
عشر عنده ثم خرج عليه اثنان من اصحابه السكاكين وكان
حفيفان الرجال فما زالا يضربان فيه حتى عجل الله بروحه الى النار ومسك
الشخصان نسئل عن هذا الامر وتدبير المكان ذكر تتمة خبر امراء المصون
وما جرى له ذلك انه لما بلغه مواخذة السلطان انفذ الى الملك العادل
رسولا يتشفع به ليطيب قلب السلطان ويقترح عليه احد قسمين اما
حران والرها وسميساط واما حماة ومنبج وسلمية والمعرة مع كفالة اخوته
وراجع الملك العادل السلطان مرارا فلم يجبه الى ذلك بشيء منه فكثرت
الشفاعة اليه من جميع الامراء وهزت شيء ذكر منه من جمع خلقه
وحلف له على حران والرها وسميساط على انه اذا عبر الفراة اعطى المواضع
ازواجها وتكميل اخوته ويتخلى عن تلك المواضع التي في يده ودخل تحت

ذلك كله الملك العادل ثم التمس الملك العادل خط السلطان فابا
عليه فخرق نسخة اليمين في تاسع وعشرين ربيع الاخر وانفصل الحال وانقطع
الحديث وكنت المتردد بينهما في ذلك واخذ من السلطان الغيظ كيف
يخاطب مثل ذلك من جانب ولاد ولاده ذكر قد وم [illegible] ولما كان
مستهل جمادى الاولى وصل رسول من قسطنطينية الكبرى والتقى بالاحترام
والاكرام ومثل بالخدمة السلطانية في ثالث الشهر وكانت رسالته تشتمل
على مطالبة منها صلب الصلبوت ومنها ان تكون القمامة في ايدي اقساء
من جانبه وساير كنايس القدس ومنها ان يقع الاتفاق معه على ان يكون
قصد عدو من عاداه وصديق من صادقه وان يوافق على قصد جزيرة قبرص
فاقام على يومين ثم سير معه رسول يقال له ابن النجار من الديار المصرية و
اجيب بالمنع عن جميع مقترحاته وقيل للصليب قد بذل ملك الكرج
فيه مائتي الف دينار فلم يجب الى ذلك ذكر ما جرى للملك العادل في
البلاد التي هي قاطع الفرات وذلك لما سار الملك الافضل الملك العادل

قلب السلطان على ابن تقي الدين وقد كثر الحديث في معناه وانفذني السلطان

المشاورة الامراء في خدمة الملك العادل في امره فجمعهم في خدمته فذكرت

لهم بارسالي فيه الامير حسام الدين ابو الهيجا السمين وقال نحن عبيده

ومماليكه وذلك صبي نخوفه ان ينضاف الى جانب آخر ونحن ما نقدر

على الجمع بين قتال المسلمين والكفار فان اراد اننا نقاتل المسلمين

صالحنا الكفار وسرنا الى ذلك الجانب وقاتلنا بين يديه وان اراد

منا ملازمة الغزاة صالح المسلمين وسامحهم وهذا كان جواب الجميع

فرق السلطان وحدث النسخة بيمين لابن تقي الدين وحلف له بها

واعطاه خطه بما استقر من القاعدة ثم ان الملك العادل التمس من

السلطان البلاد التي كانت بيد ابن تقي الدين بعد انتقاله وجرت

مراجعات كثيرة من العوض عنها وكنت الرسول بينهما وكان آخر ما استقر

انه يسلم تلك البلاد ويبدل عن كل ما هو بيده في الفرات ما عدا الكرك

والشوبك والصلت والبلقا وخاصته بمصر بعد النزول عن جبيره

وعليه في كل سنة ستة الاف غرارة تحمل للسلطان من اصلت والبلقا
الى القدس والمغل في السنة المذكورة في مواضعه له ومغل قاطع الطريق
في هذه السنة للسلطان ايضا واخذ خط السلطان بذلك وسار بنفسه يصلح
امر ابن تقي الدين ويطيب قلبه وكان مسيره في ثامن جمادى الاول ذكر
استيلاء الفرنج على الداروم وكان الفرنج خذلهم الله لما راوا ان السلطان
قد اعطى العساكر دستورا وتفرقت العساكر عنه نزلوا على الداروم طمعا فيه
ويكون بيد علم الدين قيصر وفيه نوابه ولما كان يوم تاسع جمادى الاول
اشتد زحف العدو على المكان راجلا وفارسا وكان الانكتار قد استفسد
من نوبه عكا نقابين حلبيين فمكنوا من نقب المكان النقب وطلب
اهل الحصن مهلة بحيث يشاورون السلطان فلم يمهلوهم فاشتد واتى القتال
عليه فاخذوه عنوة فاستشهد فيه من قدر الله له ذلك وكان ذلك قدام مقدرا
ذكر قصدهم لمجدل يابا ولما استولى الفرنج على الداروم ساروا بعد ان قرروا امره
ووضعوا فيه من اختاره حتى نزلوا على منزلة تقال لها الحسي وهي قريب من جبل

الخليل

١٢٨

الخليل وذلك في رابع عشر جمادى الاولى فاقاموا عليه ثم ناهبوا القصد

حصن يقال المجدل يافا   في منزلتهم وكان بها عسكر

الاسلامي فجرى منهم قتال عظيم وقتل من العدو وكسه مذكور

من المسلمين فارس واحد وكان سبب قتله ان وقع رمحه فنزل ياخذه

بالسيل جرى امرا بالسيل على القافلة لتبدوها فنادى في الناس ان لا يرحلوا

الى الصباح واما الانكتار بلغنا انه بلغنا الخبر لم يصدق به وركب مع العرب

بجمع يسير وسار حتى اتى القفل وطاف حوله في صورة عربي وراهم ساكنين قد غشيتهم

النعاس فعادوا استركب عسكره وكانت الكبسة قريبة الصباح فبغت الناس

ووقع عليهم بخيله ورجله وكان   الايد القوي الذي ركب فرسه

ونجا بنفسه وانهزم الناس الى الجهة   والعدو يتلوهم فلما راوا القفل

اعرضوا عن قتال العسكر وطلبوا القفل فانقسم القفل ثلثة اقسام فقسم قصدوا

الكرك مع عتمان العرب وعسكر الملك   وقسم اوغلوا في البرية

مع عتمان العرب وقسم احتاط عليهم العدو فاخذهم بجمالهم واحمالهم و

جميع ما كان معهم وكانت وقعة شنعاء لم يصب الاسلام بمثلها من مديدة وكان في العسكر المصري جماعة من المذكورين كحسين الجراحي الى وسند الناس في البرية ورموا اموالهم وكان السعيد منهم من نجا بنفسه وجمع العدو ما امكنهم جمعه من الخيل والبغال والجمال والاقمشة وسائر انواع الاموال وكلف الجمالين كلفة الجمال والخربندية خدمة البغال والساسة خدمة الخيل وسار في جحفل من يطلب عسكره فنزل على الحويلصة وسقاها ثم سار حتى اتى الحسي ولقد حكى من كان اسيرا معهم ان في ذلك الليلة وقع فيهم الصوت ان عسكر السلطان قد قصدهم فتركوا الغنيمة وانهزموا وبعدوا عنها زمانا طويلا ولما كان انكشف لهم ان العسكر لم يلحقهم عادوا الى الرحال وهرب في تلك الغيبة جمع من اسارى المسلمين وكان الحاكي منهم فسالته بكم حزر تمام الجمال والخيل فاخبر ان الجمال والخيل ثلثة آلاف جمل والاسارى خمسمائة واقترب بها بذلك عدة الخيل اخبر بذلك جماعة وكانت هذه الوقعة صبيحة اثنا حادي عشر جمادى الآخرة ووصل الخبر الى السلطان في عشية ذلك اليوم بعد عشاء الآخرة وكنت جالسا في خدمته ووصل الخبر ثم من صطلية وان السلطان حزن في قلبه ولا اكرة تشويشا لباطنه واخذت في تسكينه وتسليته وهو لا يكاد يقبل السلوة وكان

وفكاك الاسير وبقي الجماعة وهمهم وفيه المدد وبها من المذكورين وقتل منهم عثمان ما بقي فارس على الراوية وليس تقتل من الملك النفس على الراوية ولم يسعف واب معروف سوى الحاجب يوسف فانهما استشهدا الحلوي القضيبي

واقرم

امير اخر

امراخواسلم انشار عليهم انهم يصعدون الجبل وينزلون فلم يفعلوا فصعد هو
الجبل واصحابه فلما وقعت لكبسته كان هو على الجبل فلم يصل اليه احد من
العدو ولم يشعروا به ولما انهزم المسلمون وتبعهم خيالة الافرنج واقام
الرجالة منهم يستولون على ما تخلف من المسلمين من الاثقال فلما تحقق
امير حوار الخيالة قد بعدت عن الرجالة نزل بمن معه من الجبل وكبسهم
من حيث لم يشعروا وقتلوا منهم جماعة وغنموا منهم دوابا من حملها بغال و
كانت تحت هذا القاصد ثم صار العدو يطلب خيامهم وكان وصوله الى
خيمهم يوم الجمعة في سادس عشر جمادى الاخرة وكان يوما عظيما عندهم
اظهروا فيه من السرور واصحابه ما لم يمكن وصفه واعادوا خيمهم الى اشبابه
الوطاة على بيت نوبة وصح عزمهم على القدس فقويت نفوسهم بما حصلوا
من الاموال والجمال التي تنقل الميرة والازواد الواصلة من مصر مع عسكرها
ورتبوا جماعة على انه يحفظون الطريق على من ينقلون الميرة والازواد
الواصلة من مصر مع عسكرها ورتبوا جماعة على انه يحفظون الطريق

علي من ينقلون الميرة والنفد والكندهري الى وطرابلس وعكا ويستحضر
من فيها من المقاتلة ليصعدوا علي القدس ولما عرف السلطان ذلك
منهم عاد الى الاسوار فقسمها علي الامراء فتقدم اليهم بتهيئة اسباب الحصار
واخذ في افساد المياه ظاهر القدس فاغراب الصهاريج والحميات
بحيث لم يبق حول القدس ما يشرب اصلا واطنب بذلك اطنابا
عظيما وارض القدس لا يطمع حفر فيها ماء معين لانها جبل
عظيم وحجر صليب وسير الى العساكر يطلبها من الاطراف والبلاد [illegible]
قدوم [illegible] عامرة بالعدو عن تلك البلاد وكان قد وصل
الى حلب المحروسة فلما وصل ان السلطان نابه العدو وعاد مع انكتار في قلبه
وتشويش في باطنه فوصل الى دمشق متعبا ولم يحضر الى خدمة السلطان
فلما اشتد خبر الفرنج سير الله وطلبه فما وسعه التاخر فسار مع من
كان قد وصل من العساكر الشرقية الى دمشق واظهر جميع العدو [illegible]
عوب [illegible] بعد الى بلادهم وسبب [illegible] كانت ليلة الخميس تاسع عشر
جمادى

جمادى الاخر احضر السلطان الامرآء عنده فحضر الامير ابو الهيجا
السمين مشقة عظيمة وجلس على كرسي في خيمة السلطان وحضر المشطوب
والاسدية باسرهم وجماعة الامرآء ثم امرني ان اكلمهم واختم على الجهاد
ذكرت ما يسره الله من ذلك ما يسره الله من ذلك وكان مما قلته
ان النبي صلعم لما اشتد به الامر بايعه الصحابة رض على الموت في لقاء العدو
ونحن اولى من تاسى به صلعم والمصلحة الاجتماع عند الصخرة والتحالف
على الموت ولعل ببركة هذه النية يندفع هذه العدو ونحن اولى من
تاسى به صلعم والمصلحة الاجتماع والتحالف على الموت ولعل ببركة هذه
هذه النية يندفع هذه العدو فاستحسن الجماعة ذلك ووافقوا
عليه ثم شرع السلطان بعد ان سكت زمانا في صورة مفكر والناس
سكوت كان رؤسهم الطير ثم شرع وقال الحمد لله والصلاة على رسول
الله اعلموا انكم جند الاسلام ومنعته وانتم تعلمون ان دماء المسلمين و
اموالهم وذراريهم متعلقة في ذممكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين من تلقاه

الا انتم فان وليتم انفسكم والعياذ بالله طوى البلاد طي السجل وكان
ذلك في ذمتكم فانكم انتم الذين تصديتم لهذا واكلتم مال بيت
المال فالمسلمون في ساير البلاد متعلقين بكم والسلام فاستدعا بحواب
سيف الدين المشطوب وكان يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك وانت
انعمت علينا وكبرتنا وعظمتنا واعطينا وليس لنا الا رقابنا وهي
بين يديك والله لا يرجع احد منا عن نصرتك الى ان نموت
فقال الجماعة مثل ما قال وانبسطت نفسه بذلك المجلس وطاب
قلبه واطعمهم ثم انصرفوا وانقضا يوم الخميس على اشد حال
التاهب والاهتمام حتى كان عشاء الاخرة واجتمعنا في خدمته على
العادة وسهرنا حتى مضى من الليل هزيع وهو غير منبسط على عادته ثم
صلينا العشاء وكانت الصلاة الدستور العام فصلينا واخذنا في الانصراف
واستدعا فلما جلست في خدمته قال لي علمت ما الذي تجدد قلت لا
قال ابا الهيجا السمين انفذ الي اليوم فقال انه اجتمع عنده جماعة من
المماليك

المماليك وانكروا علينا موافقتنا على الحصار وقالوا لا مصلحة في ذلك
فانا نخاف ان نحصر ويجري علينا مثل ما جرى على عكا وعند ذلك
توخذ بلاد الاسلام اجمع والراي ان نلتقي مصافا فان قدر الله ان نهزمهم
ملكنا بقية بلادهم وان تكن الاخرى يسلم العسكر ومضى
القدس وقد انحفظ الاسلام بعساكرها مدة بغير وكان عنده
من القدس امر عظيم لا تحمله الجبال فشق عليه هذه الرسالة واقمت
تلك الليلة في خدمته وهي من الليالي التي احياها في سبيل الله
وكان مما قالوه في الرسالة انك ان اردتنا ان تكون انت او بعض
اهلك والا فالاكراد ولا يدينون للاكراد كذلك انفصل الحال الى ان
يقيم من اهله مجد الدين فرخشاه وصاحب بعلبك وكان في
نفسه بالمقام ثم رايه عنه لما فيه من خطر الاسلام فلما
الصبح واشفقت خاطبته في ان يستريح ساعة وانصرفت عنه فما وصلت
الا والمؤذن قد اذن فاخذت باسباب الوضوء فما فرغت الا والصبح قد

طلع قعدت الى خدمته وهو يجدد الوضوء فصلينا ثم قلت له قد وقع
لي واقع اعرضه فصلينا ثم قلت في اهتمامه وما قد حمل على نفسه
فيجتهد فيما هو فيه وقد عجزت اسبابه الارضية فينبغي ان
يرجع الى الله تعالى وهذا يوم الجمعة وهو ابرك الاسبوع فيه
دعوة مستجابة ونحن في ابرك موضع فالسلطان يغتسل ويتصدق
بصدقة خفية بحيث لا يشعر انه منك وان يصلي بين الاذان والاقامة يصلي
ركعتين تناجي فيها ربك وتفوض مقاليد امورك اليه وتعترف
بالعجز عما تصديت له فلعل الله يرحمك ويستجيب دعاك وكان حسن
العقيدة تام الايمان يتلقى الامور الشرعية بكمال انقياد وقال
فلما جاء وقت الجمعة فصلينا ثم انقضت الجمعة بخير قال
لما كان عشيتها نحن في خدمته على العادة فبذلك وصلت رقعة
من جرديك وكان في اليزك وكان جملة ما فيها ان القوم ركبوا بأسرهم
ووقفوا في التل على ظاهره ثم عادوا الى خيامهم وقد سيرنا جواسيس

يخبر فيها ان الجاسوس رجع وخبر ان القوم اختلفوا في الصعود الى القدس
والرحيل الى بلادهم فذهبت الفرنسيسية الى الصعود الى القدس وقالوا
نحن انما جئنا من بلادنا بسبب القدس لا نرجع اليه دونه وقال
الانكتار ان هذا الموضع قد افسدت مياهه ولم يبق اصلا
ماء نشرب فقالوا انا نشرب من نهر تقوع وبينه وبين القدس
مقدار فرسخ فقال كيف نذهب الى السقي فقالوا ننقسم قسمين قسم يركب
الى السقي وقسم يبقى على البلاد في المنازلة ويكون الشرب في اليوم البلد
مرة فقال الانكتار وانا اخذ العسكر البراني الذي يذهب مع الدواب
ويخرج عسكر البلد على الباقين يذهب دين النصارى فانفصل الحال
على انهم ركبوا فحكموا ثلثمائة انفس عشرة وحكم الاثنا عشر ثلثة منهم وقد باتوا
على حكم الثلثة فيما يامرونهم به يفعل فلما اصبحوا حكموا عليهم بالرحيل
فلم يمكنهم المخالفة واصبحوا في بكرة الحادي والعشرين من جمادى الاخر
راحلين نحو الرملة وعلى اعقابهم ناكصين ولله الحمد ووقف عسكرهم

شا كان في السلاح الى ان لم يبق في المنزلة الا الاثار ثم نزلوا الرملة
وتواترت الاخبار بذلك فركب السلطان وركب الناس وكان
يوم سرور وفرح ذ [illegible] سالة [illegible] هري ولما فرغ السلطان بالرحيل
العدو استحضر رسول الكندهري يقول [illegible] الانكتار قد اعطاني
البلاد الساحلية وجد الآن لي فاعد علي بلادي حتى اصالحك واكون
احدا ولادك [illegible] السلطان لذلك غضبا عظيما وحيث انه
كان بطش به فاقيم من بين يديه فسال ان يمهل يقول كلمة اخرى
فاذن له في ذلك فقال يقول ان البلاد في يدك فما الذي تعطيني
منها فانتهره واقامه ولما كان يوم الثالث والعشرين استحضر الرسول
وكان جوابه يكون الحديث بينا في صور وعكا على ما كان مع المركيس
ثم وصل بعد ذلك الحاجب يوسف صاحب المشطوب من الفرنج وذكر
ان الانكتار احضره واحضر الكندهري داخل المجلس وقال يقول
لصاحبك بانا قد هلكنا نحن وانتم والاصلح حقن الدما ولا ينبغي

ان

ان نعتقد ان ذلك على ضعف منى بل للمصلحة ويكون هو الواسطة بيننا
وبين السلطان ولا يعتريه تاخير عن منزلي فالكيس يتاخر لينجح وانفذ
مع الحاجب شخصين يسمعان بالكلام من المشطوب وكان ظاهر الحال الكلام
في اطلاق بهاء الدين قراقوش وباطنه في معنى واخبر الحاجب انهم
رحلوا عن الرملة قاصدين يافا انهم على غاية الضعف والعجز عن قصد
مكان فاستحضر المشطوب عن نابلس لسماع الرسالة وكان الجواب الى
الكندهري قد اعطى عكا ونحن نصالحه على ما الرو يتركنا والانكتار
على البلاد وكان رح قد جعل في مقابلة عكا عسكرا احتيئته خروج
العدو الى تلك النواحي التي تليهم فلما كان الثاني والعشرين من عكا
خرج العدو عابرين على ما يليهم من البلاد والرساتيق فثارت عليهم
المكمنات من الجوانب وكان شغل العسكر الاسلامي بحزوجهم فكمن لهم
فاخذوا منهم جماعة وقتلوا جماعة ولله الحمد ذكر عود
في معنى الصلح ولما كان يوم الجمعة سادس عشرين الشهر وعاد رسولهم

صحبة الحاجي يوسف وقد حمل الحاجي رسالة تودديهما بحضور صاحبهم
وهي ان ملك الانكتار يقول اني راغب في مودتك وصداقتك انني
لا اريد ان اكون من عون بملك الارض ولا بغض فيك ولا يجوز ان اتهلك
المسلمين كلهم ولا يجوز لي اهلاك الفرنج كلهم وهذا ابن اختي الكندهري
قد هذه الديار وسلمته اليك يكون هو وعسكره بحكمك ولو
استدعيتهم الى الشرق سمعوا واطاعوا ويقول ان جماعة من الرهبان
المنقطعين قد طلبوا منك كنايس فما بخلت عليهم بها وانا اطلب
منك كنيسة وتلك الامور التي كانت تضيق صدرك لما كان يجري في
المراسلة مع الملك العادل قد قلت تركها واعرضت عنها وهو اعطني
مزرعة او خربة قبلتها فلما سمع السلطان هذه الرسالة جمع ارباب
الراي واصحاب مشورته وسالهم عما يكون الجواب لهذه الرسالة فما منهم
الامين اشار بالمجاملة وعقد الصلح لما كان قد اخذ المسلمين من الضجر
والتعب وعلاهم من الديون واستقر الحال على هذا الجواب اذا دخلت معنا

هذا

هذا الدخول فما جزاء الاحسان الا الاحسان ان اخيك يكون عنده
كبعض اولاده وسيبلغك ما يفعل في حقه وقط ما اعطيك اكبر الكنايس
وهي القمامة وبقية البلاد نقسمها فالساحلية التي بيدك تكون بيدك
والذي بايديهم من القلاع الجبلية يكون لنا وبين العملين يكون مناصفة
وعسقلان وما وراها يكون خرابا لا لنا ولا لكم ان اردتم قراياها كانت
لكم والذي كنت اكرهه حديث عسقلان واتصل الرسول طيب النفس
وذلك في ثاني يوم قدومه وهو الثامن والعشرون واتصل الخبر بعد
وصول الرسول اليهم انهم راحلون الى عسقلان طالبين جهة مصر و
وصل رسول من جانب قطب الدين ابن قليج ارسلان اليهم انهم راحلون
الى عسقلان طالبين جهة مصر ووصل رسول من جانب قطب الدين ابن
قليج ارسلان يقول ان البابا قد وصل الى القسطنطينية في خلق لا يعلم
عددهم الا الله تعالى وقال للرسول اني قتلت في الطريق اثنا عشر فرسا
ويقول تقدم الى من يتسلم بلادي مني فاني قد عجزت عن حفظها فلم يصدق

للسلطان هذا الخبر ولم يكترث به ذكر عمدة رسول الفرنج قالنا ولما كان التاسع
والعشرون وصل الحاجي صاحب المشطوب ومعه جوزي رسول الملك وكان ان
الملك شكر انعام الذي اطلب منك ان يكون لنا في قلعة القدس عشرون نفرا
وان من سكن من النصارا والافرنج في البلد لا يتعرض اليهم واما بقية
البلاد فلنا منها الساحليات والوطاة والبلاد الجبلية فلكم واخبرنا
الرسول من عند نفسه مناصحة انه قد نزل عن حديث القدس ما عدا الزيادة
ولكن يقول ذلك نصعا تصنعا وانهم راغبون في الصلح وان الانكتار
لا بد له من الرواح الى بلده واقام يوم الاثنين سلخ الشهر وكان معه في
هذه الوقعة بازان هدية للسلطان فاستحضر الامراء باسرهم وشاورهم
فيما يكون الجواب لهذه الرسالة وانفصل الحال على هذا الجواب وهو ان القدس
ليس لكم فيه حديث سوى الزيارة فقال الرسول وليس على الزوار شيء
يوجد منهم فعلم من هذا القول الموافقة واما البلاد كعسقلان وما وراها
فلا بد من خرابها فقال الرسول قد خسر الملك على سورها مالا جزيلا فقال

المشطوب

١٣٢

المطلوب للسلطان المصلحة ان تجعل زراعها وقراياها في مقابلة خسارتها
فاجاب ان والدارون وغيرة تخرب وتكون بلادها مناصفة واما في
البلاد فتكون لهم من يافا الى صور ما عمالها ومهما اختلفنا في قرية وكانت
مناصفة فهذا كان جواب رسالته وسار في يوم الثلثا مستهل رجب ومعه
الحاجي يوسف وكان قد طلب رسولا مذكور ليحلفه ان استقرت القاعدة
فاخر السلطان الرسول الى حين استقرار القاعدة وانفذ لهم هدية
حسنة في جواب هديتهم وما كان يطلب في هداياه [illegible] وكان
عودها وقد مضى من الليل هزيع من ليلة الثالث من شهر الله رجب
فحضر الحاج ليلاً واخبر السلطان بالخبر وحضر الرسول في بكرة الخميس
الثالث من رجب وادى الرسالة وهي ان الملك وتخضع اليك ان
تترك له هذه الثلثة الاماكن عامرة واى قدر لها عند ملكك وعظمتك
وما سبب اصرارك عليها على ان الافرنج لم يسمحوا بها وقد ترك القدس بالكلية
لا يطلب ان يكون فيه رهبانا ولا قسوس الا في القمامة وحدها فتترك له انت

هذه البلاد ويكون الصلح عاما فيكون لهم كلما في ايديهم من الدارون الى انطاكية
ولكم ما في ايديكم وينتظم الحال ويروح وان لم ينتظم الصلح فالفرنج
يمكنوه من الرواح ولا يمكن مخالفتهم فانظر الى هذه الصناعة في استخلاص
الغرض ما اللين تارة والخشونة اخرى وكان لعنه الله مضطرا الى الرواح
وهذا عمله مع اضطراره والله الولي في ان يكفي المسلمين شره فما بلونا
اعظم حيله ولا اشد اقداما منه ولما سمع السلطان هذه الرسالة احضر
الامراء وارباب الراي من دولته وسالهم عن الجواب ما يكون وكان خلاصة
الراي هذا الجواب وهو ان انطاكية لنا معهم حديث ورسلنا عندهم
فان عادوا بما يريد ادخلناهم في الصلح والا فلا واما البلاد التي سالها
فلا يوافق المسلمون على دفعها اليه والا فلا اقدر لها واما سور عسقلان
فياخذ في مقابلته ما خسر عليه لدا في الوطاة وسير الرسول صبيحة الجمعة
رابع رجب ومما كان الخامس من رجب وصل ولده الملك الظاهر عز
نصره وكان كثير المحبة له والايثار لحمايته فما براه فيه من امارات السعادة

وصفات

وصفات الكفاية وتوهم الملك فخرج السلطان الى لقائه فلقيه من قاطع
العراية فانه وصل على الفور ونزل له عند لقائه واحترمه واكرمه وضمه
اليه وقبل بين عينيه ونزل في دار الاستبتار ولما كان السابع وصل الحاج
يوسف وحده وذكر ان الملك قال لا يمكن ان تخرب من عسقلان
حجر واحد ولا يسمع عنا في البلاد مثل ذلك واما البلاد فحدودها معروفة
ولا مناكرة فيها وعند ذلك تاهب السلطان للخروج الى جهة العدو
واظهار القوة وشدة العزم على اللقاء [illegible] ولما كان العاشر
من رجب بلغ السلطان ان الفرنج رحلوا طالبين نحو بيروت فبرز
من القدس الى منزلة يقال لها الجيب وكان قدوم الملك العادل من
البلاد القراميه في بكرة الحادي عشر فدخل الصخرة وصلى عندها ثم
السلطان ثم ان السلطان رحل من الجيب الى
وبعث الى العسكر في القدس الحثهم على الخروج واللحوق به ولحقت
السلطان في بيت نوبة فاني كنت تخلفت عنه ليلة ثم رحل في الاحد

ثالث عشر لي الرملة ضاحي نهاره على تل الاربين الرملة ولد واقام بها بقية
الاحد ولما كان صبيحة الاثنين ركب جريدة حتى اتى بارفور وبنيت جبرين
واشرف على يافا ثم عاد الى منزله واقام بها بقية يومه وجمع ارباب
مشورته وشاورهم في النزول على يافا واتفق الراي على ذلك ذكر
سنا . قال ولما كان صباح الثلثا خامس عشر رحل طالب جهة
يافا فخيم عليها ضاحي نهاره ورتب العسكر ميمنة وميسرة وقلبا وكان
على البحر وطرف الميسرة نضا على البحر والسلطان في الوسط وكان صاحب
الميمنة الملك الظاهر عز نصره وصاحب الميسرة اخوه الملك العادل
والعساكر فيما بينهما كان سادس عشر الشهر زحف الناس اليها واستحفزوا امرها
استحفارا عظيما ثم رتب السلطان الناس للقتال واحضر المنجنيقات ركبها
على اضعف موضع السور بما يلي الباب الشرقي فاطلق الرماة بين السور
وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج واشتد الحزم والزحف واخذ النقابون
النقب من شمالي الباب الشرقي الى الزاوية طول البدنة وكان قد هدم
المسلمون

المسلمون ذلك المكان في الحصر الاول ولو شاه الفرنج وتمكن بالنقابون من النقب
ودخلوا فيه ولم يشكوا الناس في اخذ البلد في هذا اليوم هذا وامر العدو
في زيادة وكان الملك في عكا توجه الى بيروت وهذا الذي حمل السلطان
على نزوله على يافا ثم انفصل ذلك اليوم عن قتال شديد وقد ضرس العدو
منه وظهر من العدو ومن الشدة والحماية والدربة والمنعة ما اضعف قلوب
الناس هذا والنقابون قد تمكنوا من النقب عليهم فلما تم الفراغ اخذ
العدو في خسف النقب عليهم فخسفوه في مواضع عدة وخاف النقابون
فخرج منهم جماعة وتفاتر الناس عن القتال وعلموا ان امر البلد مشكل
يحتاج الى زيادة عمل في اخذه فعزم السلطان عزم مثله فامر النقابون
ان ياخذوا النقب في بقية البدنة من البرج الى الباب وامر المنجنيقات
ان تضرب قبالة البدنة المنقوبة ففعلوا ذلك واقام السلطان تلك
الليلة هناك الى ان مضى من الليل مقدار ثلثه وعاد الى الثقل وكان الثقل
بعيدا عن البلد على تل قبالة واصبحت المنجنيقات قد اقيم منها اثنان واقيم

الثالث في بقية النهار واصبح السلطان على القتال والزحف فلم يجد من الناس
الا الصبور السبت نصب المنجنيقات طنا منهم ان المنجنيق لا يعمل الا بعد ايام
ولما علم السلطان من الناس والتواكل حملهم على الزحف والهجم
واشتد الامر واذاقوا العدو مرارة فامر فاشرف البلد على الاخذ وانقفت
النفوس وطمعت في ذلك معا شديدا وضعف العدو والا ان خرج
من المسلمين جماعة والزنبورك من البلد ولما رأى العدو المخذول
ما قد حل به شديدا وضعف العدو ارسلوا رسولين نصرانيا
يطلبان الصلح ويتحدثان ضعف السلطان منهم قاعدة القدس وقطيعه
فاجابوا الى ذلك واشترطوا ان تنظروا الى يوم السبت الذي هو تاسع
عشر رجب فان جاءتهم النجدة والا غنت القاعدة على ما استقر فاتى السلطان
الانتظار فعاد الرسول ثم رجعوا اليا لونه في الانتظار فلم لي ذلك وتفاتر
الناس عن القتال بسبب تواصل الرسول وسكونا الى الدعة على جاري العادة
فامر السلطان النقابين فحشوا النقوب بعد انهاتها ففعل ذلك ووضعت

١٣٤

النار فيه فوقع نصف المدينة وكان العدو وقد عرف وقوع النار في العقب
وعلم ان ذلك المكان يقع فيه الى اخشاب عظيمة وهياها ما خلف ذلك
المكان فلما وقع ذلك المكان التهب النيران فمنعت من الدخول الى الثلمة
ثم امر السلطان الناس وزحفوا وضايقوا القوم مضايقة عظيمة ولله
درهم من رجال اقبالهم ما اشدهم واعظم ما بهم فانهم مع هذا كله لا يغلقوا
لها بابا بل لم يزالوا يقاتلون خارج الابواب ولم يزل الناس في اعظم قتال
الى فصل الليل بين الطايفتين ولم تقدر على البلد في ذلك اليوم لعدم حرف
النقوب في باقي المدينة وضاق صدر السلطان لهذا الامر وتقسم فكره
وندم كيف لم يجبهم الى الصلح وبات تلك الليلة في المخيم وقد عزم ان
يقيم تمام خمسة مناجيق تضرب بعضا المدينة الضعيفة بسبب النقوب
والنيران والخسف من جانبهم ذكر فتح   وما جرى فيه من الوقايع
ولما كان يوم الجمعة ثامن عشر رجب اصبحت المنجنيقات وقد نصبت
وحجارتها وقد جمعت من الاودية والاماكن البعيدة لعدم الحجر في ذلك المكان

وطلب رمي البدنة والقوية وزحف السلطان وزحف ولده الملك الظاهر
عن يمينه زحفا شديدا وزحف عسكر الملك العادل في الميسرة فانه كان
مريضا وارتفعت الاصوات وضربت الكوسات وخفقت النوبات
وضربت المجنيقات واحاط بهم الويل واشتد عزم النقابين في القاء
النار فما ارتفع النهار ساعتان الا ووقعت البدنة وكان وقعها كا
لوقع الواقعة ونادى للناس الا وان البدنة قد وقعت فلم يبق من له ادنى
بين ايمان الا وزحف ولا قلب من الحديد والا رعد وزحف هذا الزحف وهم
على القتال اشد واحزم وعلى الموت اعز واكرم وذلك انه لما انبعث على
غبار مع دخان واظلم الافق وعمي النهار وما تجاسر احد على الولوج
خوفا من اقتحام النار فلما انكشف الظلمة ظهرت اسد قد نابت مناب
الاسوار ورماح قد سدت الثلمة حتى عدمت نفوذ الابصار ورأى
الناس هولا عظيما من صبر القوم وثباتهم وسداد حركاتهم وسكناتهم ولقد
رايت رجلين على ممشى السور يمنعان المتسلق فيه من الثلمة وقد اتى احدهما

حجر

حجر المنجنيق فاخذه ل الى داخل وقام رفيقه في مقامه متصدي

الميل لما لحقه اسرع من لمح البصر بحيث لم يفرق بينهما فارق الا انا فذو لما

راى العدو ومال الامر اليه سير رسولين الى السلطان

فقال ره الفارس بالفارس والتريسلي بمثله والراجل والعلجا على وطه

القدس فنظر الرسول فراى القتال على التمام اشد من اضرام النار فسال

السلطان سطل القتال الى ان يعود فقال ما اقدر على منع المسلمين

هذا الامر لكن ادخل الى اصحابك وقل لهم يتحاوزون الى القلعة ويتركون الناس

ليشتغلوا بالبلد فما بقي ما دونه مانع فعاد الرسول بهذه الرسالة فانحاز العدو

الى قلعة بعد ان قتل منهم جماعة غلطا ودخل الناس البلد عنوة

عظيمه وغلالا كثيره واثاثا وبضاعا قماش مما نهب من القافلة

المصرية واستقرت القاعدة على الوجه الذي قرره السلطان ولما كان عصر

الجمعة المباركة وصل السلطان كتاب من قايماز النجمي وكان في طرف العدو

الحماية من عسكر العدو والحماية من عسكر العدو والحماية من عسكر العدو الذي

فى عكا يخبر فيه ان الانكتار لما سمع خبر يافا عرض عن قصد بيروت وعاد الى قصد
يافا واشتد العزم السلطان على تتمة الامر وتسليم القلعة ممن لم يرا الامان
لانه قد لاح اخذهم وكان الناس لهم مدة لم يظفروا بعدو بعمهم وقوعهم
عليه فكان اخذهم عنوة مما يبعث همم العسكر غيران الامطار وقع واتفق
الصلح فكنت بعد ذلك بحث على اخراج العدو من القلعة وتسلمها
خوفا من لحوق النجدة وكان السلطان يشتهى خروجه غيران الناس قد
اقعدهم التعب عن طلب الامر واخذ منهم الحديث وشدة الحر ودخان
النار بحيث لم يبق لهم استطاعة على الحركة واقام السلطان يحثهم الى
ان هوى من الليل فلما راى ما قد نزل بالناس من التعب ركب وسار الى خيمة
الى الثقل وسار الناس الى خدمته ثم نزل فى خيمة وعدت الى وعندى
من الخوف ما اقلقنى عن النوم ولما كان سحر تلك الليلة سمعنا بوق الفرنج
قد تعمق فعلمنا بوصول النجدة قد وصلت فى البحر فاستدعانى السلطان
من وقته وقال لا شك ان النجدة قد وصلت الى البحر وعلى الساحل من عساكر

الاسلام

الاسلام من يمنعهم من النزول وللمصلحة ان تسير الى الملك الظاهر وتقول
ان ينفق ظاهر الباب الفتلي وتدخل انت ومن وراه الى القلعة ويخرجوا القوم
ويستولوا على ما فيها من الاموال والاسلحة ويكتبها بخطها الى الملك الظاهر
وهو خارج البلد وهو يسيرها الى عندنا ويسير معي في تقوية اليد على
ذلك عز الدين جرديك وعلم الدين قيصر ودرباس المهراني فسرت من
ساعتي ومعي شمس الدين عدل حتى اتيت الملك الظاهر وهو نايم
في شليته على تل قريب البحر في الرك وعليه كذا عنده وهو بلا سرير
فلا ضيع الله صنعهم في نصرة الاسلام فايقظته وقام والنوم في عينيه وسرت
في خدمته حيث امره ودخلنا نحن الى
بافا واتينا القلعة وامرنا الافرنج بالخروج فاجابه الى
الخروج بكرة ... ولما اجابوا الى الخروج قال عز
الدين جرديك لا ينبغي ان يخرج احد حتى يخرج الناس
ان يخفضوهم الناس وكان قد داخلهم الطمع في البلد واخذ

عن الذين خرج ديك ليشهد ضرب الناس . عن مصنوطين بعد

ولا بصور فكيف يمكن اخراجهم وطال الامر الى ان علا النهار

وانا الومه وهو لا يرجع عن ذلك والزمان مضى فلما رايت الوقت تفوت

قلت له ان النجدة قد وصلت والمصلحة المسارعة في اخراجهم السلطان فقد

اوصاني بذلك فلما عرف التثبت في حرصي الى اخراجهم ومضينا الى باب

القلعة القريب من الباب الذي الملك الظاهر قايم عنده فاخرجنا تسعة

واربعين نفرا بخيولهم ونساءهم وسيرناهم ولما خرج هذا النفر اشتد نفس

الباقين وحدثتهم نفوسهم بالعصيان وكان سبب خروج هولاء

النفر انهم استقلوا المراكب التي جاءتهم وظنوا ان لا نجدة لهم فيها ولم يعلموا

ان الانكتار مع القوم وراوهم وقد تاخروا عن النزول الى علو النهار فخافوا

ان يتمنعوا فيوخذوا ويقتلوا فخرج من خرج بعد ذلك قرب النجدة متى صاروا

خمسة وثلثين مركبا فقويت نفوس الباقين في الحصن فظهرت بهم امارات

العصيان والكلابة وخرج منهم من اخبرني بتشويش عزمهم واخذوا الطارقيات

والجنويات

والجنويات وعلى الاسوار وكانت القلعة جديدة لم تشرف بعد فلما رايت
الامر قد ال الى ذلك نزلت من التل الذي كنت واقفا عليه وهو ملاصق
سار القلعة جديدة ولم تشرف بعد فلما رايت الامر قد ال الى ذلك نزلت
من التل الذي كنت واقفا عليه وهو ملاصق بسور القلعة وقلت لعز الدين
حرديك وهو مع عسكره في اسفل مع جميع من الاجناد خذ واحذركم
فقد تغيرت عزايم القوم فما كانت الا ساعة بحيث صرت خارج
البلد في خدمة الملك الظاهر الا وقد ركب القوم خيولهم وحملوا من القلعة
حمل الرجل الواحد واخرجوا من كان في البلد من الاجناد ولقد ازدحم
في الباب حتى كاد ان يتلف منهم جماعة وبقي في بعض الاجناد الكنانيين
جماعة من اتباع العسكر مشتغلين بما لا يجوز فهجموا عليهم وقتلوا منهم
واسروا منهم وسير في الملك الظاهر الى والده السلطان يعرفه بالحال فامر
الجاووش ونادى في العسكر وضرب الكوس للقتال وقفز الناس من
كل جانب للغزاة وهجموا البلد وحشروا العدو في القلعة واتقنوا بالسوار

واستبطوا نزول النجدة اليهم وخافوا خوفا عظيما فارسلوا بطركهم والقنطلان

وكان حلقة هايلة رسولين الى السلطان يعتذران اليه مما جرى وبيان

القاعدة الاولى فخرجت الرسل الى السلطان والقتال يشتد عليهم وكان

انقطاع النجدة انهم راوا البلد مشحونا بيارق المسلمين حالهم فحاقوا

انيكون القلعة قد اخذت وكان البحر يمنع من سماع الاصوات من كل جانب

والتهليل والتكبير فلما راوان القلعة شدة الزحف عليهم

وامتناع النجدة من النزول مع كثرتها انها بلغت نيفا وخمسين مركبا منها

خمسة عشر شاني فيها شاني الملك علموا ان النجدة ان البلد قد اخذ

ذهب واحد نفسه المسيح وقفز من القلعة الى المينا وكان فلم يصبه

عدوا حتى اتى مخرج لشاني واخذه الى شاني الملك فحدث الحديث

لما شعر الانكتار ان تدفع بطلب الساحل اولا وكان شاني

الفي من بعثه الرشانية وكان لعمرا ورقبته حمرا وبيرقه فما كان الا ساعة

وقد نزل من الشواني الى المينا هذا كله وانا اشاهد ذلك ثم حملوا على المسلمين

فاندقوا

فاندفقوا بين ايديهم واخرجوهم من المينا وكان تحقق وسر فهمت حتى السلطان

واخبرته بالخبر وبين يديه الرسولان وقد اخذ القلم بيده حتى يكتب لهم

الامان فعرفته في اذنه ما جرى فامتنع من الكتابة وشغلهم بالحديث فما

كان الا ساعة حتى من المسلمين نحو السلطان فصاح في الناس فركبوا وقبض

على الرسول وامر بتاخير الثقل والاسوار الى باسوق ورحل الناس وتخلف بهم ثقل بارزور

عظيم مما كانوا نهبوا من يافا فلم يقدروا على نقله ورحل الثقل وبقي السلطان

جريدة في اليسير ومات في الليلة هناك وخرج الانكتار الى موضع السلطان

الذي كان فيه لضايقة البلد وامر من في القلعة ان تخرجوا اليه وبعظم

سواده واجتمع به جماعة من المماليك وجرى بينهم احاديث ومجابة كثيرة

ذ [illegible] الصلح ثم طلب الحاجة ابا بكر العادلي فحضر عندهم ايبك العزيزي

وسنقر المشطوب وكان هولاء وكان قد صادف جماعة من خواص المماليك

ودخل معهم دخولا عظيما بحيث كانوا يجتمعون به في اوقات متعددة وكان

قد صادف من الامراء جماعة عتم كبدر الدين ولدرم   فلما حضر هذا النفر

عند حيد هزلي ومن جملة ما قال هذا السلطان عظيم وما في هذه الارض
الاسلام اكبر ولا اعظم منه كيف رحل عن المكان بمجرد وصولي والله
ما لبست لامة حرب ولا تاهبت الا من لبس في حل الا زوال البحر فكيف
تاخر ثم قال والله العزيز الكريم ما ظننت انه ياخذ يافا في شهرين
فكيف اخذها في يومين ثم قال لابي بكر تسلم على السلطان وتقول له
بالله عليك تجيب سوالي في الصلح فهذا الامر لا بد له من اخر وقد هلك
بلادي وراء البحر وما دوام هذا مصلحة لا لنا ولا لكم ثم انفصلوا عنه وحضر
ابو بكر عند السلطان وعرفه ما قال وكان ذلك في اوايل يوم السبت اواخر
تاسع عشر رجب فلما سمع السلطان ذلك احضر ارباب المشورة ونفصل
الحال على ان الجواب انك كنت طلبت الصلح اولا على قاعدة وكان الحديث
في يافا وعسقلان والان   لك من صور الى قيسارية
فمضى اليه وعرفه ما قال وعاد ومعه رسول افرنجي
الملك ان قاعدة الفرنج انه اذا اعطى واحد لواحد بلدا صار تبعه وعلا ومنه

وانا

وانا اطلب منك هذين البلدين لان يكون عساكرها في خدمتك
دائما واذا احتجت الي وصلت اليك في اسرع وقت و لما تعلم
خدمتي فكان جواب السلطان حيث دخلت هذا المدخل فانا اجيبك ان
تجعل البلاد قسمين احدهما لك هو يافا وما وراها والثاني وهو عسقلان
وما وراها ثم سار الرسولان ورحل السلطان الي النقل وكان المخيم بازور
ورتب النقابين لذلك والترك عندهم ورحل حتى اتي الرملة فخيم بها
يوم الاحد العشرين ووصل اليه الرسول مع الحاجب الي بكر فامر باكرام
والاحسان الي بكر اليه وكانت رسالة الشكر من الملك علي عطائه يافا وتجديد
السوال في عسقلان ويقول انه اذا وقع الصلح في هذه الايام وسار الي
بلاده ولا احتاج الي ان اشتي ها هنا فاجابه السلطان في الحال وقال
اما النزول عن عسقلان فلا سبيل اليه واما تشتيته ههنا فلا بد منها لانه
قد استولى علي هذه البلاد ويعلم انه متى غاب عنها اخذت بالضرورة
واذا قام ايضا ان شاء الله تعالى واذا سهل عليه ان يشتي ههنا ويبعد عن اهله

ووطنه مسيرة شهرين وهو شاب في عنفوان شبابه ووقت اقتناص لذاته
ما يسهل علي اشتي واصيف وانا في وسط بلادي وعندي اولادي واهلي
ويأتي الي ما اريد وانا رجل شيخ قد كرهت لذات الدنيا وشبعت منها
ورفضتها عني والعسكر الذي يكون عندي في الشتاء غير العسكر الذي
يكون عندي في الصيف وانا اعتقد اني في اعظم العبادات ولا ازال كذلك حتى يعطي
الله النصر لمن يشاء فلما سمع الرسول ذلك طلب ان يجتمع بالملك العادل
فاذن له في ذلك فسار الى خيمته وكان قد تاخر بسبب مرض اعتراه الى موضع
يقال له صويل فسار الرسول اليه مع جماعة ثم بلغ السلطان ان عسكر
العدو قد رحل عن عكا قاصدا يافا للاعتياد فجمع ارباب الراي وعقد مشورة
في قصدهم فاتفق الراي على انهم يقصدونهم ويرحلوا بالثقل الى الجبل
ويقصدونهم جريدة فان لاحت فرصة انتهزوها والا رجعوا عنهم وهذا
اولى من ان يصير حتى عسكر العدو ويرحل الى الجبل في صورة منهزمين و
اما الان اذا وصلنا نحن في صورة طالبين فامر السلطان الثقل يسير الى الجبل

في

في عشيته الاثنين حادي عشر رجب وسار هو جريدة في صبيحة يوم الثلثا

حتى نزل على العسكر المواصل من اخبره   قد وصل قيسرية

ودخل عليها ولم يبق فيه طمع وبلغه ان الانكتار قد نزل خارج   في

نفر يسير   فوقع ان ينتهز فيه الفرصة ويلبس الخيمة وينال

منهم غرضا وعزم على ذلك وصار   الليل والاولين من العرب

تقدموا ونقطع في الطريق الى ان الى الصباح الى خيام العدو فوجدها

حد
تقدير   فداخله الطمع فحملوا الطمع وحملوا حملة الرجال الوا

العسكر
فثبتوا في اماكنهم وكسروا على اثبات العرب وحموا   ودار

حلقة واحدة ولقد حكاني بعض الحاضرين في كنت تاخرت مع النقل ولم

اكثر
لله الحمد لا ايتيا شغزاجي ارعدة الخيل كانت تحرها

سبعة عشرة النقل بتبعة والرجال دون الالف في قابل الثمانية ومن

الاوطاب
فاتل الكثر ذلك فوجدها السلطان من ذلك مغيظه عظيمة ودار على

بخيمهم فلم يجب دعاه سوى ولده الملك الظاهر وقال الا الجاح المنطوب قلب

لغلمانه الذين ضربوا الناس يوم فتح يافا واخذوا منهم الغنيمة وكان في
قلوب العسكر من صلح يافا حيث فوتهم الغنيمة وجرى ما جرى ما اثر
هذا الاثر فلما راى السلطان ذلك راى ان وقوفه في مقابلة هذه الشرذمة
اليسيرة من غير عمل خسارة بحقه وقد بلغني ان الانكتار اخذ رمحه ذلك
اليوم وحمل من طرف الميمنة الى طرف الميسرة فلم يعرض له احد فغضب السلطان
ثم اعرض عن القتال وسار حتى اتى يازور كالمغضب ونزل بها وذلك يوم الاربعا
ثالث وعشرين رجب وبات العسكر بالنزل ثم اصبح يوم الخميس سار
الى النطرون فنزل به وانفذ الى العسكر فاحضره عنده فوصلنا اليه اخر
نهار الخميس رابع وعشرين فبات به ثم اصبح يوم الجمعة وسار الى اخيه
الملك العادل يفتقده ودخل القدس وصلى الجمعة ونظر العمائر ورتبها
ثم عاد من يومه الى الثقل وبات فيه على النطرون ذ[illegible] دم العساكر
فاول من وصل علاء الدين ابن اتابك صاحب الموصل وكان وصوله ضحى
نهار السبت سادس وعشرين رجب فلقيه السلطان عن بعد واحترمه

واكرمه

واكرمه وانزله عنده في الخيمة وعمل همة حسنة وقدم له تقدمه جميلة ثم سار
الى خيمته ولما رسول الملك فانه عاد في هذا اليوم فان الملك العادل كان قد
حمله مشافهة الى الملك وعاد مع الحاجب ابي بكر الى بلوا فعاد ابو بكر وحضر
عند السلطان في ذلك اليوم واخبره ان الملك لم يتركني ادخل اليه فا
وخرج الي وكلمني في ظاهرها وكان كلامه لي كم اطرح نفسي على السلطان
وهو لا يقبلني وانا كنت احرص الى ان اعود الى بلادي والان فقد هجم الشتاء
وتغيرت الانوا وقد عزمت على الاقامة   حديث هذا كان خيوا
خذله الله ولما كان يوم الخميس تاسع شعبان قدم عسكر المصر فخرج السلطان
كان   مجد الدين هلدري وسيف الدين يازكج وجماعة الاسدية وكان
في خدمة الملك المؤيد   الطهر والرسه ونشر الاسلام والبيارق فكان
يوما مشهودا ثم انزلهم عنده وهد الخوان ثم ساروا   ذي قدوم الملك
المصور تقي الدين وكان ره وكان قد تسلم البلاد التي وعد بها وكان
وصوله الى خدمة الملك العادل في يوم السبت حادي عشر شعبان فنزل

عنده بما صنع به وانفذه وكتب الملك العادل في يوم ذلك يخبر السلطان
بوصوله ويساله في احترامه واكرامه واطلاق الرحمة له ولما تحقق الملك
الظاهر وصول الملك المنصور استاذن والده في لقائه واعتقد الملك
العادل فاذن له في ذلك فسار فوجد الملك المنصور مخيما ببيت
نوبة فنزل عنده وخرج الى لقائه واقام عنده الى العصر وذلك في يوم
الاحد ثم اخذه وسار به جريدة حتى اتى خيمة السلطان ونحن اتى خيمة
السلطان ونحن في خدمته فدخل عليه واحترمه ونهض له واعتنقه
وضمه الى صدره ثم غلبه البكا فصبر نفسه حتى غلبه الامر وغشيه
من البكاء ما لم ير مثله فبكاء الناس لبكائه ساعة زمانية ثم باسطه وساله
عن الطريق ثم انفصل وبات في خيمة الملك الى صبيحة يوم الاثنين ثم
ركب وعاد عسكره وعاد نشر الاعلام والبيارق وكان معه عسكر جميل فوقفت
بعين السلطان ونزل في مقدمة العسكر مما يلي الرملة ذكر رحيله الى
الرملة وذلك انه لما راى العساكر قد اجتمعت جمع ارباب الراي وقال

من الانكتار

من الانكتار قد مرض مرضا شديدا والافرنسيس قد ساروا راجعين ليعبروا
البحر من غير شك ونفقاتهم قد قلت وهذا العدو قد مكن الله منه
وارى ان نسير الى يافا فان وجدنا فيها طمعا بلغناه والا عدنا تحت
الليل الى عسقلان تخلفنا النجدة الا وقد بلغنا منها غرضا وراوا ذلك
رايا وتقدم الى جماعة من الامراء كعز الدين جرديك وجمال الدين فرح
وغيرهما في المسير ليلة الخميس سادس عشر شعبان حتى يكونوا قريبا من يافا
في صورة يزك ليتعرفوا كم فيها من الخياله والرجالة بالجواسيس ثم يعرفونه
ذلك فسار   الانكتار لا ينقطع في طلب الفاكهة والثلج
واد فع ما فيه عليه في مرضه شهوة الكمثرى والخوخ وكان
عبه بذلك ويقصد كشف الاخبار بتواتر الرسل والذي
انكشف من الاخبار ان فيها   فارس على قول المكثر ومائتي
فارس على قول المقل وان الكندهري يتردد بينه وبين الفرنسيه في مقامهم
وهم عازمون على عبور البحر قولا واحدا وانهم لا عاسر لهم لسور البلد

بعمارة سور القلعة وكان قد طلب الانكتار الحاجب ابا بكر
العادلي وكان له معه انبساط عظيم فلا تحقق السلطان الاخبار اصبح
يوم الخميس ارحل الى جهة الرملة فنزل بها ضاحي نهار ووصل الخبر
من الغبارة يقولون انا غزنا على يافا فلم يخرج الا ثمانية فارس معظمهم على
بغال فامرهم السلطان مقامهم هناك ثم وصل الحاجب ابو بكر ومعه رسول
من عند الملك يشكر السلطان على انعامه بالفواكه والثلج وذكر ابو بكر انه تفرد
به وقال له قل لاخي السلطان الملك العادل يبصر كيف يتوصل الى السلطان
في معنى الصلح ويستوهب لي منه سلطان وامضي ويبقى هو هنا في هذه عسقلان
الشرذمة اليسيرة باخذ البلاد منهم فليس غرضي الا اقامة جاهي بين الافرنجية
وان لم ينزل السلطان عن عسقلان فيأخذ لي عوضا عن خسارتي
سورها فلما سمع السلطان ذلك سيرهم الى الملك العادل واسر الى ثقة عنده
بان يمضي الى الملك العادل يقول له ان نزلوا عن عسقلان فصالحهم فان
العسكر قد ضجر من ملازمتهم البكار والنفقات قد نفدت وساروا على الجمعة

سابع

سابع عشر رمضان ذكر الاجابة الى النزول عن عسقلان ولما كان غروب
الشمس من اليوم المذكور انفذ بدر الدين ولدرم من الترك يقول انه خرج
الينا خمسة انفس منهم شخص مقدم عند الملك يسمى هوات وذكروا ان
لهم معنا حديثا فلم اسمع حديثهم ام لا فانفذ لي السلطان في ذلك ولما كان فهكر
عشاء الاخرة حضر بدر الدين بنفسه واخبر ان حديثهم كان ان الملك قد
نزل عن عسقلان وعن طلب العوض عنها وقد صح مقصوده في الصلح
فاعاده السلطان ثانية فنفذ اليه ثقة ياخذ يده على ذلك ويقول له ان
السلطان قد جمع العساكر وما يمكنني ان احدثه هذا الحديث الا ان اوثق بك
انك لا ترجع فيه وبعد ذلك احدثه فاخذ بدر الدين على هذه القاعدة
وكتب الى الملك العادل يخبره بما جرى ولما كان يوم السبت ثامن عشر
شعبان انفذ بدر الدين وذكر انه اخذ يده على هذه القاعدة من يثق
به وان حدود البلاد على ما استقر في الدفعة الاولى مع الملك العادل
فاحضر السلطان الديوان فذكروا ان اعمالها واخرج الرملة منها ولد

يابا ثم ذكر اقسريه واعمالها وارسوف واعمالها وحيفا واعمالها وعكا واعمالها
واخرج منها الناصرة وصفوريه واثبت الجميع في ورقه وكتب جواب
وانفذ على هذه الرسول وكان قد وصل الرسول بتحرير
القاعدة مع بدر الدين في عصر السبت وقال الرسول هذه حدود البلاد
التي بايديكم فان صالحتم على ذلك فبارك قد اعطيتكم يدي فليفد
الملك من يحلف ويكون ذلك غداة ان لا احد
وصل من اخبر بوصول طرنطاي ومعه الرسول واستاذن في حضورهم
فاذن له في حضور طرنطاي وحده وذكر ان الملك قد وقف على تلك الرقعة
وانكر انه ينزل عن العوض فاذكره الجماعة الذين خرجوا الى بين يدي ولده
انه نزل عن ذلك قال اذا ما قلته فلا ارجع عنه قولوا للسلطان مبارك
رضيت بهذه القاعدة وقد رجعت الى مروتك فان زدتني شيئا من فضلك
وانعامك ثم سار واحضر الرسل وليلا واقاموا الى بكرة واحضر والرسل
عند السلطان بكرة وذكروا ما استقر عن صاحبهم ثم انفصلوا الى خيمهم وحضر

الرسل

١٢٨

الرسل ليلا واقاموا الى بكرة واحضر الرسل ليلا واقاموا عند السلطان بكرة
وذكروا ما استقر عن صاحبهم ثم انفصلوا الى خيمهم وحضر الرسل عند السلطان
بكرة وذكروا ما استقر بباب المشورة واستقر الامر وانفصلت القاعدة
وسار الامير بدر الدين دلدرم الى الملك العادل والرسل معه في صورة من
يسال في زيادة الرملة وعاد عشاء الاخرة ليلة الاثنين وكتب المواصفة
وذكر فيها شروط الصلح ثلث سنين من تاريخها وهو الاربعا الثاني والعشرين
من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسماية وزاد فيها الرملة لهم ولد البصا
وسير العدل وقيل له ان قدرت ان ترضيهم باخذ الموضعين او مناصفتهما
فافعلوا ان يكون لهم حديث في الغلات وراى السلطان مصلحة لما عانا
الناس من الضعف وقلة النفقات والشوق الى الاوطان ولما شاهد من
تقاعدهم على يافا يوم امرهم بالحملة فلم يحملوا فخاف ان يحتاج اليهم
فلا يجدهم فراى ان يجمهم مدة حتى يستريحوا وينسوا هذه الحالة
التي صاروا اليها ويعمر البلاد ويشحن القدس بما يقدر عليه من الالة ويتضرع

لعمارتها وكان من القاعدة ان عسقلان تكون خرابا وان تتفق اصحابنا واصحابهم
على خرابها خشية ان تاخذها عامرة فلا نخربها فمضى العدل على هذه القاعدة
واشترط دخول بلاد الاسلامية واشرطوا هم دخول صاحب انطاكية وطرابلس
في الصلح على قاعدة اخر صلح صالحناهم عليه واستقر الحال على ذلك وسار
الرسل وحكم عليهم انه لابد من فصل الحال اما الصلح او خصومة
خشية ان يكون هذا الحديث من قبيل سابقه ومدافعة
المعروفة وفي ذلك اليوم وصل رسول سيف الدين بكتمر صاحب اخلاط
بذل الطاعة والموافقة وسير العسكر وحضر رسول الكرج ذكر فصلا
في معنى الزيارات التي لهم في القدس عمارتها وشكوا انها اخذت من ايديهم
وسال عواطف السلطان ان يردها الى نوابهم ورسول صاحب ارزن
الروم ببذل الطاعة والعبودية ذكرتها ... ولما وصل العدل الى هناك
انزل خارج في خيمة حتى اعلم الملك به فلما علم استحضره عنده
مع بقية الجماعة وعرض العدل عليه النسخة وهو مريض الجسم فقال الطاعة

لا طاقة لي

لاطاقة لي بالوقوف عليها وانا قد صالحت وهذه يدي فاجتمعوا بالكندهري
والجماعة واوقفوهم على النسخة ورضوا بها والرملة مناصفة وبجميع
ما في النسخة واستقرت القاعدة منهم يحلفون بكرة يوم الاربعا لانهم كانوا
قد اكلوا شيئا وما عادتهم الحلف بعد الاكل وانفذ العدل الى السلطان
قد عدله ذلك ولما كان يوم الاربعا الثاني والعشرين من شعبان تحضروا عرّفه
الجماعة عند الملك واخذوا يده وعاهدوه واعتذر ان الملوك لا يحلفون
وقنع السلطان بذلك ثم حلف الجماعة والمستحلف الكندهري ابن
اخيه المتخلف عنه في الساحل وباليان بن بارزان صاحب طبرية ورضي [illegible]
الداوية وسائر مقدمي الافرنجية بذلك وساروا في بقية اليوم عائدين الى
المخيم السلطاني فوصلوا عشاء الاخرة وكان الواصلين من جانبهم ابن
الهنفري وابن بارزان وجماعة من مقدميهم فاحترموه واكرموا وضرب لهم
خيمة مبيتهم وحضر العدل وحكى ما جرى ولما كان صبيحة ثالث و
عشرين حضر الرسول في خدمة السلطان ولحديثه الكريمة وعاهده

على الصلح على القاعدة المستقرة واقترحوا حلف جماعة الملك العادل و
الملك الافضل والملك الظاهر عز نصره والمشطوب وبدر الدين دلدرم
والملك المنصور وكان مجاور بلادهم كابن المقدم وصاحب شيزر وغيرهم و
وعدهم السلطان ان يسير معهم رسولا الى الجماعة المجاورين يحلفوهم
لهم وحلف صاحب انطاكية وطرابلس وعلى اليمين بشرط حلفهم للمسلمين
فان لم يحلفوا له لا يدخلوا في الصلح ثم منادي ينادي في الوطاقات و
الاسواق الا ان الصلح قد انتظم في سائر بلادهم فمن بلادهم ان يسر الى
بلادي فليفعل ومن شاء من بلادنا ان يدخل الى بلادهم فليفعل واشاع
ان طريق الحج قد فتح من الشام ووقع له عزم الحج في ذلك المجلس وكتب
حاضر ذلك جميعه ووقع له ذلك وامر السلطان ان يسير مائة نقاب لتخريب
سور عسقلان معهم امير كبير ولاخراج الفرنج منها ويكون معهم جماعة
من الفرنج الى حين وقوع الخراب في السور خشية من استبقائه عامرا وكان
يوما مشهودا غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لا يعلمه
الا الله

الا الله تعالى والله العظيم ان الصلح لم يكن من اشارة فانه قال لي في بعض
محاورته في الصلح واخاف ان اصالح وما ادري ايش يكون مني فيقوى
هذا العدو وقد بقي لهم هذه البلاد فيخرجوا لاستعداد بقية بلادهم وترى
كل واحد من هولاء الجماعة قد قعد في راس قلة يعني حصنه وقال لا
انزل ويهلك المسلمون هذا كلامه وكان كما كان لكنه راى المصلحة في الصلح
لسامة العسكر وتظاهرهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى فانه اتفقت
وفاته بعيد الصلح فلو كان اتفق ذلك في اثناء الوقعات لكان الاسلام
على خطر فما كان الصلح الا توفيقا وسعادة ذكر خراب عسقلان ولما كان
خامس وعشرون شعبان هذى السلطان علم الدين قيصر الى خراب عسقلان
وسير معه جماعة من النقابين والحجارين والنقرات الملك ينفد من بابا من
يسير معه ليقف على الخراب ويخرج الفرنج منها فوصلوا اليها من العدو
فلما ارادوا الخراب اعتذروا الاجناد الذين بها بان الناس على الملك جامكية لمدة
فاما ان يدفعها الينا حتى نخرج او ادفعوها انتم الينا فوصل بعد ذلك رسول

الملك يامرهم بالخروج فخرجوا ووقع الخراب فيها سابع وعشرين شعبان و شرع
بخربها وكتب على الجماعة رقاع في المعاونة على الخراب واعطى كل واحد قطعة
معلومة في   السور فخربها ولما كان التاسع والعشرين رحل
السلطان الى النطرون واختلط العسكران وذهب جماعة من المسلمين الى يافا
في طلب التجارة ووصل خلق عظيم من العدو الى القدس للحج وفتح لهم السلطان
الباب في نفذ معهم الخفراء يحفظونهم حتى يردونهم الى يافا وكثير كذلك
من الفرنج كان غرض السلطان بذلك ان ينقضوا غرضهم من الزيارة ويرجعوا
الى بلادهم فيامن المسلمون شرهم ولما علم الملك بورودهم صعب عليه ذلك
وسير الى السلطان يساله منع الزيارة واقترح ان لا يؤذن لهم الا بعد حضور علامة
من جانبه او بكتابه فعلمت الفرنجية ذلك فعظم عليها واهتموا في الحج فكان
يرد في كل يوم منهم جموع كثيرة مقدمون واتباعات ملوك مشكورون وشرع اسباط
السلطان في اكرام من يرد ومد الطعام ومباسطتهم ومحادثتهم وعرفهم
انكار الملك ذلك واذن لهم السلطان بالحج وعرفهم انه لم يلتفت الى منع

الملك

الملك ذلك واعتذر الى الملك بان قومها قد وصلوا من بعد لزيارة هذا
المكان الشريف فلا يحتمل منعهم ثم اشتد بالملك وقيل انه مات ودخل في المرض
ليلة تاسع وعشرين بارها والكندهري وسار العدو الى جانب عكا
ولم يبق في يافا الا مريض او عاجز ونفر يسير ذكر عوده ...
... ولما انقضى هذا الامر وانتقرت هذه القواعد اعطى السلطان
الناس دستورا وكان اول من سار عسكر اربل فانه سار في مستهل شهر رمضان
المبارك ثم سار بعده في ثانيه عسكر موصل وسنجار والحصن واشاع امر
الحج وقوى عزمه على براءة الذمة وكان هذا ما وقع لي بذلك بالاشارة
به بيوم فتحه القدس بتمة الصلح ووقع منه موقعا عظيما وامر الديوان
وكل من عزم على الحج من العسكر يثبت اسمه حتى يحضر عدة من يدخل
في الطريق وكتب جرايد بما يحتاج اليه في الطريق من الخلع والازواد
وغير ذلك وسيرها الى البلاد ليسعد وبها ولما اعطى الناس دستورا
وعلم عود العدو وقد رجع الى ورائه رأى الدخول الى القدس الشريف

لهشته الباب عمارته والنظر في مصالحه والتاهب للسير الى الخارج فخرج
من النطرون يوم الاحد رابع شهر رمضان سار حتى اتى ما صهوبل
بقصد الملك العادل نوحين قد سار الى القدس وكتب عنه رسولا من
جانب السلطان انا والامير بدر الدين ولدرم والعدل وكان قد انقطع
عن بسبب مرضه وكان قد تماثل في السلطان
الى ماء صهوبل للعبادة فحمل على نفسه وسار معنا حتى القيه بذلك المكان
وهو اول وصوله الى ماء صهوبل ولم ينزل بعد فلقيه فنزل وقبل الارض
وعاد وركب فاستدناه وساله عن مزاجه وساروا جميعا حتى اتينا القدس الشريف
في بقية ذلك اليوم [illegible] رسول [illegible] ولما كان يوم الجمعة
الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك صلى الملك العادل الجمعة وانصرف
الى الكرك عن دستور من السلطان لينظر في احواله ويعود الى البلاد الشرقية
يديرها فانه كان قد اخذها من السلطان وكان قد ودع السلطان ليخرج فلما
وصل العازرية نزل بها مخيما فوصله من اخبر ان رسولا من بغداد نفذ اصل البلد فا

الى

الى السلطان وعرفه وذكر انه يجتمع ويطالع بما وصل فيه فلما كان يوم
السبت الرابع والعشرون وصل الى الخدمة السلطانية وذكر ان الرسول
قد وصل اليه من جانب ابن الناقد نائب الوزارة ببغداد ومقصود
الكتاب انه يحثه على استعطاف قلب السلطان الى الخدمة الشريفة واقتراح
تسيير القاضي الفاضل ليحضر الديوان العزيز فيقرر قاعدة لا تحرز بينه
وبين السلطان لا بل وقد وعد الملك العادل من الديوان بوعود
عظيمة اذا قرر ذلك ويكون له يد عند الديوان يبترها فيما بعد وما
يشبه هذا الفن فتحدث عند السلطان فكره في انفاذ رسول يسمع كلام
الديوان ويستعلم ان دخول الملك العادل في البين وزاد الحديث في نفس و
طال وقصر وقوى العزم السلطاني على انفاد ايضا الشهرزوري
وعاد الملك العادل الى خيمه بالعازرية فعد تقرير هذه القاعدة
وعرفه اجابة السلطان الى انفاد رسول الى خدمة الديوان العزيز وسار
يوم الاثنين طالبا جهة الكرك وسار ايضا متوجها الى بغداد يوم الثلثا

سادس وعشرين شهر رمضان ... توجه الملك الظاهر الى
وصية السلطان له ولما كان بكرة التاسع والعشرين توجه الملك الظاهر
عن نصره بعد ان ودعه ونزل الى الصخرة فصلى عنده وسال الله تعالى ما شاء
وركب في خدمته فقال لي قد بلغك امر ما احتاج فيه الى مراجعة السلطان
مشافهة فانفذ من استاذن له في العود الى خدمته فاذن له في ذلك
فحضر واستحضرني واخلا المكان ثم قال له اوصيك بتقوى الله تعالى فانها
رأس كل خير وامرك بما امر الله به فانه سبب نجاتك واحذرك من
الدماء والدخول فيها والتقليد لها فان الدم لا ينام واوصيك بحفظ
والنظر في احوالهم فانت اميني وامين الله عليهم واوصيك
بحفظ قلوب الامراء وارباب الدولة والاكابر فما بلغت ما بلغت الا بمداراة
الناس ولا تحقد على احد فان الموت لا يبقي على احد واحذر ما بينك وبين
الناس فانه لا يغفر الا برضاهم وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك اليه
فانه كريم وكان ذلك بعد ان تصرفنا من خدمته ومضى الليل ما شاء ان يمضي

واكثر

واكثر من ذلك وهذا ما امكنني حكايته وضبطه ولم يزل بين يديه الى قريب
الضحى ثم اذن له في الانصراف ونهض ليودعه وقبل وجهه ومسح على راسه
وانصرف في دعة الله وتام في برج الخشب الذي للسلطان وكنا نجلس
عنده في الاحيان الى بكرة وانصرفت في خدمته الى بعض الطريق وودعته
وسار في حفظ الله نعم مسير ملك لا فضل بطل واقام يراجع السلطان على
لساني في احتفال كانت له حتى دخل في شوال اربعة ايام وسار في ليلة الخامس
منه نصف الليل عن تعتب عليه جريدة لا على طريق الغور ذاكر [illegible]
من قبل [illegible] واقام السلطان يقطع الناس ويعطيهم دستورا ويتاهب
للسير الى الديار المصرية وانقطع شوقه عن الحج وكان من اكبر المصالح التي
فاتته ولم يزل كذلك حتى عنده اقلاع مركب الانكتار متوجها الى بلاده مستهل
شوال فعند ذلك جزم السلطان عزمه الى ان يدخل الساحل جريدة ويتفقد
احوال القلاع البحرية الى بانياس ويدخل دمشق المحروسة يقيم بها اياما قلائل
ويعود الى القدس الشريف سائرا الى الديار المصرية يتفقد احوالها ويقرر قواعدها

ونظر في مصالحها وامر في بالمقام في القدس الشريف بعمارة بيمارستان

انشاه فيه وادارة المدرسة التي انشاها فيه الى حين عوده سار من القدس

ضاحي نهار الخميس سادس شوال فيه وادارة المدرسة التي انشاها في الى

حين عوده سار من القدس ضاحي نهار الخميس ووصل الى البيرة

ونزل بها واكل فيها الطعام ثم اتى بعض طعلم نابلس فبات فيه ثم اتى نابلس [طريق]

ضاحي نهار الجمعة سابع شوال فلقيه خلق عظيم يستغيثون على المشطوب و

يتضورون بسوء رعايته لهم فاقام يكشف عن احواله الى عصر يوم السبت

ثم رحل ونزل بسبسطية ينعقد احوالها ثم اتى في طريقه الى كوكب ونظر احوالها

وذلك في يوم الاثنين عاشره وكانت انفكاك بهاء الدين [كان]

قراقوش في ربقة الاسر يوم الثلثا حادي عشر مثل في الخدمة

الشريفة السلطانية ففرح به فرحا شديدا وكان له حقوق كثيرة على السلطان

وعلى الاسلام واستاذن السلطان في المسير الى تحصيل القطيعة فاذن له في ذلك

وكان القطيعة على ما بلغني والله اعلم ثمانين الفا ولما وصل السلطان الى بيروت

وصل

وصل الى خدمة البرنس صاحب انطاكية فبالغ في احترامه واكرامه
ومباسطته وانعم عليه بالعمق زرعان ومزارع تعمل خمسة الف دينار وكان
قد خلف المنطوب في القدس من جملة العسكر المقيمين بها ولم يكن واليا انما كان
والي عز الدين جرديك كان ولاه بعد الصلح حال عوده الى القدس الشريف بعد
ان شاور فيه الملك العادل والملك الافضل والملك الظاهر على لساني
واشار به فيه اهل الخير والصلاح لانه كان كثير الحب والخدمة والحفظ
لاهل الخير فاذن السلطان اوليه ذلك في يوم الجمعة عند الجمعة الصخرة
وولّيته اياه بعد صلاة الجمعة والاشترط عليه الامانة وعرفته موضع
حسن اعتقاد السلطان وانفقد الامر وقام به القيام المرضي واما
المنطوب فانه كان مقيما بالقدس حملة من كان مقيما بها وتوفي
في يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال ودفن في داره بعد ان صلى عليه
في المسجد الاقصى ذكر عود السلطان الى دمشق الى ... وكان عوده اليها بعد
الفراغ من تصفح احوال القلاع الساحلية باسرها والتقدم بسد خللها واصلاح

امور اجنادها واشغالها بالاجناد والرجال ودخل الى دمشق بكرة اربع سادس
عشرين شوال ومعه اولاده الملك الافضل والملك الظاهر والملك الظافر
واولاده الصغار وكان يحب البلد ويؤثر الاقامة فيه على سائر البلاد وجلس
للناس في بكرة الخميس سابع وعشرين منه وحضر الناس عنده وبلوا اشواقهم
من رويته وانشده الشعراء وعم ذلك المجلس الخاص والعام واقام ينشر
جناح عدله ويهطل سحاب انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا في الاوقات
المعتاده حتى كان الاثنين مستهل ذي القعدة اتخذ الملك الافضل دعوة
للملك الظاهر فانه ما دخل الى دمشق بلغه حركة السلطان اليها فاقام حتى يتملى
بالنظر اليه ثانيا وكان نفسه الشريفه قد احست بدنو اجل السلطان فودعه
في تلك الليلة مرارا متعددة وهو يعود اليه ولما اتخذ الملك الافضل الدعوة
اظهر فيها بديع تجمل غريبة ما يليق بهمته وكانه اراد مجازاته عما خدمه حين
وصوله الى حلب وحضرها ارباب الدنيا وابناء الاخرة وسال السلطان الحضور
فحضر اجبرا لقلبه وكان على ما بلغني ذكرها . العادل . ولما نضج الملك

العادل

العادل امر باصلاح ما قصد اصلاحه منه عاد طالب البلاد
الفراتية فوصل ارض دمشق يوم الاربعا سابع عشر ذي القعدة وكان السلطان
خرج الى لقائه واقام يتصيد حوالى غباغب الى الكسوة حتى لقيه وسارا جميعا
وكان دخولهما الى دمشق اخر نهار حادي عشرين واقام السلطان في دمشق
يتصيد هو واولاده ويتفرجون في ارض دمشق وموطن الظبا وكانه وجد راحة
لما كان فيه من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل ونصب النهار وما كان
ذلك الا كالوداع لاولاده والمرابع تنزههم وهؤلاء لبشعر وتنسى عزمه المصري
وعرض له امور اخر وعزمات غير ذلك وصلني كتابه الى القدس يستدعيني
الى خدمته وكان شيئا شديدا ووجدا عظيما فخرجت من القدس الشريف
يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وكان الوصول الى دمشق
يوم الثلثا ثاني عشر صفر وكان وصل اوايل الحج على طريق دمشق فانه اتفق
حضوري وكان الملك الافضل حاضرا في الايوان الشمالي وفي خدمته خلق
من الامراء وارباب المناصب ينتظرون جلوس السلطان للخدمة فلما شعر بحضوري

استحضرني وهو وحده وقبل ان يدخل اليه احد فدخلت عليه فقام ولقيني
عقا ما رايت اسر من بشرته لي لقد ضمني اليه ودمعت عينه ره ذكر انتقا
له ولما كان يوم الاربعا ثالث عشر صفر طلبني فحضرت عنده فسالني
عن في الابواب فاخبرته ان الملك الافضل جالس في الخدمه والامرا والناس
في خدمته فاعتذر اليهم على لسان جمال الدولة اقبال ولما كان بكرة الخميس
استحضرني بكرة فحضرت عنده في صفة البستان وعنده اولاده الصغار فسال عن
الحاضرين فقيل رسل الفرنج وجماعة الامرا والاكابر فاستحضر رسل الفرنج
الى ذلك المكان فحضروا وكان له ولد صغير وكان كثيرا يميل اليه يسمى الامير
وكان حاضرا وهو يداعبه فلما وقع بصره على الافرنج راى اشكالهم وحلق
ذقونهم وقص شعورهم وما عليهم من الثياب الغير مالوفه خاف منهم وبكا
فاعتذر اليهم وصرفهم بعد ان حضروا ولم يسمع كلامهم وقال لي اليوم شغلا
وكان عادته المباسطة ثم قال احضروا لنا ما تيسر فحضروا ارز بلبن وما شابه
ذلك من الاطعمه الخفيفه فاكل وكنت   عنده شهوة وكان في هذه الايام

١٥٥

يعتذر الى الناس لثقل الحركة عليه وكان مليا باًملتا وعنده فلما فرغنا
من الطعام قال بالذي عندك من خبر الحاج فقلت اجتمعت بجماعة منهم في الطريق
لولا كثرة الوحل لدخلوا اليوم ولكنهم غدا يدخلون فقال نخرج ان شاء الله الى
لقائهم ونتقدم بتنظيف طرقاتهم من المياه فانها سنة كثيرة الانداء وقد
سالت المياه في الطرق والانهار وانفصلت عن خدمته ولم اجد عنده من
النشاط ما كنت اعرفه منه ثم ركب في بكرة الجمعة وتاخرت عنه لجماز قوبيا
ثم لقيته وقد لقي الحاج وكان فيهم سابق الدين وقر البارد في كان كثير الاحترام
للمشايخ فلقيهم ثم لحقه الملك الافضل واحد بني عدي فنظرت الى
السلطان فلم اجد عليه كزاغنده وما كان له عادة بركب بدونه وكان يوما عظيما
قد اجتمع فيه لقاء السلطان والتفرج على السلطان معظم من في البلد فلم اجد
الصبر دون ان سرت الى جانبه وحدثته في اهمال هذا فكانه استيقظ فطلب
الكزاغند فلم يوجد الصبر الرذي كما ش فوجدت لذلك امرا عظيما وقلت
في نفس السلطان يطلب بالا بدمنه في عادته ولا يجده واوقع الله في قلبي

نظير ابن لك فقلت له اليس ثم طريق تسلك ليس فيه خلق كثير افقال بلى

ثم سار بين البساتين فطلب جهة المنيع وسرنا في خدمته وقلبي يرعد البساتين

لما قد اوقع فيه من الخوف عليه فسار حتى الى القلعة فعبر على الجسر الى القلعة

وهو طريقه المعتاد وكان اخر ركباته ... رح ولما كانت ليلة السبت

وجد كلا عظيما فلما انتصف الليل لحق عنى حمى صفراوية كانت باطنه اكثر

من ظاهره واصبح في يوم السبت سادس عشر صفر سنة تسع وثمانين

منكسلا عليه اثر الحمى ولم يظهر ذلك الناس لكن حضرت انا والقاضي

الفاضل ودخل وله الملك الافضل وحال جلوسنا عنده واخذ يشكو من

قلقه في الليل وطاب له الحديث الى قريب الظهر ثم انصرفنا والقلوب عندنا

فتقدم علينا بالحضور على الطعام في خدمة الملك الافضل ولم يكن القاضي

ذلك فانصرف ودخلت انا الى الايوان وقد مد الطعام والملك قد جلس في

موضعه فانصرفت وما كان لي قوة للجلوس استيحاشا وبكا في ذلك جماعة

تفا ولا بجلوس ولده موضعه ثم اخذ المرض في تزايد من حينئذ ونحن نلازم

الترداد.

التردد طرفي النهار وندخل اليه انا والقاضي الفاضل في النهار مرارا ويعطي
الطريق في بعض الايام التي نجيب فيها حقه وكان مرضه في رأسه وكان من
امارات انتهاء العمر الذي كان قد الف من حجبه سفرا وحضرا ورأى الاطباء فصده
ففصدوه في الرابع اشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان غلب عليه اليبس
غلبة عظيمة ولم يزل يتزايد حتى انتهى الى غاية الضعف ولقد
جلسنا في سادس مرضه واسندنا ظهره الى مخدة واحضر ماء فاتر عقيب
شرب الدواء ليلين الطبيعة فشربه فوجده شديد الحرارة فشكا من شدة
حره وعرض عليه ماء ثانيا فشكا من برده ولم يغضب ولم يصخب ولم يقل
سوى هذه الكلمات سبحان الله لا يمكن احد تعديل الماء فخرجنا انا والقاضي
الفاضل من عنده وقد اشتد منا البكاء والقاضي الفاضل يقول لي ابصر هذه الاخلاق
التي قد اشرف المسلمون على مفارقتها والله لو ان هذا بعض الناس كان
قد ضرب بالقدح راس من احضره واشتد مرضه في السادس السابع والثامن
ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت به غشية وامتنع من

تناول المشروب فاشتد الخوف في البلد وخاف الناس ونقلوا الامتعة
من الاسواق وغشي الناس من الكآبة والحزن ما لم يمكن حكايته ولقد كنت
انا والقاضي الفاضل نقعد في كل ليلة الى ان مضى من الليل ثلثه او قريبا
منه ثم يحضر في باب الدار فان وجدنا طريقا دخلنا وشاهدناه وانصرفنا والا
يعرفونا احواله وكنا نجد الناس يرتقبون خروجنا الى ان يلقونا حتى
يعرفوا احواله من صفحات وجوهنا ولما كان العاشر من مرضه حقن دفعتين
وحصل من الحقن راحة وحصل بعض الخف وتناول من ماء الشعير مقدارا
صالحا وفرح الناس فرحا شديدا فاقمنا على العادة الى ان مضى من الليل
هزيع ثم اتينا الى الدار فوجدنا جمال الدولة اقبال فالتمسنا منه تعريف
الحال المتجدد فدخل فانفذ الينا مع الملك المعظم توران شاه خبرا
ان العرق قد اخذ في ساقيه وشكرنا الله تعالى على ذلك والتمسنا منه ان يمس
لنفسه قدميه ويخبرنا بحاله في العرق فتفقده ثم خرج الينا وذكر ان العرق
سابغ وانصرفنا طيبة قلوبنا ثم اصبحنا في الحادي عشر من مرضه وهو السادس

والعشرين

١٥٢

والعشرين من صفر حضرنا الباب وسالنا عن الاحوال فاخبرنا ان العرق افرط حتى انفصد في الفرش ثم في الحصر بان اثرت به الارض وان اليبس قد تزايد تزايدا عظيما وحارت في القوت الاطباء ذكر تحليف ... الافضل ولما راى الملك الافضل ما حل بوالده وحقق الناس منه شرع في تحليف الناس في دار رضوان المعروفة بسكناه واحضر القضاة وعمل له نسخة يمين مختصرة محصلة تتضمن الحلف للسلطان مدة حياته وله بعد وفاته واعتذر الى الناس بان المرض قد اشتد وما نعلم ما يكون وما يفعل هذا الا احتياطا على جاري عادة الملوك فاول من احضر للحلف

القاضي ... الدين مسعود اخو بدر الدين مودود الشحنة فبادر الى اليمين من غير شرط ثم حضر ناصر الدين صاحب صهيون وزاد ان الحصن الذي في يده له وحضر سابق الدين صاحب شيزر فحلف لم يذكر الطلاق واعتذر بانه ما حلف به ثم حضر خشترين حسين الهكاري فحلف وحضر نوشيروان الزرزاري فحلف واشترط ان يكون له خبز يرضيه وحضر علكان وملكان فحلفا ثم

مد الاخوان وحضر الجماعة واكلوا ولما كان العصر اعيد المجلس للتحليف و
حضر ميمون القصري رة وسنقر الدين الكبير وقال لا نحن نحلف بشرط ان لا نسل
في وجه احد من اخوتك سيفا لكن راسي دون بلادك هذا قول ميمون
القصري وسنقر فانه امتنع ساعة ثم قال حلفني على الشطرين وانا عليها
وحضر سامه وقال السر لي بخبر فقيل له اي شيء احلف ورجع فحلف
على يمينه بشرط ان يعطي خبرا   حضر سنقر المشطوب وحلف بشرط
ان يرضى وحضر ايبك الافطس رة واشترط رضاه وحضر حسام الدين
بشاره وحلف وكان مقدما على هولاء ولم يحضر احد من الامراء المصريين
ولم يتعرض لهم بل حلف هولاء للتقرب وربما سنذكره منهم غير معروف ونسخة
اليمين المحلوف بها وصورتها الفصل الاول انني من وقتي هذا صفيت نيتي
واخلصت   للملك الناصر مدة حياتي وانني لا ازال باذلا جهدي في الذب
عن دولته بنفسي ومالي وسيفي ورجالي   امره واقفا عند مراضيه ثم من
بعد لولده الافضل علي وورثته   اليه انتهى في طاعته واذب عن دولته وبلاده

بنفسي

بنفسي ومالي وسيفي ورجالي وامتثل امره ونهيه وباطني وظاهري في ذلك
سواء والله ما اقول وكيل ذ[illegible] رحمة الله عليه وقدس روحه ولما كانت
ليلة الاربعاء السابع والعشرين من صفر وهي الثانية عشر من مرضه اشتد
مرضه وضعفت قوته ووقع في اوائل الامر من اوله وحال بيننا وبينه
النساء واستحضرت انا والقاضي الفاضل تلك الليلة وابن الزكي ولم يكن عادته
الحضور في الوقت وحضر بيننا الملك الافضل ان يبيت عنده فلم ير القاضي الفاضل
ذلك رايا فان الناس كانوا ينتظرون نزولنا من القلعة فخاف ان لم ننزل
يقع الصوت في البلد وربما نهب الناس بعضهم بعضا فراى المصلحة في
نزولنا واستحضار الشيخ ابي جعفر امام الكلاسة وهو رجل صالح يبيت الشيخ
بالقلعة حتى اذا احتضر رحمه الله حضر عنده وحال بينه وبين النساء و
ذكره بالشهادة وذكر الله تعالى ففعل ذلك ونزلنا كل منا بوده فداه بنفسه
وبات في تلك الليلة على حال المنتقلين الى الله تعالى والشيخ ابو جعفر يقرا
عنده القران ويذكره بالله تعالى وكان ذهنه غائبا من ليلة التاسع لا يكاد

يتفق الا في الاحيان وذكر الشيخ ابو جعفر انه لما انتهى الى قوله تعالى هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة سمعته وهو يقول رضي الله عنه صحيح وهذه تيقظة في
وقت الحاجة وعناية الله به فلله الحمد على ذلك وكانت وفاته بعد صلوة
الصبح من الاربعاء سابع وعشرين صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية وبادر
القاضي الفاضل بعد طلوع الصبح في وقت وفاته ووصلت وقد مات
وانتقل الى رضوان الله ومحل كرمه وجزيل ثوابه ولقد حكاني انه لما بلغ
الشيخ ابو جعفر الى قوله تعالى لا اله الا هو عليه توكلت تبسم وتهلل وجهه
وسلمها الى ربه وكان يوما لم يصب الاسلام والمسلمين منذ فقد الخلفاء
الراشدين وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لم يعلمه الا الله تعالى
وبالله لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم
وما سمعت هذا الحديث الا على ضرب من التجوز والترخص الا في ذلك اليوم
فاني علمت من نفسي ومن غيري انه لو   الفدا لفدي بالنفس ثم جلس
ولده الملك الافضل للعزاء في الايوان الشمالي وحفظ باب القلعة الا عن الخواص

من

الامراء والمعممين وكان يوما عظيما وقد شغل كل انسان ما عنده من الحزن والاسف
والبكاء والاستغاثة عن ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن ان ينشد فيه
شاعر او يتكلم فيه فاضل وواعظ فكان اولاده يخرجون مستغيثين الى الناس
فكاد النفوس تزهق لهول منظرهم ودام الحال على ذلك الى بعد صلوة
الظهر ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه فما تكسان ندخل في تجهيزه ما وهمه حبة
واحدة الا بالقرض حتى في ثمن التبن الذي بلت به التين وغسله الدولعي
الفقيه وندبت الى الوقوف على غسله فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر
واخرج بعد صلوة الظهر في تابوت مسجى بثوب فوطه وكان ذلك وجميع
ما احتاج اليه من الثياب في تكفينه قد احضره القاضي الفاضل من وجه
حل عرفه وارتفعت الاصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج والعويل ما
شغلهم عن الصلوة وصلى عليه الناس ارسالا وكان اول من ام بالناس القاضي
محيي الدين بن زكي ثم اعيد الى الدار التي في البستان وكان متمرضا بها ودفن
في الصفه الغربية منها وكان نزوله في حفرته قدس الله ونور ضريحه قريب

من صلوة العصر ... في فناء الهادر ولده الملك الظاهر وعز الدين فيه
وسكن قلوب الناس قد شغلهم البكاء عن الاشتغال بالنهب والفساد فما وجد
قلب الا حزين ولا عين الا باكية الا من شاء الله تم ثم رجع الناس الى بيوتهم
اقبح رجوع ولم يعد احد منهم في تلك الليلة الا احضرنا وقرانا وجددنا
حالا من الحزن واشتغل ذلك اليوم الملك الافضل بكتابة الكتب الى عمه
• واخوته يخبرهم بهذا الحال الحادث وفي اليوم الثاني جلس للعزاء جلوسا
عاما واطلق باب القلعة للفقهاء والعلماء وتكلم المتكلمون ولم ينشد شاعر
ثم انقضى المجلس في ظهر ذلك اليوم واستمر الحال في حضور الناس بكرة
وعشية وقراءة القران والدعاء له رح واشتغل الملك الافضل بتدبير
امره ومراسله اخوته وعمه ثم انقضت تلك السنين واهلها وكانهم وكانها
احلام وكانت التمام على يد الفلسفي
المستهام
سنة ١٠٠٥